9 لابُدّ.. مِن دِينِ الله.. لِدُنيا النَّاسِ

دكتور
عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني

# جوانيات الرّموز المُستعارة لكبار "أولاد حارتنا"

## أو نقض التاريخ الديني النبوي

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

سلسلة

# « لابد من دين الله .. لدنيا الناس »

## تصدرها مكتبة وهبة تباعاً

※ صدر من هذه السلسلة

١ - الحداثة سرطان العصر .. أو ظاهرة الغموض فى الشعر العربى .

للدكتور عبد العظيم المطعنى

٢ - أدعياء التجديد .. مبددون لا مجددون .. للدكتور على العمارى

٣ - التنوير .. لا التضليل للأستاذ مؤمن الهباء

٤ - منهاج الإسلام .. فى حياة الفرد والمجتمع للأستاذ عبد السميع المصرى

٥ - لماذا لابد من دين الله لدنيا الناس ؟ للدكتور عبد العظيم المطعنى

٦ - فوائد البنوك ، والاستثمار ، والتوفير .. فى ضوء الشريعة الاسلامية

للدكتور رمضان حافظ السيوطي

٧ - الأمة الإسلامية حقيقة .. لاوهم للدكتور يوسف القرضاوى

٨ - مصادر الابداع بين الأصالة والتزوير للدكتور عبد العظيم المطعنى

٩ - جوانيات الرموز المستعارة .. لكبار أولاد الحارة للدكتور عبد العظيم المطعني

١٠ - دور الأزهر السياسى فى مصر .. إبادة الحكم العثمانى

دكتور عبد الجواد صابر إسماعيل

١١ - تغييب الاسلام الحق .. ودحض افتراءات دعاة التنوير على القرآن الكريم

للدكتور محمود توفيق محمد سعد

دكتور
عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني

٩ لابدّ.. مِن دِينِ اللهِ.. لِدُنيا النَّاسِ

# جوانيات الرموز المستعارة لكبار "أولاد حارتنا"

## أو نقض التاريخ الديني النبوي

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

# قرأتها .. ولم أكُن قرأتها

هى رواية الأديب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ « أولاد حارتنا » التى ثارت حولها ضجات صاخبة ، وزوابع عاتية ثلاث مرات :

الأولى : حين صدورها ونشرها لأول مرة عام ١٩٦٠م ، ثم انتهى الأمر إلى مصادرتها ومنع تداولها .

والثانية : حين حصل الأديب الكبير على جائزة نوبل العالمية عام ١٩٩١ م تقديراً له على مجموعة أعماله الروائية ، وفى مقدمتها روايته « أولاد حارتنا » وكانت الضجة ، والزوابع فى هذه المرة مزدوجة ، أحدُ طرفيها المعجبون بالرواية ومؤلفها ، والطرف الثانى النقاد الذين رأوا فى الرواية مساساً بالدين وحقائق الإيمان ، وكاتب هذه الدراسة ، كان ممن كتب عنها ناقداً لا معجباً ، حيث نشرت له جريدة « النور الإسلامية » مقالاً ضافياً على صفحة كاملة . وكنت حين كتبت ذلك المقال لم أقرأها قراءة مباشرة ، وكتبت ما كتبت اعتماداً على قراءات عنها لا فيها ، وكان من قرأت لهم عنها أثق فيهم وفى نزاهتهم وموضوعيتهم ، وصدقهم وإخلاصهم . وقد توقفت هذه الضجة والرواية تتأرجح بين الإدانة والبراءة ، ولم يحقق أى الطرفين نصراً على الآخر ، أو حتى شبه نصر .

والمرة الثالثة ، هى التى حدثت عقيب الاعتداء على الأديب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ ، فى منتصف أكتوبر من العام المنسلخ ١٩٩٤م ، واعتراف المعتدى بأن « رواية أولاد حارتنا » هى السبب فى ذلك الاعتداء .

في هذه المرة تجاوزت الضجة حول « أولاد حارتنا » كل حدٍّ معهود ، كأنها إعصار مدمر سلب الناس أمنهم واستقرارهم ، فكثر الحديث عن « أولاد حارتنا » في كل مكان ، وشغل مساحات جدّ واسعة في وسائل الإعلام المصرى ، والعربى ، بل والعالَمى ، وسارعت بعض الصحف القومية والحزبية في مصر بنشرها أو نشر فصول منها ، جرياً وراء الكسب المادى من جهة ، وطرقاً للحديد وهو ساخن من جهة أُخْرى . ومن لم يكن همه المال من نشرها - كجريدة الأهالى - كان الباعث له على نشرها أهدافاً أيديولوچية رأى في نشر « أولاد حارتنا » انتصاراً ساحقاً لأيديولوچيته ؟!

أما المعجبون « الأفراد » ، فقد ملأوا الدنيا صخباً وعويلاً ، ومنهم من نصَّبَ نفسه « محامياً » لا عن الكاتب ، ولكن عن المكتوب « أولاد حارتنا » ؟

فريق منهم اكتفى بإظهار براءة الرواية من كل سوء !

وفريق ذهب إلى أنها رواية « إيمانية » تنصر الإيمان بالله ورُسُله ولا تخذله ؟!

وفريق ادَّعى أنها رواية تحكى أنماطاً من الحياة في مصر ، وفى فترة محددة من تاريخها الطويل ؟!

وآخر اتهم نقاد الرواية بعدم الفهم ، وأنهم لا يحسنون القراءة « الفنَية » ، ولا يفرقون بين الخيال والتأريخ ؟! وكلام كثير ، قيل ، وكُتِب ، وأُذِيع ؟!

وفى هذه المرة - الحرجة - اختفى النقاد ، فلم يظهر لهم أثر ، وربما كان السبب في ذلك وقوع الاعتداء على الأستاذ « محفوظ » وما أحيط به من ملابسات ، وليس من الحكمة إمداد الحريق بوقود والناس يحاولون إطفاءه .

فى هذه الأثناء ، ووسط هذا الموقف الملتهب ، وجدت نفسى مدفوعاً بشدة لم أعرف لها في حياتى مثيلاً ، لقراءة الرواية « أولاد حارتنا » فبدأت في القراءة بعد منتصف ليل مكة المكرمة ، وواصلت القراءة بِنَهَمٍ ، ونسيت أنى بَشر محتاج إلى الأكل والشراب والنوم والراحة ؟ فليس لى شاغل - إذا

فرغت من عملى - إلا القراءة ، ولم أكن أنصرف عنها إلا إذا أحسست بالحروف تذوب على الورق أمام عَيْنَىَّ حتى لو استعملت النظارة ، هنا - فقط - أتوقف عن القراءة ، عاجزاً لا مختاراً !

ثم وجدتنى أفرغ منها على طول صفحاتها - ٥٥٢ صفحة - فى ثلاث ليالٍ ؟ وصفحاتها من القطع الكبير لا الصغير (١) .

وكما دُفِعْتُ - بشدة - على قراءتها ، دُفِعْتُ - بشدة أشد - للكتابة عنها ، لكن بعض الحكماء من « المعارف » أشاروا علىّ بإرجاء الكتابة عنها حتى تهدأ العاصفة . فاستصوبت هذا الرأى ، وامتثلت للنصح الحكيم .

❋ ❋ ❋

(١) طبعة بيروت عام ١٩٦٢م .

# والآن

والآن ( ١٥ - شوال ١٤١٥ هـ - ١٦ مارس ١٩٩٥م ) ، وقد سكنت العاصفة ، وتحقق الشفاء للكاتب الكبير الأستاذ « محفوظ » وعاد الهدوء ، واستأنف مؤلف الرواية « أولاد حارتنا » حياته العادية ، عاودتنى رغبة ملحة فى الكتابة عن الرواية ، وبخاصة أنى قرأتها بعد المرأة الأولى مرتين أخريين ، كانتا أكثر فهماً وأعمق غوراً من الأولى ، وتكونت لدىّ فكرة جدًّ واضحة عن الرواية ، حتى صرت شهيداً لها أو عليها ، وكتمان الشهادة إثم عند الله :

﴿ . . وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ، وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ . . ﴾ (١) .

* *

● **حصيلة القراءة :**

تكونت لدىّ فكرة واضحة من خلال قراءة « أولاد حارتنا » من المرة الأولى التى قرأتها فيها على عجل .

وتأكدت لدىَّ تلك الفكرة فى صورة أوضح وأثبت - من القراءات التالية ، وكلما عاودت القراءة - ولو لبعض فقرات منها - ازددت يقيناً بصدق الفكرة التى تكوَّنت لدىَّ من أول مرة ، وظفرت بالأدلة القاطعة على صدقها من خلال ما جاء فى الرواية من كلام المؤلف نفسه ، إما على لسان بعض أشخاص أو شخوص الرواية ، وإما من كلامه المباشر ، وتصوراته وتعليقاته على بعض المواقف المسرودة فى الرواية .



---

(١) البقرة : ٢٨٣

## ● كيف نفهم الرواية ؟

كتب الأستاذ نجيب محفوظ روايته « أولاد حارتنا » عن موضوع احتفظ به في طوايا نفسه ، ثم اختار الأسلوب الرمزى وسيلة للتعبير عنه ، فلا تكاد ترى له لفظاً استعمل فى معناه الوضعى أو معناه المجازى ، بل انتقى ألفاظه بذكاء خارق فى شكل رموز يصعب على القارئ العام إدراك ما وراءها من معان ومقاصد . فكل معنى من معانيه التى لا يريد الإفصاح عنها تجده مغلفاً في غلاف رمزى شفيف أو كثيف .. ؟

ثم هو كثيراً ما يلجأ إلى الهروب أو الإحجام كلما أحس بأن المعنى الذى يواريه خلف الرموز يكاد أن يظهر ، فإذا أحس بذلك سرعان ما ينقض إلى الوراء للتمويه والإفلات .

وهذا يمكن أن نطلق عليه : الفر بعد الكر ، أو الإحجام بعد الإقدام ، وله فى ذلك مسالك عديدة سننبه عليها فى بعض المواضع .

ولذلك فإن فَهْمَ المعانى الخبيئة فى الرواية ، وكذلك المقصود العام منها يتوقف - أى الفهم - على العناصر الثلاثة الآتية :

**أولاً** : العلم بمادة الموضوع الذى صاغ روايته حوله .

**ثانياً** : فك الرموز التى شاعت فى الرواية ، ومعرفة مدلولاتها خارج الرواية .

**ثالثاً** : التمكن من معرفة مواضع الفر بعد الكر ، أو الإحجام بعد الإقدام ، للتمويه على القارئ ، وإثارة موجات من الضباب المعتم أمام ناظريه .

ولذلك ؛ فإن فهم « أولاد حارتنا » يصعب على القارئ العادى ، ولما كان الحديث عنها قد عمَّ وطم ، وأن الإرهاصات بتقديمها للجمهور فى شكل مسلسلات تليفزيونية ، أو فيلم كفيلم « المهاجر » قد بدأت تتردد ، أمام هذا

كله رأيت من « الواجب » التعريف بحقيقة هذه الرواية ، شهادة حق أُسْأَلُ عنها أمام الله العليم بذات الصدور .

❊ ❊

## ● فك الرموز :

التعريف بـ « أولاد حارتنا » يبدأ بفك الرموز المستعملة فيها ، ثم التنظير بين معانيها الرمزية ، والمعانى المقابلة لها فى الخارج فى مادة الموضوع الذى أدار عليه المؤلف الحديث من طرف خفى ، ثم الكشف عن مواضع « الفر » أو « الإحجام » بعد « الكر » أو « الإقدام » الذى أشرنا إليه من قبل .

❊ ❊

## ● أنواع الرموز :

الرموز التى وظَّفها الكاتب الكبير الأستاذ « محفوظ » ليست نوعاً واحداً ، بل جاءت - كما تبين لنا بعد النظر الطويل - على ثلاثة أقسام :

**الأول** : رموز « أشخاص » أو « شخوص » (١) ، مثل أدهم وعرفة .

**الثانى** : رموز أماكن ، مثل « صخرة هند » و « الخلاء » .

**الثالث** : رموز معان ، مثل « الوقف » ، و« السحر » .

وهذه الرموز على اختلاف أنواعها قسمان :

● رموز شفيفة يمكن فهم معناها بيسر وسهولة .

● رموز كثيفة لا يُفْهم المراد بها إلا بعد فكر طويل ، وتأمل عميق .

وبفضل الله وتوفيقه استطعنا فك رموز الرواية بقسميها :

الشفيف والكثيف - كما سيرى القارئ - وهذا جعلنا على ثقة كاملة بأن

---

(١) الأشخاص ما كان لهم وجود فى الواقع ، والشخوص ما ليس لها وجود إلا فى الخيال .

ما نقدمه للقارئ فى هذه الدراسة ، ترجمة صادقة لألغاز الرواية ، والموضوع الذى تحكيه ، والأهداف المرادة منها ، مهما توارت وأحيطت بهالة من الغموض المتعمد ، والتمويه المريب .

* *

## ● الرموز التى نركز على فكها :

ومن جهة أُخرى نوزع رموز الرواية - كلها - على درجتين :

**الأولى** : رموز أصول أو أقطاب يدور عليها بناء الرواية كلها ، أو بناء فصلٍ فصلٍ منها ، مثل : الجبلاوى ، والبيت الكبير ، والوقف . فهذه رموز أصول اعتمد عليها الكاتب الروائى من أول كلمة ، إلى آخر كلمة فى « أولاد حارتنا » .

ومثل : أدهم ، جبل ، رفاعة ،قاسم ، عرفة . فهذه رموز أصول - كذلك - لكنَّ كل رمز منها موقوف - بالدرجة الأولى - على الفصل الذى ورد فيه .

**الثانى** : رموز مساعدة أو « فرعية » تؤدى دوراً ما فى نسيج الفصل الذى هى فيه ، وذلك مثل « البلقيطى » فى فصل « جبل » ، و« عبدة » فى فصل « رفاعة » ، و« زكريا » فى فصل « قاسم » ، و« حنش » فى فصل « عرفة » ، ومثل « همام » فى فصل « أدهم » من قبل .

والرموز الأصول حين يُفَك معناها سرعان ما تتساقط طاقات من الضوء على وجوه الرموز « المساعدة » أو « الفرعية » ، فيُدْرك معناها تباعاً على طريقة تداعى المعانى كما يقول علماء النفس ، لذلك فإن الرموز التى سنركز على فك معانيها ، ونقيم عشرات الأدلة على صدق ما فهمناه منها ، هى الرموز الأصول . أما الفرعية فسنشير إلى معناها دون سرد أدلة ، توخياً للإيجاز من جهة ، ولأن أدلة الرموز الأصول الواقعة هى - أى الفرعية

المساعدة - فى إطارها أدلة عليها فى الواقع ، من جهة أُخرى . فالرموز الأصول هى مفاتيح الأبواب الخارجية للحصون الخمسة التى بناها المؤلف بقلمه فأحكم بناءها ، فإذا تمكنت من « فتح الباب الخارجى » سهل عليك التجوال فى البيت ، أما غرفه من الداخل فقد اعتاد الناس عدم غلقها ، وحتى لو أغلقوها اكتفوا بمجرد « سد الغرف بالأبواب » دون استعمال الأقفال وإحكامها ، هذا المثل ينطبق تماماً على صُنْع الأستاذ « محفوظ » فى روايته « أولاد حارتنا » العالَمية لفظاً ومعنى ؟

❋ ❋

● ماذا فهمنا ؟

سبق أن فكرة واضحة تكوَّنَتْ لدينا من قراءة « أولاد حارتنا » ، فما هى تلك الفكرة ؟

فى الواقع أننا فهمنا أمرين بينهما تناسق الأسباب والمسببات :

**الأمر الأول** : فهمنا « جوانيَّات » الأستاذ نجيب محفوظ حين خط بمشاعره ووجدانيَّاته هذه الرواية ، قبل أن يخطها سطوراً على الورق بقلمه .

**الأمر الثانى** : فهمنا رأى أو مذهب - وهو الأصح - الأستاذ نجيب محفوظ فى الموضوع الذى تحدَّث عنه من وراء ستار فى الرواية ، ثم مذهبه فى البديل عنه - عن الموضوع - ومصير كل منهما ، وهذان الأمران بينهما تناسق الأسباب والمسببات كما قلنا . فالأمر الأول - الجوانيَّات - كان سبباً فى الأمر الثانى لا محالة ، ولنضع النقط فوق الحروف :

❋ **الجوانيَّات** :

كان الأستاذ نجيب محفوظ حين كتب روايته « أولاد حارتنا » ينتابه قلق فكرى فلسفى حول « نظرية المعرفة » وهى إحدى القضايا الحيوية التى طرقها الفكر الفلسفى منذ أقدم العصور ، ومؤلف الرواية واحد من رجال الفلسفة ،

ومن المعروف أن نظرية المعرفة هذه تتعلق بما وراء الطبيعة ، أو « الميتافيزيقيا » ، وبعبارة أوضح : الأمور الغيبية ، كحقائق الإيمان بالله ، ونشأة الكون والإنسان وهل للكون خالق مُدبِّر أم خالق غير مدبِّر أم ليس له خالق على الإطلاق ؟!

ونتج عن هذا الاختلاف حول مصدر المعرفة ثلاثة مذاهب :

**الأول** : أن مصدر المعرفة هو الدين ، وطريقه الوحى وكلام الرُّسُل .

**الثانى** : أن مصدر المعرفة هو العقل ! وطريقه التأمل المجرد (١) .

**الثالث** : أن مصدر المعرفة هو الحواس الخمس ، ومجالها المادة المحسوسة ، وطريقها التجارب والملاحظة والاستنتاج ، أو بعبارة أوجز : مصدر المعرفة هو العلم الحديث ؟!

ومع ازدهار حركة العلوم الحديثة ، وما نتج عنها من اكتشافات ومبتكرات مذهلة ، أحدثت فى الفكر انقلاباً ، وفى الحياة تطوراً ، مع هذا الجديد كله أكبر الناس العلم الحديث ، وفُتنوا به ، وبخاصة شرائح معينة من المثقفين ، ومنهم الأستاذ « محفوظ » ، وعلقوا عليه آمالاً لا نهاية لها ، وبدأ حظ الدين - عند هؤلاء - فى العد التنازلى ، فزهدوا فيه ونزعوا الثقة منه ؟! وأداروا له ظهورهم عن سوء فَهْم ؟!

واختلافهم حول مصدر المعرفة ترتب عليه أمر آخر شديد الخطورة وهو ربط الإلزام والتوجيه فى الحياة بما هو مصدر للمعرفة :

- فمن ذهب إلى أن الدين هو مصدر المعرفة جعل له السيادة على شئون الحياة كبيرها وصغيرها ، فلا تُسمع كلمة لسواه .

---

(١) العقل له فلسفتان : إحداهما تقوم على التأمل المجرد فى حقائق الكائنات ، وهى المقصودة هنا . والثانية البحث العملى بإجراء التجارب فى حقائق الكائنات ثم الملاحظة والاستنتاج ، وعمله هذا مرتبط بالحواس الخمس . وهذا النوع من العمل العقلى هو المرتبط بميادين العلم الحديث .

- ومن ذهب إلى أن العقل هو مصدر المعرفة رفعه إلى درجة الألوهية ، ونسب إليه الأمر والنهى ، والإرشاد والتوجيه ، فهو المسموع الذى تجب طاعته دون غيره ؟!

- ومن ذهب إلى أن العلم الحسى الوضعى هو مصدر المعرفة ، أسلم إليه الريادة والقيادة فى شئون الحياة ، فهو القائد الأوحد ؟ وما عداه تابع لا متبوع ؟!

ويوضح هذا كله الإجابات الثلاث عن هذا السؤال :

لمنْ نسمع ونطيع ؟

الأولون يقولون : للدين ، والتالون لهم يقولون : للعقل ، والآخرون يقولون : للعلم الحديث ؟! (١) .

هذه الأُمور يعرفها الأستاذ نجيب محفوظ حق المعرفة ، قبل أن يكتب روايته ، وحين كتبها ، وبعد أن فرغ من كتابتها .

وكل كلمة فى الرواية تدل على أن كاتبنا الكبير ، كان حين كتب روايته يؤمن إيماناً قوياً بالاتجاه أو المذهب الثالث ، وهو الولاء الكامل للعلم الحديث، والثقة المفرطة فيه ، مضافاً إليه شعبة البحث العقلى التجريبى زاهداً كل الزهد فيما سواه ، وبخاصة المعارف الدينية ، والتوجيه المنبثق عنها .

هذه هى « جوانيَّات » الأستاذ نجيب محفوظ ، حين كتب روايته « أولاد حارتنا » منذ أكثر من ثلاثين عاماً .

❃ ❃

## ● الهدف من وضع أولاد الحارة :

عرفنا مما سبق الأيديولوچية ( العقيدة ) التى كانت تسيطر على الأستاذ نجيب محفوظ ، حين وضع روايته الذائعة الصيت « أولاد حارتنا » ، وسنقيم

---

(١) هذا الاختلاف مبنى على أن عداءً مستحكماً قائم بين الدين ، والعقل ، والعلم . وهذا فى الواقع وَهْم من الأوهام ، أدّى إليه سوء الفهم وقصر النظر عند القائلين به .

على وجودها لديه حينذاك أقطع الأدلة من واقع الرواية نفسها ، ومعرفة تلك الأيديولوچية مهمة جداً فى معرفة الهدف الذى وضع روايته من أجله .

هذا الهدف - باختصار شديد - هو تفشيل دور الدين بوجه عام فى حلول مشكلات الحياة ، وتحقيق السعادة للناس فيها ، وبعد وقوع ذلك التفشيل ، من خلال ما ورد فى الرواية ، يأذن الأستاذ « محفوظ » للعلم الحديث أن يطل برأسه إلى الوجود ، ثم ينمو شيئاً فشيئاً حتى يصبح عملاقاً لا يقاوم ، وقادراً لا يعجز ، ثم يتمكن من القضاء على الدين متمثلاً فى قتل أو موت الجبلاوى - كما سيأتى - ويهز مشاعر أولاد الحارة أو الدنيا ، بمخترعاته المذهلة ، فينحاز الناس أو أولاد الحارة إلى عرفة وحنش ، اللذين يمثلان العلم الحديث ، ويفضلونه على الدين عياناً جهاراً ، وينخلعون عن الإطار الدينى النبوى فى وَضَح النهار ؟!

وقد رُكِّبَتْ وقائع الرواية تركيباً عضوياً حياً لا مجرد سَرْد ، وبُنِيت بناءً محكماً متماسكاً ، بحيث تؤدى كل « لبنة » فيها أو « طوبة » إلى التى تليها ، لتكون الوقائع مرتبة ترتيباً منطقياً متصاعداً . وذلك كله إرهاص متتابع يوحى بالنتائج قبل ورودها ، فعل ذلك الكاتب فى مهارة فنية بارعة ، وهيأ جميع الأسباب لتتمكن النتائج النهائية فى نفوس أولاد الحارة - الدنيا - فلا تزول وإن زالت الشُّمُ الرواسى من الجبال .

ومهمتنا فى هذه الدراسة أن نقيم الدليل تلو الدليل على صدق الفرضين اللذين افترضناهما ، وهما :

الأيديولوچية ( العقيدة ) التى كانت تسيطر على الأستاذ نجيب محفوظ حين كتب « أولاد الحارة » .

ثم هدفه من وضع الرواية ، وهو تفشيل دور الدين وإحلال العلم الحديث محله ، وكيف توصل الكاتب إلى هذا الهدف الخطير ؟!

* *

● **منهجنا فى الدراسة :**

**أولاً :** سنلتزم نسق الكاتب فى ترتيب فصول الرواية أولاً فأولاً .

**ثانياً :** إذا كان النص الذى نحتاج إليه قصيراً نقلناه كما هو مع الإشارة إلى موضع وروده فى الرواية فى أسفل الصفحة « الهامش » ، أما إذا كان النص طويلاً فسنكتفى بتلخيصه بكل أمانة وحيطة ، ثم نشير إليه فى الهامش برمز « أولاد الحارة » ، أما النص المنقول كما هو فنشير إليه مسبوقاً باسم الرواية « أولاد حارتنا » ليكون التمييز بينهما واضحاً .

**ثالثاً :** سنقوم بكتابة نوعين من « التعليقات » بعضها فى صلب الصفحة ، والآخر فى الهوامش حسب أهمية الموضوع الذى اقتضى التعليق .

**رابعاً :** سنلجأ كثيراً فى أثناء نقل النصوص أو تلخيصها إلى وضع جمل تفسيرية معترضة ، وسنميزها بوضعها بين شرطتين هكذا - . . . - لئلا يُظن أنها من النص المنقول أو الملخص . هذا وبالله التوفيق .

**الدكتور عبد العظيم المطعنى**

**عفا الله عنه**

❊ ❊ ❊

# افتتاحية

إذا لم يكُنْ عَوْنٌ من الله لِلفتَى ... فأوَّلُ ما يَجْنِى عَلَيه اجـــتهَادُهُ

صدَّر المؤلف روايته « أولاد حارتنا » بمقدمة أسماها : « افتتاحية » وصاغها فى عبارات شديدة « الاختزال » ، وفى الجدول الآتى رصد لأهم ما ورد فيها من رموز مع الإشارة إلى معانيها حسب دلالات المقام عليها :

| م | الرمز | معناه |
| --- | --- | --- |
| ١ | الحارة : | الكرة الأرضية أو « الدنيا » . |
| ٢ | أولاد الحارة : | الإنس والملائكة ، والجن . |
| ٣ | الجبلاوى واعتزاله : | هو فى الرواية : « الله » سبحانه ، واعتزال الجبلاوى : رمز إلى توقف دور الدين ؟ |
| ٤ | البيت الكبير : | الحضرة القدسية [1] . |
| ٥ | الوقف : | منهج الله فى إدارة شئون الحياة . |
| ٦ | الشروط العشرة : | الوصايا العشر فى أواخر سورة « الأنعام » . |
| ٧ | الخلاء : | الغيب أو ما وراء الطبيعة من أسرار . |
| ٨ | أدهم- جبل- رفاعة- قاسم | أسماء أو رموز أربعة رسل سيأتون . |
| ٩ | الحكايات : | التاريخ الدينى النبوى . |
| ١٠ | المقاهى : | مركز العلم والإعلام . |
| ١١ | شعراء الرباب : | الرواة والدعاة الدينيون . |
| ١٢ | الفتوات : | المتسلطون وذوو القهر . |
| ١٣ | النبابيت : | أدوات القمع والاضطهاد . |

(١) تردد رمز البيت الكبير بين عدة معان فى الرواية منها : الجنة ، والوصف الجامع لها هو ما ذكرناه .

# افتتاحية

الحارة : هى رمز للحياة الدنيا طولاً وعرضاً ، شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، عمقاً وارتفاعاً .

وأولاد الحارة : هم الناس جميعاً منذ خُلِق آدم وحواء مضافاً إليهم الملائكة والجن ؟

والجبلاوى : هو رمز الألوهية أو « الله » سبحانه عما يقولون ، واعتزال الجبلاوى رمز به الكاتب إلى توقف الرسالات السماوية بعد الإسلام ؟

أما البيت الكبير : فإن سياق الكلام - هنا - يدل على أن الكاتب أراد به « عرش الرحمن » وما فيه من أسرار قدسية وغيبيات لا يعلمها إلا الله ، وفى مواضع أُخرى رمز به المؤلف إلى « الجنة » أو « رحمة الله » .

والوقف : هو منهج الله فى الوجود ، المتمثل فى الدين الذى ارتضاه بما فيه من عقائد ، وعبادات ، ومعاملات وأخلاق ، وأوامر ونواه تحكم حركة الحياة .

والشروط العشرة : هى الوصايا العشر الجامعة لأُسس الفضائل الواردة فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ ، أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ ، نَّحْنُ نَرزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُم فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ،

وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وإدارة الوقف : هى الاستخلاف فى الأرض ، لإدارة شئون الحياة - بعد الإيمان بالله ورُسُله واليوم الآخر - على هُدَى الله وما شرعه لعباده من شرائع .

أما أدهم وجبل ورفاعة وقاسم ، فهم : آدم وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه .

والحكايات : هى التاريخ أو القصص الدينى النبوى (٢) .

والمقاهى : هى أماكن تجمعات الناس ، أو مراكز العلم والتعلم والإعلام .

وشعراء المقاهى : هم رواة التاريخ الدينى النبوى ، والقصاصون والدعاة إلى الدين ، أو هم حملة المعرفة الدينية بالذات ، الذين ينقلونها من جيل إلى جيل ، ويدخل فى ذلك كل وسائل التثقيف الدينى .

والفتوات : هم المتسلطون ، سواء كانوا حكاماً أو سدنة دين .

والنبابيت : هى آلات القمع وسياط الاضطهاد والتعذيب .

* *

● **الأدلة :**

نكتفى - هنا - بالتدليل على معانى ثلاثة رموز :

**الأول - الحارة هى الدنيا :**

**الدليل الأول - الامتداد الزمانى :**

عرفنا عند فك الرموز أن أدهم وجبلا ورفاعة وقاسما هم على الترتيب :

---

(١) الأنعام : ١٥١ - ١٥٣

(٢) التاريخ الدينى نوعان : وضعى وهو العقائد البدائية ، ونبوى وهو قصص الأنبياء المقصود هنا .

آدم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمداً ﷺ ، وستأتى الأدلة القاطعة على صحة هذا الفهم ، وبين آدم وخاتم الرُّسُل دهور طويلة لا يحصيها عدداً إلا الله علام الغيوب . وهؤلاء لم يعيشوا فى حارة فى مصر ، سواء كانت حارة الجبلاوى أو حارة البحراوى ؟!

ولا يعرف أحد على التحديد أين هبط آدم ، ولا متى هبط من الجنة إلى الأرض . فالحارة فى رواية « أولاد حارتنا » هى الدنيا بأسرها .

**الدليل الثانى – الامتداد المكانى :**

الرُّسُل الأربعة الذين رمز إليهم مؤلف الرواية بـ : أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم عاشوا فى أماكن مختلفة فى الأرض ، منهم من عاش فى مصر وغيرها كموسى وعيسى ، ومنهم من لم تطأ قدمه أرض مصر ، وهما آدَم أبو البَشر ، ومحمد خاتم الرُّسُل ، وهذا - بدوره - ينزع عن « الحارة » معناها الشديد الضيق ، ويضفى عليها معنى واسع المدى ، مترامى الأطراف ممتد الآفاق .

**الدليل الثالث – الامتداد الموضوعى :**

أشار المؤلف فى « افتتاحية » إلى طبيعة الموضوع الذى تفاعلت وتضاربت أصداؤه فى « الحارة » ، والصراع المرير بين أولادها ، وقيام البيت الكبير شامخاً فيها ، وإحاطة الخلاء به ، وترامى الصحراء حوله ، والحكايات التى تُحكى فيها ، واختلاف الرواة فى عرضها ، إما حسب الأهواء ، وإما حسب الانتماء الطائفى وتعاقب الأجيال بين ربوعها ، والحركات الصاخبة التى تموج فيها . إنه موضوع ضخم ومعقَّد ، لا تتسع له إلا الدنيا بأسرها ، لا حارة تَشْرَق وتختنق بعشرات من الناس يسيرون فيها ، أو عربتا « كارو » تقفان على جانبيها .

❋ ❋

### ● لماذا سمَّى الدنيا حارة ؟

أشرنا قبلاً إلى أن المؤلف كان واقعاً تحت سيطرة فكر قلق حين كتب هذه الرواية ، وأن أموراً كثيرة من قضايا الوجود كانت تضطرم فى « مخيلته » ، ولهذا فإن تسميته الدنيا حارة تسمية تتسق مع « الجو النفسى » للكاتب ، فإن بين الحارة والحيرة رحماً ماسة ، وكلتاهما تدلان على الارتباك والتشتت والاضطراب ، وهى - أى التسمية هذه - وليدة نظرة « تشاؤمية » إلى الحياة .

❊ ❊

### ● الرمز الثانى - أولاد الحارة هم الناس جميعاً :

#### الدليل الأول - آدم أبو البَشر :

بدأت الرحلة فى « أولاد حارتنا » من قبل أن يهبط آدم من الجنة ، ثم واصلت سيرها عبر التاريخ القديم وانتظمت أربعة رُسُل من ولد آدم بعثوا إلى الناس فى أزمنة وأمكنة جد مختلفة .

وحين انقطع الوحى بمبعث محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة ، فلما بلغها وقضى نحبه لم تكن البَشرية فى حاجة إلى رسول جديد لإكمال الدين كله بالإسلام ، وإعلان هذا الإكمال فى حجة الوداع فى العام العاشر الهجرى .

ثم مرت حتى تأليف « أولاد حارتنا » أكثر من ثلاثة عشر قرناً شهدت الدنيا فى أواخر هذه القرون مولد العلم الحديث وازدهاره وأنباء غزو الفضاء والتطور التكنولوچى فى كل مكان ، أتكون هذه الأحداث الضخمة قد ولدت فى حارة إذا وقف إنسان عند أحد طرفيها ، رآه من يقف على الطرف الآخر ؟

أوَ يكون أولاد هذه الحارة أولهم آدم أبو البَشر ، ومنهم هابيل وقابيل ثم الرُّسُل ، ثم رواد النهضة الحديثة . . ثم . . ثم ؟

هذا كلام له خبئ معناه ليست عقول .

أولاد الحارة - إذن - فى « أولاد حارتنا » هم الناس جميعاً فى أى مكان

وأى زمان وجدوا ، وليسوا هم أولاد حارة الجبلاوى ، ولا مصر ، ولا قارة أفريقيا أكبر تجمع عمرانى تنتمى إليه مصر ، أُم حارة الجبلاوى ؟ أو حارة نجيب محفوظ ؟

❋ ❋

**الدليل الثانى – مصر أُم الدنيا :**

الأستاذ نجيب محفوظ ، مهما اختلفنا معه حول هذه الرواية ، كاتب قدير بحق ، ومن أبرز خصائصه الأسلوبية إجادة فن « الرمز » ، وروايته هذه « أولاد حارتنا » شهادة بأُستاذيته ومهارته فى الأدب الرمزى الحديث .

والرمزيون يوظفون الرموز لمعانٍ خبيئة فى « جوانياتهم » ، ومحال أن يستعملوا رمزاً فارغاً أو ليس له « ظلّ » فى عالَمهم الداخلى .

وقد وردت فى « افتتاحية » عبارة تقول عن « الجبلاوى » :

« هو أصل حارتنا ، وحارتنا أصل مصر أُم الدنيا » (١) .

فهل – يا ترى – تُسلِّم بأن الكاتب الرمزى الكبير سطَّر هذه العبارة عبثاً أو لغواً خالياً من الدلالة الرمزية ؟ كلا ، فقد عودنا الكاتب بأن فى كل رمز له ، وإن كان لفظاً مفرداً ، معنى دفيناً تدل عليه من قريب ، أو تومئ إليه من بعيد .

وهذه العبارة بما فيها من تناسق تصاعدى ، تمثل هرماً مقلوباً : قاعدته « فوق » ، ورأسه « تحت » ، فالحارة أصل مصر ، ومصر أُم الدنيا .

هذه العبارة تومئ من طرف خفى بأن الكاتب أراد بها أن يقول : إنه لا يكتب عن « حارة » ، بل عن الدنيا زماناً ومكاناً وسكاناً ، تأمل كلامه

---

(١) « أولاد حارتنا » : ص ٥

تجده فخَّم من شأن « حارتنا » فجعلها أكبر من مصر « أصل مصر » ، ومصر هذه أُم الدنيا . فالحارة أُم الأُم ، وبعبارة رياضية :

إذا كان (أ) يعادل (جـ) ، و(جـ) يعادل (د) ، فإن الصلة بين (أ) رمز الحارة وبين (د) رمز الدنيا ، هى المساواة والتعادل .

ألا ترى المؤلف – هنا – أراد أن يخرج « حارتنا » من المفهوم الضيق المتبادر إلى الذهن ، إلى المفهوم الرمزى الممتد الشامل لكل معمور من الأرض ؟ وإلا فما الذى دعاه إلى هذه الرمزة الذكية ؟

فإذا كانت « حارتنا » تعادل الدنيا ، فإن أولادها هم أولاد الدنيا جميعاً . وهذا هو بغيتنا المنشودة من الدليل الثانى .

* *

**الدليل الثالث – ولادة النزاع مع ولادة الحارة :**

ومن خلال قراءتنا المتأنية الفاحصة لـ « افتتاحية » التى صدَّر بها المؤلف روايته « أولاد حارتنا » لفتت نظرنا عبارة قصيرة ، ولكنها شُحِنَتْ بمعنى رمزى اعتبرناه دليلاً ثالثاً على أن « حارتنا » هى الدنيا وأولادها جميع البَشر ، وربما دخل معهم الملائكة والشياطين (١) .

وإليك نصُّ العبارة :

« وُلِد النزاع فى حارتنا منذ ولدت ، ومضى خطره يستفحل بتعاقب الأجيال ، حتى اليوم » (٢) .

أتدرى ما هو ذلك النزاع الذى وُلِد مع الحارة منذ ولدت ؟

---

(١) فى الفصل الأول « أدهم » مثَّل الكاتب الملائكة بـ : جليل وعباس ورضوان ، ومثَّل الشياطين بـ « إدريس » ، وجعلهم من أولاد الحارة كما سيأتى بإذن الله .

(٢) « أولاد حارتنا » (٦) .

إنه النزاع الذى حدث من إبليس حين أبى السجود لآدم ، عاصياً ربه الذى أمره بالسجود .

ثم النزاع الذى نشب بين ولدى آدم قابيل وهابيل ، وانتهى بقتل هابيل على يد أخيه قابيل .

وهذا النزاع لم يكن غائباً عن ذهن الكاتب حين كتب هذه المقدمة « افتتاحية » بدليل أنه رمز إليه بنوعيه مرتين فى فصل « أدهم » كما سيأتى .

ولهذا نقول بكل اطّمئنان : . . . « إن الحارة فى « أولاد حارتنا » هى الكون كله ، وإن أولادها هم البَشر جميعاً ، ثم الملائكة والشياطين .

* *

### ● الرمز الثالث - الجبلاوى :

أخطر رمز فى رواية « أولاد حارتنا » هو رمز « الجبلاوى » ، وقد ورد هذا الرمز أول مرة فى المقدمة « افتتاحية » ، ثم استمر وروده بلا توقف حتى آخر صفحة من صفحات الرواية البالغ عددها : ٥٥٢ صفحة ، وسوء سمعة هذه الرواية « أولاد حارتنا » فى الأوساط الدينية ، وفى الرأى العام العربى والإسلامى - فضلاً عن المصرى - يرجع بالدرجة الأولى إلى رمز « الجبلاوى » حيث رمز به المؤلف - سامحه الله - إلى معانى « الألُوهية » أى « الله » تحس بهذا من اطلاعك على المقدمة « افتتاحية » ، وكلما مضيت فى القراءة زاد إحساسك بمعنى هذا الرمز الشيطانى الخطير ، وبخاصة فى الفصل الأول الذى أسماه « أدهم » إذا قرأت هذا الفصل أدركت - على سبيل اليقين الجازم - أن المؤلف لم يقصد بهذا الرمز سوى الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً . والعجب - كل العجب - أن أقلاماً انبرت للدفاع عن الأستاذ نجيب محفوظ ، وتدعى - زوراً وبهتاناً - أن الجبلاوى فى « أولاد حارتنا » ليس هو الله ؟! ويستندون فى دفاعهم هذا « الخائب » إلى أسباب أوْهى من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون .

وأقسم برب السموات والأرض ، وعالِم الغيب والشهادة لو أن مسلماً أقسم بالله أن الكاتب لم يقصد من « الجبلاوى » إلا الله ما حنث فى يمينه ، ولكان صادقاً كل الصدق .

أو أن آخر أقسم بالطلاق على هذا الفهم لما حرمت عليه قرينته .

أما أُولئك الزاعمون بأن « الجبلاوى » فى « أولاد حارتنا » ليس المقصود منه الله ، فلا يخلو حالهم من الاحتمالات الآتية :

- إما أنهم لم يقرأوا الرواية فراحوا يشهدون بما لا علم لهم به ؟
- وإما أنهم قرأوا ولم يفهموا .
- وإما أنهم قرأوا وفهموا ، ثم عاندوا وكابروا ، وراحوا يشهدون شهادة زور ، ويصرون على الحنث العظيم ، ويحسبونه هيناً ، وهو عند الله عظيم .

وها نحن أولاء أمام هذه المكابرة ، وذلك العناد نستخرج من كلام المؤلف عشرات الأدلة التى تكشف زيفهم ، وتعرى مواقفهم وتسحق زورهم وبهتانهم ، وترد كيدهم فى نحورهم ، وتظهرهم على حقيقتهم أمام القُرَّاء مهما كانت مواقعهم وانتماءاتُهم (١) .

❋ ❋

## ● الأدلة الواردة فى المقدمة :

### الدليل الأول – لغز من الألغاز :

قبل أسطر من ورود رمز « الجبلاوى » لأول مرة فى الرواية ، مهَّد له المؤلف برمز آخر هو « جَدُّنا » مقصوداً منه الله كذلك . قال المؤلف :

---

(١) سنكتفى – الآن – بإيراد الأدلة التى وردت فى مقدمة الرواية « افتتاحية » ، لأن الحديث – هنا – مقصور عليها . وفى أثناء حديثنا عن فصول الرواية الخمسة سنشير إلى كل دليل يتعلق برمز « الجبلاوى » الذى أريد به « الله » .

« وما أكثر المناسبات التى تدعو إلى ترديد الحكايات ، كلما ضاق أحد بحاله ، أو ناء بظلم أو سوء معاملة ، أشار إلى البيت الكبير . . . وقال فى حسرة :

« هذا بيت جدنا ، جميعنا من صلبه . . » (١) .

فى هذا النص ثلاثة رموز :

البيت الكبير ، وهو مستودع الأسرار الإلَهية ، أو العرش .

و« جَدُّنا » ، وهذا الرمز جاء على تشبيه « الخالق » بوالد الأبناء ، فيكون معناه : خالق أبينا آدم .

والثالث : « من صلبه » أى : من خلقه وإيجاده ، فليس مراد الكاتب المعانى الحقيقية الظاهرة للألفاظ ، بل مراده معانى أُخرى تربطها بالمعانى الحقيقية الظاهرة أنماط من العلاقات ، مثل علاقة التشبيه التى أشرنا إليها الآن .

وبعد هذه الرموز التمهيدية ورد رمز « الجبلاوى » لأول مرة فى قول المؤلف :

« وجَدُّنا هذا لغز من الألغاز ، عُمِّر فوق ما يطمع إنسان أو يتصور ، حتى ضُرب المثل بطول عمره ، واعتزل فى بيته لكبره منذ عهد بعيد ، فلم يره منذ اعتزاله أحد . . . على أى حال كان يُدْعَى الجبلاوى ، وباسمه سميت حارتنا ، وهو صاحب أوقافها ، وكل قائم فوق أرضها ، والأحكار المحيطة بها فى الخلاء » (٢) .

فى هذه الفقرة رمزان :

أحدهما ما أثبتناه فى العنوان « لغز من الألغاز » ، والثانى ما دعاه المؤلف بـ « اعتزال » الجد الذى هو الجبلاوى ، أما الرمز الأول « لغز » فهذا دليل أول على أن « الجبلاوى » فى « أولاد حارتنا » رمز الألوهية « الله » .

ذلك أن الله « ليس كمثله شىء » ، ولا تحيط به الفكرة ، هو فوق

---

(١) أولاد حارتنا ص ٥ (٢) أولاد حارتنا ص ٥ ، بتصرف بالحذف اليسير .

الظنون والأوهام ، هو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، هو الظاهر ، وهو الباطن .

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ (١) .

هو الغنى القائم بنفسه ، فوق الزمان ، وفوق المكان ؛ لأنه كان قبل أن يخلق الزمان والمكان .

هذه المعانى - وغيرها كثير - هى المرموز لها بأنها « لغز » ؛ لأن طبيعة اللغز تقتضى التفكير العميق والحيرة والارتباك ؟ وقد كلَّف المؤلف نفسه شططاً ، وجنح به الخيال جنوحاً حين وصف « الجبلاوى » بأنه لغز ، وهو يرمز به إلى « الله » ، فالله يُعْرَف بآثاره وآلائه وآياته فى الكون ومن فيه ، وما فيه . أما ذاته العلية ، فالعقول - مهما بلغت من العبقرية والذكاء - أعجز ما يكون العجز عن إدراك كنهها ، والإحاطة بها ، وعلى أية حال ، فإن هذا الوصف « لغز » أول دليل فى المقدمة على أن المراد من رمز « الجبلاوى » هو « الله » جلَّ فى عُلاه .

* *

● **الاعتزال :**

هذا رمز ثان وصف به الكاتب « الجبلاوى » رمز الألوهية « الله » ، فقال : إنه اعتزل منذ عهدٍ بعيد ، والذى فهمناه من هذا الرمز أن المؤلف يقصد به انقطاع الوحى وتوقف الرسالات السماوية ، بعد أن جاء الإسلام حاملاً الكلمة الأخيرة لله فى توجيه الإنسانية جمعاء إلى ما فيه سعادتها فى الدنيا والآخرة :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ، وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٢) .

---

(١) الأنعام : ١٠٣ (٢) الأحزاب : ٤٠

أما قوله بعد ذلك :

« فلم يره أحد منذ اعتزاله » فقد رمز به لـ « عدم سماع كلام جديد له بعد توقف الرسالات ، مشبِّهاً السماع بالرؤية فى سياق نفى كل منهما ، ولم ندرج هذا الرمز والذى قبله فى قائمة الأدلة ، لأننا لا نعتبر إلا الأدلة الأصول ، أما ما كان من مدعيات المؤلف الخيالية ، فنكتفى بمجرد توضيحها للقارئ .

❊ ❊

**الدليل الثانى – مالك الملك :**

قال المؤلف يصف « الجبلاوى » رمز الألوهية : « الله » .

« وهو صاحب أوقافها ، وكل قائم فوق أرضها ، والأحكار المحيطة بها فى الخلاء » (١) .

سبق أن استدللنا على أن المراد من الحارة فى « أولاد حارتنا » هى الدنيا أو الوجود بأسره ، فإذا قال المؤلف بعد ذلك :

« وهو صاحب أوقافها ، وكل قائم فوق أرضها ... » كان معناه : « مالك الملك » ، ولن يكون صاحب هذا الوصف إلا الله .

❊ ❊

**الدليل الثالث – كان الله ولم يكن معه غيره :**

الله هو الأول بلا بداية ، القديم الذى لم يسبق وجوده عدم ، هذا المعنى أو هذه المعانى التى يؤمن بها المؤمنون الصحيحو الإيمان السليمو الاعتقاد فى الله ، أشار إليها مؤلف « أولاد حارتنا » ، فقال : « عاش فيها – أى فى الحارة – وحده ، وهى خلاء » (٢)

عبارته هذه تعنى أن « الحارة » هى الكون ، ولما كان رمز « الجبلاوى »

---

(١) أولاد حارتنا ص ٥

(٢) أولاد حارتنا ص : ٥ ، ٦

يعنى عند المؤلف « الله » كان معنى عبارته أن الله كان والكون خلاء ، ليس فيه سواه .

وهكذا تتضح حقيقة « الجبلاوى » فى الرواية ، طوراً بعد طور ويزيد المسألة وضوحاً هنا ، قوله واصفاً « الجبلاوى » :

« وكان بالضعفاء رحيماً » (١) .

❋ ❋

**الدليل الرابع – ضلال بعض الطوائف فى الاعتقاد :**

قال المؤلف : « ثم جاء زمان فتناولته قلة من الناس بكلام لا يليق بقدره ومكانته ، وهكذا حال الدنيا » (٢) .

الذى فهمناه من هذه العبارة فى وصف « الجبلاوى » رمز الألوهية « الله » عند المؤلف احتمالين :

**أحدهما** : الإشارة إلى العقائد الوضعية البدائية حول نشأة العقيدة فى الله ، مثل أديان الهند ، والفُرس ، واليونان القدماء ، وعقائد مصر فى عهد الفراعنة قبل عصر الرسالات ؛ لأن هذه العقائد كلها لم تصل إلى العقيدة المثلى فى الإيمان بالله ، وقد تكلم فيه أصحاب هذه النِّحل الوضعية بكلام لا يليق بقدره ومكانته ، كما قال المؤلف . وهذا الاحتمال هو الراجح عندنا ؛ لأن المؤلف يتحدث هنا عن عصر ما قبل الرسالات .

**الثانى** : أن يكون مراده الإشارة إلى الطوائف التى حرَّفَتْ حقيقة الرسالات التى جاءتهم بها رُسُلهم ، فهم – كأُولئك – نسبوا إلى الله ما لا يليق به ، كنسبة الصاحبة والولد ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وأياً كان مراده فإن هذه العبارة – على قصرها – دليل رابع على المراد

---

(١) أولاد حارتنا ص ٦

(٢) أولاد حارتنا ص ٦

بـ « الجبلاوى » الرمز إلى الألوهية « الله » ، لأن العبارة جزء من تاريخ الأديان ، وحلقة من حلقات نشأة العقيدة فى الله .

❊ ❊

**الدليل الخامس – وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو :**

هكذا وصف الله نفسه :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ . . ﴾ (١) .

﴿ عَالِمُ الغَيْبِ ، فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحَداً ﴾ (٢) .

وهذه هى عقيدة المؤمنين : لا يَعْلمُ الغيبَ إلا الله .

قارن هذا الوصف بما جاء فى قول المؤلف يصف « الجبلاوى » :

« أليس من الغريب أن يختفى هو فى هذا البيت الكبير المغلق ، وأن نعيش نحن فى التراب » (٣) .

إذا أحسنت المقارنة والفهم تبيَّن لك فى الحال أن عبارة المؤلف تشير إلى استئثار الله بعلم الغيب ، يدلك على هذا وصف البيت الكبير – بيت الجبلاوى – بأنه مغلق ، موظفاً هذا الرمز « مغلق » فى الدلالة على الحيلولة بين الخلق وبين ما هو كائن فى علم الله ، كما قال عيسى ابن مريم عليه السلام : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى ، وَلاَ أعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ ﴾ (٤) .

أليس هذا دليلاً من أقوى الأدلة على أن « الجبلاوى » فى « أولاد حارتنا » المراد به عند المؤلف هو « الله » سبحانه .

❊ ❊

---

(١) الأنعام : ٥٩
(٢) الجن : ٢٦
(٣) أولاد حارتنا ص ٦
(٤) المائدة : ١١٦

**الدليل السادس - الرُّسُل أعلم الناس بالله :**

أى نزاع ينشأ حول أُصول الدين أو فروعه ، فالفزع فيه إلى رُسُل الله ، وما أنزل إليهم من ربهم ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ . . . ﴾ (١) .

احتفظ بهذه الحقيقة فى ذهنك ، ثم اقرأ ما قاله المؤلف فى هذه الفقرة :

« وإذا تساءلت عما صار به - يعنى الجبلاوى - وبنا إلى هذه الحال ، سمعت من فورك القصصى - أى الدينى النبوى - وترددت على أُذنيك أسماء : أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم . ولن تظفر بما يبل الصدر - لعله الصدى - أو يريح العقل » ؟! (٢) .

يقرر الكاتب - هنا - ما أشرنا إليه من فزع الناس إلى ما جاء به الرُّسُل إذا شب بينهم نزاع حول مسألة من أُصول الدين أو فروعه ، تضمن هذا قوله الذى نقلناه من سماع القصص أو ذكر ما جاء به الرُّسُل الذين رمز إليهم بـ « أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم : أى آدم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ ؛ لأن هذه الرموز الأربعة تعنى الرُّسُل الأربعة ، المذكورين ، وسيأتى إشباع القول عنهم فى المباحث التالية .

فهذه الفقرة تفيد عدة حقائق :

**فأولاً** : أن المراد من « الجبلاوى » عند المؤلف هو الله ؟!

**وثانياً** : أن القصص الذى يُسمع عند التساؤل هو القصص الدينى النبوى .

---

(١) البقرة : ٢١٣

(٢) أولاد حارتنا ص ٦ ، وقوله : الصدر أظنه خطأ طباعياً ، وصوابه ما وضعناه بين الشرطتين .

وثالثاً : أن المعنى بـ « أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم هو : آدم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ » .

* *

● **تعليق :**

إن من المؤسف - حقاً - أن يقول المؤلف تعقيباً على الرجوع إلى ما جاء به الرُّسُل عند التنازع حول مسألة دينية : أصولية أو فرعية .

إن من المؤسف - حقاً - مرة أُخرى أن يقول المؤلف :

« ولن تظفر بما يبل الصدى ، أو يريح العقل » ؟!

فإذا كان وحى الله الحكيم إلى رُسُله الأمناء لا يشفى النفس ولا يقنع العقل ، فإلى أى شىء يفزع الناس بعد الله ؟!

﴿ أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَن أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوْقِنُونَ ﴾ (1) .

إن هذا القول لا يصدر إلا عن رجل لديه ريب فى « حقية » ما أنزل الله ، وما قضى به رُسُله . وظننا أن الكاتب ليس رقيق العقيدة إلى هذا الحد . ومع هذا « الظن » فإن قوله هذا يوقع فى الحيرة ، ويدعو إلى سوء الظن ؟

* *

● **الدليل السابع - اللجوء إلى الله فى الشدائد :**

من الأُمور المركوزة فى الطبع ، المتأصلة فى الفِطرة الإنسانية الفزع إلى الله ، واللياذ به ، واللجوء إليه فى الشدائد والمحن حتى غير المؤمنين بالله إذا أفزعهم خطر ، نسوا كفرهم وجأروا إلى الله ليكشف كربهم ، ويزيح غمتهم هاتفين بلسان حالهم ومقالهم : يا رب .

---

(1) المائدة : ٥٠

مصداق هذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ (١) .

ومؤلف « أولاد حارتنا » يدرك أن مفزع الناس فى الكوارث والمحن إنما هو الله ، ترى ذلك واضحاً فى قوله :

« وما أكثر المناسبات التى تدعو إلى ترديد الحكايات - يعنى القصص الدينى النبوى - كلما ضاق أحد بحاله ، أو ناء بظلم ، أو سوء معاملة ، أشار إلى البيت الكبير . . وقال فى حسرة :

« هذا بيت جدنا ، جميعنا من صلبه ؟ (٢) ، ونحن مستحقو أوقافه ، فلماذا نجوع ؟ وكيف نُضام » ؟ (٣) .

وقال : « ولا عزاء لنا إلا أن نتطلع إلى البيت الكبير ، ونقول فى حزن وحسرة : « هنا يقيم الجبلاوى ، صاحب الأوقاف ، هو الجد ، ونحن الأحفاد » (٤) .

أفليس فى كلام المؤلف - هنا - فى الموضعين أوصاف لا يوصف بها إلا الله قيوم السموات والأرض ، وليس الجبلاوى الذى لا وجود له إلا فى خيال المؤلف ؟

أما قوله : « هو الجد ، ونحن الأحفاد » ، فهذا لا يليق بـ : « الجبلاوى » باعتباره رمز الأُلوهية « الله » .

ولهذا القول - عندنا - محملان :

**أولهما** : أنه من الفر بعد الكر ، أو الإحجام بعد الإقدام ، ذكره المؤلف للتمويه والتشويش على القُرَّاء .

---

(١) النحل : ٥٢ (٢) لعله رمز إلى « من خلقه » لا صلبه حقيقة .

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٥ (٤) « أولاد حارتنا » ص ٧

وثانيهما : أن يكون رمزاً مبنياً على التشبيه ، بأن جعل خالق الأب الأول - آدم - كأبى الأب ، ولا غرابة فى ذلك ؛ لأن التعبير الرمزى فى الرواية ، لا يكاد يخلو منه سطر من سطورها فضلاً عن صفحاتها .

* *

## ● الدليل الثامن - خالق الكون :

عرفنا - قبلاً - أن الأستاذ نجيب محفوظ رمز بالحارة إلى الوجود الكونى كله ، يؤكد هذا ما حكاه فى الرواية من البداية إلى النهاية ، فضلاً عن الأدلة التى ذكرناها من قبل .

إذا تقرر هذا فتأمل قوله فى وصف « الجبلاوى » رمز الأُلوهية فى الرواية :

« هو أصل حارتنا » [(١)] .

وما عليك إلا أن تفك الرمز « أصل » ، وتقف على المعنى المتوارى خلفه ، وهو « خالق حارتنا » أى خالق دنيانا ، ثم تضم هذا الدليل إلى الأدلة التى ذكرناها قبله ، فيصبح لديك ثمانية أدلة فى المقدمة وحدها على أن المراد من « الجبلاوى » فى « أولاد حارتنا » : هو الله سبحانه .

* *

## ● الدليل التاسع - عجز الفكر عن الإدراك :

قلنا من قبل : إن الله تعالى يُعْرَف بآثاره وآلائه وآياته فى الكون ومن فيه وما فيه :

﴿ إنَّ فِى خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ ، وَاخْتلاف الَّليْلِ والنَّهَارِ ، وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ

(١) « أولاد حارتنا » ص ٥

فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً ، وَجَعَلَ فِيهَا أَنْهَاراً ، وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً ، أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ؟ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ؟ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ، أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ؟ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ؟ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢) .

﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَعَشِياً وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ ، وَيُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَابْتِغَاؤُكُم مِّنْ فَضْلِهِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ

---

(١) البقرة : ١٦٤ (٢) النمل : ٥٩ - ٦٤

خَوْفاً وَطَمَعاً ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ،. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

تأمل هذه الآيات جميعاً ، وسِرْ معها حيث سارت عُلُواً وسُفْلاً وعمقاً . وانظر كيف لفتت أنظارنا ، واستثارت وجداناتنا ومشاعرنا ، وأرشدت عقولنا ، وملأت قلوبنا إيماناً ويقيناً بالخالق البارئ العظيم .

وهذا هو منهج القرآن فى تنشئة الإيمان بالله ، ثم ترسيخه فى العقول والقلوب .

هذه الآيات ، وغيرها كثير ، فتحت أمامنا كتاب الكون كله لنقرأه فى صمت ، وفى تدبر ، يقرأه جميع الخلق الأُمى والمتعلم ، فالله قد يسَّر قراءته للناس جميعاً ، توخياً للهداية ، وتحقيقاً لأُصول الإيمان :

وهى - فى جملتها وتفصيلاتها - تدل دلالة قاطعة على أُصول الإيمان الأربعة الآتية :

١ - حصول الإيمان الإقناعى اليقينى بوجود الله .

٢ - تفرده بالعزة والسُّلْطان فى الكون ( الوحدانية ) .

٣ - وصفه بكل كمال لائق به .

٤ - تنزيهه عن كل نقص .

---

(١) الروم : ١٨ - ٢٧

بيد أن الأستاذ نجيب محفوظ قد أخطأ الطريق فى مجال معرفة الله ، فأدار ظهره للآثار والآلاء والآيات الكونية ، واكتفى بالنظر العقلى المجرد ليصل إلى كنه الذات العلية فعجز ولم يلوِ على شيء . وتلك هى عاقبة ومصير كل عقل لا يهتدى بالوحى ، ويظن أنه قادر - وحده - على إدراك حقيقة الذات الإلَهية العلية والإحاطة بها من كل الوجوه ، وكأنه عالِم طبيعى يضع يده على قطعة من المادة ، ثم يجرى عليها تجاربه فى المعمل ، ويراقب ويلاحظ ، ثم يدوِّن النتائج ، ويسجِّل القوانين ؟!

لكنه لما اعتمد على عقله المجرد ، كلَّ بصره ، وحار عقله ، ووجب قلبه ، ثم عاد إليه البصر وهو حسير .

فتعال : اسمع ماذا قال عن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) : « وكنت - وما زلت - أجد الحديث عنه شائقاً لا يُمَلُّ ، وكم دفعنى ذلك إلى الطواف ببيته الكبير لعلى أفوز بنظرة ، ولكن دون جدوى » [1] .

لقد رمز المؤلف بالطواف عن « التفكر » فى ذات الله المجيد وفى صفاته المقدَّسة ، راجياً أن يقف على حقيقتها أو بعض حقيقتها ، ولكن عاد بخفى حنين لا بحنين نفسه ، حيث تجاوز المتاح اليسير ، وهو معرفة الله بآياته فى الكون والنفس - إلى غير المتاح العسير ، وهو الإحاطة بحقيقة الذات العلية ؟!

أعرض عن الطريق المفتوح الممهَّد ، وقصد الطريق المسدود الموصد .

وما أكثر الفلاسفة الذين نهجوا من قبله نهجه فتفرقت بهم السبل ، وتقاذفت بهم الأمواج العاتية ، فى بحر لا تُرى شواطئه ، تشرق الشمس فيه وتغيب !

---

(١) أولاد حارتنا ص ٥

وأياً كانت تجربة المؤلف فى هذا المجال ، فإن اعترافه بعجز العقل عن تمام المعرفة فى « الجبلاوى » لدليل ذو خطر على أن المؤلف ما رمز بـ « الجبلاوى » لشىء إلا لقيوم السموات والأرض ، وإن كابر مكابرون ، وعاند معاندون ، وكل نفس بما كسبت رهينة .

* *

● **الدليل العاشر - غيب ما وراء الطبيعة :**

ما وراء الطبيعة اصطلاح فلسفى يراد به العالَم المعنوى ، مما لا يدرك بأى حاسة من الحواس الخمس ، ويقابله العالَم الحسى المادى ، وهو ما له وجود يدرك بالحواس الخمس ، ويشغل حيزاً من الفراغ ، سواء كان حيواناً ، أو نباتاً ، أو جماداً .

ومن لطف الله بعباده أن جعل ما وراء الطبيعة من اختصاص الوحى الأمين ، وما صح من كلام الرُّسُل المكرمين .

أما المادة - بكل أنواعها وتشكيلاتها وخصائصها ، فقد أخضعها الله لسُلْطان العقل وسيطرته ، والرشد الإنسانى فى هذه الحياة رهن بعدم الخلط بين الاختصاصين ، فإذا عكسنا وأعملنا الوحى فى اختصاص العقل ، أو العقل فى اختصاص الوحى ، فتلك نكسة أو كارثة تختل معها مسيرتنا فى الحياة .

وليس معنى هذا أن العقل لا مجال ولا عمل له فيما وراء الطبيعة ، كلا . بل له مجال وعمل ، شريطة أن يهتدى بالوحى . فالوحى هو أُستاذ العقل ومرشده وهاديه فى مجال البحث والنظر فى مسائل ما وراء الطبيعة ، وفى مقدمتها حقائق الإيمان . وقد أدرك هذه الحقيقة بعض المحدثين من مفكرى

الغرب ، فشبهوا انفراد العقل فى معرفة ما وراء الطبيعة بإنسان يحاول أن يعبر محيطاً متلاطم الأمواج بواسطة « حُزمة من بوص » ، فهو لا شك هالك ؟

وشبهه آخرون بالبوصلة تشير إلى الحق ولكن لا توصل إليه ؟

وشبهه فريق بالهوام الطائرة ترى النار فتحسبها نافذة ، فتهم بالخروج من خلالها فتحترق فى الحين ، هذه تشبيهات جد صائبة لأُناس عرفوا العقل على حقيقته بعد طول فكر ونظر ، واعترفوا بعجزه فى مجال الغيوب إذا انفرد بالنظر فيها .

والأُستاذ نجيب محفوظ فى الفقرة التى نقلناها عنه من قبل اعترف أن تجاربه الفكرية حول معرفة ما وراء الحس قد فشلت وعجزت عن الوصول إلى أى شىء ؟

ثم عاد فكرر الإشارة إلى هذا العجز حين قال :

« وكم وقفت أمام بابه الضخم أرنو إلى التمساح المحنَّط المركب أعلاه ؟ وكم جلست فى صحراء المقطم غير بعيد من سوره الكبير ، فلا أرى إلا رءوس أشجار التوت والجميز والنخيل تكتنف البيت ، ونوافذ مغلقة لا تنم عن أثر الحياة » (١) ؟!

إن المؤلف - هنا - لا يصف إلا « الغيبيات » أو حقائق ما وراء الطبيعة .

وقد رمز إلى الجهل بها - مهما بُذل فيها من فكر - بالنوافذ المغلقة ، التى لا تنم عن أثر لحياة ، أى لوجود أى شىء خارج نطاق الحس :

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٦ ، ونلفت نظر القارئ إلى أن قوله : « وكم جلست فى صحراء المقطم . . . إلخ عبارات تمويه من باب الفر بعد الكر الذى يلجأ إليه المؤلف كثيراً ليشوش على القراء ويصرفهم عن مراده .

لا شيء يُرى ، ولا يُسْمع ، ولا يُلْمس ، ولا يُذاق ، ولا تُشم له رائحة ؟

إن فشل تجاربه الذهنية - كما اعترف - أمر محتوم ؛ لأنه لم يأت البيوت من أبوابها ، ولم يستعمل فى هذا المجال الأدوات الخاصة بالبحث فيه ، ولو كان أصغى إلى الوحى ، وأخضع له عقله وتجاربه لوصل إلى غايته من أقصر طريق . أما نحن فحسبنا من اعترافه بالعجز - هنا - دليلاً عاشراً على أنه لم يرمز بـ « الجبلاوى » إلا لله الكبير المتعال .

* *

## ● التمساح المحنط :

استوقفت نظرى هاتان الكلمتان المكونتان من موصوف « التمساح » وصفة « المحنط » ، والذى شد انتباهى نحوهما غرابتهما الظاهرة عن الموضوع الذى يكتب عنه المؤلف هذه الرواية « أولاد حارتنا » ، بخاصة المقام الذى وردتا فيه « وكم وقفت أمام بابه الضَّخم أرنو إلى التمساح المحنط المركب أعلاه » ؟!

الحديث - هنا - عن باب البيت الكبير الذى يقيم فيه « الجبلاوى » حسب ما جاء فى الرواية ، ففوق هذا الباب تمساح محنَّط جعل كاتب الرواية يقف أمامه طويلاً ينظر إليه ؟

وكم ساءلت نفسى عن وجود هذا التمساح أعلى الباب ، وعن الوصف الذى وصفه به المؤلف « المحنط » ؟

ولما عوَّدنا الكاتب أنه يختار رموزه بدقة ، ويوظفها فى الدلالة على معان كامنة فى نفسه ، لا فى المعانى الظاهرة منها ، لما كان الأمر كذلك أطلت النظر فى البحث عن معنى مناسب لاتجاهه العام فى الرواية .

وها أنذا أعرض ما توصلت إليه على القارئ ، لعله يوافقنى على ما فهمت ، أو يرى غير ما رأيت .

ولنصغ سؤالين ثم نجيب عليهما :

ما المراد للمؤلف من الموصوف والصفة ؟

ثم ما علاقة المراد له بباب بيت الجبلاوى الكبير ؟

أما عن السؤال الأول فنقول :

لا ريب أن التمساح مصدر إرهاب وفَتْك .

أما وصفه بـ « المحنَّط » فله احتمالان كل منهما سائغ ، فقد يكون المراد منه : القديم البالى الذى ذهبت بهجته ! وقد يكون المراد منه « الجمود والجفاف » !

وأما عن السؤال الثانى فنقول :

المؤلف أبدى رأيه من قبل فى « الجبلاوى » ، وفى ما جاء به أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم .

أما « الجبلاوى » وهو رمز الأُلوهية عنده ، فقد قال عنه المؤلف : إنه اعتزل لكبره منذ عهدٍ بعيد ؟!

وأما أدهم وجبل ورفاعة وقاسم ، وهم رموز لأربعة رُسُل - كما تقدم - فد قال : إن حكاياتهم - يعنى الوحى المنزل على كل منهم - إذا رُدِّدَت على الأسماع ، فلن تَبل الصدى ولن تُريح العقل ؟!

فبين هذه « القِيَم » الدينية وبين نزعة المؤلف الفكرية أو الفلسفية عداء مستحكم حين كتب هذه الرواية منذ أكثر من ثلاثين عاماً ؟

وهذا يوضح لنا علاقة وضع التمساح المحنَّط على باب البيت الكبير ؟! رامزاً بهذه العلاقة إلى أن « الفكر الدينى » أو « المعارف الدينية التى مصدرها الوحى الأمين » قديمة بالية ، أو جامدة جافة ، وأن إبداء الرأى الحر فيها قد

يؤدى بصاحبه إلى الهلاك ؛ لأن لهذه « القِيَم الدينية » حُرَّاساً غلاظاً شداداً لا يرحمون من خالفهم فى الرأى ، وهم فتوات يحملون النبابيت !

وليس فى هذا تحامل على المؤلف ، فإنه أبداه بكل وضوح بعد ذلك بأسطر حيث قال :

« حتى اعتاد الناس أن يشتروا السلامة بالأتاوة ، والأمن بالخضوع والمهانة ، ولاحقتهم العقوبات الصارمة لأدنى هفوة فى القول أو فى الفعل ، بل للخاطرة تخطر فيشى بها الوجه » [1] .

أفلست معى – أيها القارئ – فيما فهمته وأبديته حول « التمساح المحنط » ؟

والمؤلف لا يقصد ديناً معيناً فيما كتب حتى الآن ، وإنما يتحدث عن الدين بوجه عام ، والذى استمد منه هذه القسوة التى نسبها إلى الفكر الدينى ، أو المعارف الدينية فيما أرى ، تاريخ الصراع الدينى الكنسى فى أوروبا فى القرون الوسطى ، الكنيسة فى ذلك الوقت كبتت الحريات ، وسيطرت على مصير الشعوب ، وفتكت بالخارجين عن نظامها ، واستلبت أموال الناس ، واستخفت بعقولهم وإنسانيتهم ، وباعت لهم الجنة فى المزاد العلنى ، وغفرت ، وهى لا تملك – لمن دفع ثمن المغفرة . وعادت العلماء ، كما فعلت أقبح الجرائم فحرقت بعضهم وهم أحياء ؟ ، وما قصص « برونو » و« جاليليو » و« نيوتن » عن الأذهان ببعيد ، أضف إلى ذلك جرائم محاكم التفتيش ، وما جرى فيها من عجائب وغرائب ، راح ضحيتها ما لا يعلم حقيقته إلا الله علام الغيوب ؟

بيد أن الكاتب فاته شىء عظيم ، فسوَّى بين تاريخ جميع الأديان وأخذ البرئ بذنب الآثم .

وإذا كان فى ذهنه شىء عن الإسلام من هذه التهم ، التى أساغت له أن

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٧

يقول ما قال ، فإن شيئاً آخر مُهِماً قد فاته كذلك ، وهو التفرقة بين قِيَم الإسلام وشريعته العادلة الصريحة ، وبين ما فعله المنتمون إلى الإسلام من الجاهلين بأوامره ونواهيه ، فليس كل ما فعله حاكم مسلم هو الإسلام ، فما أكثر الذين أساءوا إلى الإسلام - قديماً وحديثاً - وهم - من جهلهم - يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، أو لا يحسبون .

وإلى هنا نكون قد فرغنا من فك الرموز التى جاءت فى المقدمة « افتتاحية » فإلى الفصل الأول « أدهم » ننتقل الآن .

# أدهم

أهم الرموز الواردة فى فصل « أدهم » ومعانيها :

| م | الرمز | معناه |
|---|---|---|
| ١ | أدهم | آدم |
| ٢ | أُميمة | حواء |
| ٣ | همام | هابيل |
| ٤ | قدرى | قابيل |
| ٥ | إدريس | إبليس |
| ٦ | رضوان - جليل - عباس | رموز لجماعة الملائكة |
| ٧ | هند | الغواية الشيطانية |
| ٨ | إدارة الوقف | الخلافة أو الاستخلاف فى الأرض |
| ٩ | هانم | النور ، والنار |
| ١٠ | الجارية السوداء | الأرض |

# الفصل الأول

## أدهم

أدهم هو آدم عليه السلام ، هكذا قلنا من قبل ، وهكذا نقول الآن ، بيد أننا - قبلاً - اكتفينا بفك الرمز من أدهم إلى آدم ، أما - الآن - فنقرن الدعوى بالدليل ، أو بالأدلة - وهو الأصح - فأدهم - مرة أُخرى - فى رواية « أولاد حارتنا » ليس المراد منه إلا آدم أبو البَشر ، ولنأخذ فى إقامة الأدلة من كلام المؤلف نفسه : الأستاذ نجيب محفوظ .

### الأدلّة

**● الدليل الأول - السجود والاستخلاف فى الأرض :**

السجود والاستخلاف فى الأرض هما فى الواقع دليلان على أن أدهم هو « آدم » لا دليل واحد ، وإنما عددناهما - هنا - دليلاً واحداً مجاراة لما ورد فى « أولاد حارتنا » ، حيث إن المؤلف مزج بينهما فى طور واحد ، آخذاً من كل منهما بطرف من الملابسات التى اقترنت بها :

فإدريس الذى هو رمز لإبليس فى الرواية لم يكن له وجود فى قضية الاستخلاف ، بل كان دوره مقصوراً على قضية السجود فحسب ، فطوى المؤلف قضية السجود ، وزج بـ « إدريس » فى قضية الاستخلاف ، ثم مزج مرة أُخرى بين موقف الملائكة من السجود والاستخلاف ، حيث أطاعوا فسجدوا لما أُمروا بالسجود ، ولم يُبْدوا أدنى مخالفة ، أما فى الاستخلاف فقد أظهروا تعجباً مشوباً بشىء من الإنكار .

هذا هو القصص الحق خارج « أولاد حارتنا » ، أمَّا فيها فلم يرمز المؤلف إلا لقضية الاستخلاف ، ورتَّب عليها ثلاثة مواقف :

- موقفان للملائكة ، مزج فيه المؤلف بين الطاعة والتعجب المشوب بالإنكار.
- وموقف لإبليس وهو المخالفة العلنية العنيدة ، أو العصيان الصريح الساخط .

وهذا هو الذى جعلنا نعُدُّ الأمرين معاً : قضية السجود ، وقضية الاستخلاف دليلاً واحداً من أدلة أن أدهم هو آدم فى « أولاد حارتنا » ، وإليك البيان :

ينسب المؤلف إلى « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) فى الرواية أنه أنجب خمسة أبناء ذكور :

أدهم ، رضوان ، جليل ، عباس ، إدريس [(١)] .

وأنه جمعهم يوماً ، وكان « الجبلاوى » حين جمعهم يدير الوقف بنفسه ، والوقف رمز فى الرواية لشئون الحياة الدنيا ، ثم قرر - أى الجبلاوى - أن يتنازل عن إدارة الوقف لأحد أبنائه الخمسة ، وإدارة الوقف رمز للخلافة أو الاستخلاف فى الأرض . وفى هذا الاجتماع قال المؤلف : إن « الجبلاوى » قال لأبنائه :

« أرى من المستحسن أن يقوم غيرى بإدارة الوقف ، وتفحص وجوههم مرة أُخرى ، ولكن لم تنم وجوههم عن شيء ، ولم تكن إدارة الوقف مما يغرى قوماً استحبوا الفراغ ، والدعة وعربدة الشباب » [(٢)] .

---

(١) عباس وجليل ورضوان رموز لجماعة الملائكة ، أما إدريس فهو إبليس ، وأدهم قد عرفنا أنه « آدم » .

(٢) المؤلف - هنا - يتحدث عن الملائكة ، ويصفهم بالبطالة والفراغ والكسل وعربدة الشباب ، فهل هذا سائغ وهو يعلم فى دخيلة نفسه أنهم جماعة الملائكة ؟

ثم قال الجبلاوى : « وقد وقع اختيارى على أخيكم أدهم ؛ ليدير الوقف تحت إشرافى »[1] .

تلك هى قضية الخلافة ، يتحدث عنها المؤلف مستخدماً من الرموز وسيلة تعبيرية محببة لديه ، ومسألة الخلافة هذه وردت فى القرآن الأمين فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً . . . ﴾[2] .

❋ ❋

## • الدليل الثانى – عصيان إبليس :

قلنا من قبل : إن إبليس – أى إدريس فى الرواية – لم يكن له دور فى قضية الخلافة ، حيث لُعن وطُرِد من زُمرة الملائكة لما أبى أن يسجد لآدم امتثالاً لأمر الله ، ولكن المؤلف – كما تقدم – نقل عصيانه من قضية السجود إلى قضية الخلافة ، وإليك بعض ما قاله فى هذا المجال :

« تفجر الغضب فى باطن إدريس – إبليس أو الشيطان – فبدا كالثمل من شدة مقاومته ، ونظر إليه أخوته – أى رضوان وجليل وعباس – بحرج ، ودارى كل منهم – عدا أدهم طبعاً – غضبه لكرامته باحتجاجه الصامت على تخطى إدريس . . أما إدريس – أى إبليس – فقال بصوتٍ هادئ : . . ولكن يا أبى ، فقاطعه الأب ببرود وهو يلتفت نحوهم ، ولكن ؟! فغضوا الأبصار حذراً من أن يقرأ ما فى نفوسهم إلا إدريس فقد قال بإصرار :

ولكنى الأخ الأكبر ، فقال « الجبلاوى » مستاء : أظن أننى أعلم ذلك ، فأنا الذى أنجبتك » ؟![3] .

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٢ (٢) البقرة : ٣٠

(٣) « أولاد حارتنا » ص ١٢ ، وقد أشرنا إلى حذف ما ليس بمهم من كلامه بالنقط .

هذه نصوص مما قاله المؤلف فى شأن عصيان « إبليس » ، فتعال ننظر فيها معاً.

● **ملاحظات :**

لنا عدة ملاحظات على بعض ما ورد فى الفقرة الآنفة الذكر :

**الأولى** : وصفه « الجبلاوى » وهو رمز الأُلوهية ( الله ) عنده بأوصاف لا تليق به باعتبار معناه :

ومن ذلك نسبة الجهل إليه ، حين قال : أبناءه - غير أدهم وإدريس - دارى كل منهم غضبه ، لكى لا يعلم الجبلاوى ما فى نفوسهم ، وهو يعلم - أى المؤلف - أن الله عليم بذات الصدور ، ولا تخفى عليه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ؟!

ثم وصفه بالحزن والضيق فى قوله : « فقال الجبلاوى مستاء » أى حزيناً ضائقاً بحاله ؟

ثم وصْفُه بالظن فى قوله : « أظن أنى أعلم ذلك » ، والظن أحد طرفى الجهل ؟

أما قوله منسوباً إلى « الجبلاوى » : « فأنا الذى أنجبتك » ، وقول إدريس له : « يا أبى » ، فيمكن حمله على التعبير الرمزى ، فيكون معنى « أنجبتك » : « خلقتك » ، و« يا أبى » : « يا خالقى » ، كما يمكن حمل نسبة الأبناء إليه على الخلق كذلك ، نحن نعتذر عن المؤلف بهذه التأويلات ، أما الأوصاف التى وصف بها « الجبلاوى » رمز الأُلوهية « الله » ، فلا يقبل فيها اعتذار لا عند الله ، ولا عند الناس إلا بالتوبة النصوح .

**الثانية** : ادَّعى المؤلف أن جماعة الملائكة ، ممثلين فى رضوان وجليل وعباس ، احتجت على تتويج أدهم بالخلافة تضامناً مع إدريس - إبليس - ، وهذا تزوير واختلاق لا صحة له ، ومن يحمل كلام المؤلف فيه على التعاطف مع

إبليس لا يُلام ، وقد وُجِد هذا التعاطف من أدباء مصريين وغير مصريين ، فقد دعا الأستاذ توفيق الحكيم إبليس مظلوماً وشهيداً فى مقال له أسماه : « الشهيد » من قبل ، ونحا هذا المنحى أديب عربى هو خالد العظم ، وسبقهم إلى هذا بعض أدباء أوروبا ، وجعلوا تقديم أدهم على إدريس طعنة فى الديمقراطية والحريات الشخصية ؟!

**الثالثة** : وفى تسمية المؤلف لإبليس بإدريس تعظيم لشأنه ، وتنويه بفضله ، لأن إدريس هو نبى الله الذى قال فيه :

﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياً ﴾ (١) .

وفى هذه التسمية تأكيد لإظهار التعاطف مع إبليس ، وإخفاء هالة من الثناء العاطر عليه ؟! ألم يكن فى وُسْع المؤلف أن يسمى إبليس « جَهْلِيس » مثلاً ؟!

* *

### ● الدليل الثالث - تفضيل إدريس نفسه على أدهم :

عرض الكاتب لأسباب عصيان إدريس ، ومخالفته أمر « الجبلاوى » فى إسناد إدارة الوقف لأدهم ، وحصرها فى خمسة أسباب هى :

- كون إدريس هو أكبر أخوته : أدهم ، رضوان ، جليل ، عباس .
- كونه هو وإخوته الثلاثة أبناء هانم من علية النساء .
- كون آدم ابن جارية سوداء ، فَهُمْ شرفاء - إذن ، وهو وضيع .
- كون أدهم أصغر إخوته سناً .
- سواد لون أدهم وقماءة عوده ، وبياض ألوانهم هم وضخامة عود إدريس ؟

---

(١) مريم : ٥٦ ، ٥٧

وهذه الأسباب لا يصح منها إلا اثنان على وجه من التأويل وهما :

● فقد رمز الكاتب بخيرية أم إدريس ورضوان وجليل وعباس إلى أصل النشأة والخلقة ، فالملائكة مخلوقون من نور ، والشياطين - وأبوهم إبليس - مخلوقون من نار . وهذا سبب صحيح وبه نزل القرآن ، وهو يحكى مزاعم إبليس فى تفضيل نفسه على آدم .

● والسبب الثانى رمز إليه الكاتب بـ « الجارية السوداء » مشيراً إلى أصل نشأة آدم وخلقته ، وهى : الأرض ؟

قال المؤلف فى بيان هذه الأسباب :

« فقال إدريس : للأخ الأكبر حقوق لا تُهْضَم إلا لسبب » (1) .

وقال : « . . . ولكن الغضب لم يَدَعْ له فرصة لتدبر العواقب ، فاندفع - أى إدريس - خطوات ، حتى كاد يلاصق أدهم ، وانتفخ كالديك المزهو ليعلن للأبصار فوارق الحجم واللون والبهاء بينه وبين أخيه ، وانطلق الكلام من فيه . . . إنى وأشقائى أبناء هانم من خيرة النساء . أما هذا فابن جارية سوداء . . . وهو أصغرنا أيضاً . فدُلَّنى على سبب يُرَجِّحُنى به ، إلا أن يكون زماننا زمان الخدم والعبيد » (1) .

تأمل هذا الكلام تجد الأسباب الخمسة مبثوثة فيه ، وثلاثة منها من صُنْع خيال المؤلف .

ملحوظة : من تزوير الواقع أنْ جَعَلَ إدريس - إبليس - يدافع عن حقوقه وحقوق الملائكة . وهذا لم يحدث ولم يهتم إبليس إلا بنفسه .

وربما كان هذا التزوير كالتزوير الذى ادَّعى فيه المؤلف تضامن الملائكة ، مع إبليس - وقد أشرنا إليه من قبل - فى أن كلا منهما جئ به من باب الفر بعد الكر قصداً للتمويه .

---

(1) أولاد حارتنا ص ١٣

إن تفضيل إبليس نفسه على آدمْ واقعة صحيحة ، فذكرها فى سياق الحديث عن « أدهم » دليل قاطع على أن رواية « أولاد حارتنا » ما هى إلا سرد فنى مغلف للتاريخ الدينى النبوى بدءاً من قصة أبى البَشر آدم عليه السلام إلى خاتم الرُّسُل ﷺ .

* *

● **حديث القرآن عن هذه الواقعة :**

ورد ذِكْر هذه الواقعة فى القرآن الأمين فى المواضع الآتية :

**أولاً - سورة الأعراف :**

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (١) .

**ثانياً - سورة الحِجْر :**

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (٢) .

**ثالثاً - سورة الإسراء :**

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا ، إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ (٣) .

**رابعاً - سورة ص :**

﴿ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ، خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٤) .

---

(١) الأعراف : ١٢
(٢) الحجر : ٣٢ - ٣٣
(٣) الإسراء : ٦١
(٤) ص : ٧٣ - ٧٦

تأمل هذه الآيات تجد القرآن يحصر أسباب تفضيل إبليس نفسه على آدم فى سببين ، لا فى خمسة كما ورد فى الرواية . وهذا افتراء على الله ، وتزييف للواقع .

* *

## ● الدليل الرابع – طاعة الملائكة ، وتعجبهم :

مزج المؤلف بين طاعة الملائكة ، وتعجبهم فى مقام واحد ، هو قضية الاستخلاف كما قلنا من قبل ، وهذا مخالف جداً للواقع .

فطاعة الملائكة لها مناسبة ، وتعجبهم له مناسبة مختلفة ، أطاعوا فى قضية السجود ، وتعجبوا مستفسرين عن السبب فى قضية الاستخلاف .

فلنقف أولاً على مزج المؤلف وتزويره للوقائع [١] :

قال المؤلف عقب معارضة حادة من إدريس – إبليس – للجبلاوى رمز الأُلوهية ( الله ) :

« ورفع رضوان رأسه نحو أبيه ، وقال برقة باسمة : نحن جميعاً أبناؤك ، ومن حقنا أن نحزن إذا افتقدنا رضاك عنا ، والأمر لك على أى حال ، وغاية مرامنا أن نعرف السبب .

وعدل الجبلاوى عن إدريس إلى رضوان ، مُروِّضاً غضبه لغاية فى نفسه

---

(١) قد يقال فى الدفاع عن المؤلف – وقد قيل فعلاً – : إنه يكتب فناً ولا يكتب سيرة ولا تاريخاً ، ونقول : إن جَعْل الله وملائكته ورُسُله موضوعاً للخيال الفنى جريمة نكراء ، لأنها وسيلة للكذب والافتراء ، ويكفى شاهداً على ما نقول هذه الرواية نفسها « أولاد حارتنا » ، فهى طافحة بالافتراء على الله وملائكته ورُسُله ، واختلاق أقوال ووقائع ليس لها سند ، لا من لسان المقال ، ولا لسان الحال ، فكان حرياً بالمؤلف ألا يقدم عليها ، وأن يحرقها بعد أن أقدم عليها ، ويتوب إلى الله توبة نصوحاً .

فقال : « أدهم على دراية بطبائع المستأجرين ، ويعرف أكثرهم بأسمائهم ، ثم إنه على علم بالكتابة والحساب ؟!

« وعجب إدريس من قول أبيه كما عجب إخوته . . . وتساءل إدريس متهكماً :

« أتكفى هذه الأسباب لتبرير ما يراد بى من مذلّة .

« فأشار الجبلاوى نحوه بضجر ، وقال :

« هذه إرادتى ، وما عليك إلا السمع والطاعة ؟!

« والتفت الرجل - أى الجبلاوى - التفاتة حادة صوب أشقاء إدريس - أى رضوان ، وجليل ، وعباس - وهو يسْأل :

ما قولكم ؟

« فلم يحتمل عباس نظرة أبيه ، وقال وهو واجم :

سَمْعاً وطاعة ؟!

« وسرعان ما قال جليل ، وهو يغض طرفه :

أمرك يا أبى ؟!

« وقال رضوان ، وهو يزدرد ريقه الجاف :

على العين والرأس » (١) .

انظر كيف مزج المؤلف طاعة الملائكة ، وتعجبهم مزجاً غريباً ، وكيف تَدَخَّل خياله فى وصف الجبلاوى ، وكل من إدريس ورضوان وجليل وعباس ، وكأنه كان يشهد ما جرى ؟ ويتابعه بكل عبقرية وذكاء ؟!

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٣ - ١٤

ثم انظر فى كلامه عن « الجبلاوى » رمز الألوهية « الله » ، وكيف أظهره فى صورة المستبد الجبَّار ؟! اللَّهُمَّ ارفع مقتك وغضبك عنا ؟!

ألم تفهم من كلام المؤلف أن الملائكة وافقوا على استخلاف آدم وهم مكرهون خائفون من بطش الله بهم ؟!

ألم يقرأ الأستاذ نجيب محفوظ - ولو مرة واحدة فى حياته - وصف الله لملائكته الأطهار فى كتابه العزيز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لأنه تنزيل حكيم حميد ؟ ألم يقرأ قوله تعالى :

﴿ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١) .

أوَ لم يقرأ قوله تعالى :

﴿ ... بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

* *

## • الملائكة لم يتعاطفوا مع إبليس :

سارع الملائكة إلى السجود لما أُمروا به ، وتساءلوا عن السبب فى اختيار آدم خليفة ، ولما علموا السبب زال تعجبهم من ذلك الاختيار ، فأسمع قول الحق عزَّ وجلَّ :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ

---

(١) التحريم : ٦ (٢) الأنبياء : ١٦ - ١٧

يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ، وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١) .

فقد بنى الملائكة تعجبهم أو تساؤلهم عن الحكمة الإلَهية فى اختيار ادم خليفة ، على سببين فى آدم ، وسببين فيهم هم .

السببان اللذان فى آدم هما :

- الإفساد فى الأرض .
- وسفك الدماء .

هذا بالنظر إلى ذُرِّيته لا شخصه . قال أهل العلم : إن الملائكة علموا بهذا السلوك : الإفساد وسفك الدماء قياساً على سلوك الشياطين الذين كانوا يَعْمُرون مواقع من الأرض قبل هبوط آدم إليها .

وقال آخرون : ربما كان مصدر علمهم هو الاطلاع على سجل القضاء والقدر ، والعلم لله وحده .

أما السببان اللذان فى الملائكة فهماً :

- التسبيح بحمد الله .
- والتقديس له .

فأين التعاطف مع إبليس الذى زعمته رواية : « أولاد حارتنا » يا ترى ؟

أليس هذا تزويراً لموقف الملائكة لم يُنَزِّلْ الله به من سلطان ؟ أليس من حقنا أن نتهم « أولاد حارتنا » بأنها هى التى تعاطفت مع الشيطان ؟! لا الملائكة ؟!

---

(١) البقرة : ٣٠ - ٣٣

وأياً كان الأمر ، فإن ورود هذه الواقعة - مهما حُرِّفتْ - فى رواية : « أولاد حارتنا » لدليل صارخ على أن :

**أولاً** : الرواية ما هى إلا عرض مزوَّر للتاريخ الدينى النبوى .

**ثانياً** : أدهم فى الرواية هو آدم عليه السلام .

**ثالثاً** : وهو الأهم : أن « الجبلاوى » فى الرواية هو الله ؟! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

## ● الدليل الخامس - طَرْدُ إدريس من البيت الكبير :

من المستحسن أن نضع بين يدى القارئ فقرات من كلام مؤلف « أولاد حارتنا » فى واقعة طرد إدريس - إبليس - من البيت الكبير ، وهو الجنة هنا ، ننقل هذه الفقرات ونحن نبرأ إلى الله من نقلها لما فيها من شناعات فى حق الله الذى يرمز إليه المؤلف دائماً بـ « الجبلاوى » وشفيعنا عند الله أنه يعلم أننا مكرهون على نقل هذا الإثم البغيض . قال المؤلف فى حوار اختلقه جرى بين « الجبلاوى » وإدريس :

« ولكن الغضب كان قد اقتلع جذور عقله - أى إدريس - فصاح بدوره :

« ما أهون الأُبوه عليك ، خُلِقْتَ فتوة جباراً ؟! فلم تعرف إلا أن تكون فتوة جباراً ، ونحن - أبناءك - تعاملنا كما تعامل ضحاياك العديدين ؟!

« اقترب الجبلاوى خطوتين فى بطء كالمتوثب ، وقال بصوت منخفض . . اقطع لسانك ؟!

« ولكن إدريس واصل صياحه قائلاً :

« لن ترعبنى ؟ أنت تعلم أننى لا أرتعب ، وإنك إذا أردت أن ترفع ابن الجارية علىَّ فلن أُسمعك لحن السمع والطاعة ؟!

قال الجبلاوى : ألا تُدرك عاقبة التحدى يا ملعون ؟

قال إدريس : الملعون حقاً هو ابن الجارية ؟!

فَعَلَتْ نبرات الرجل - أى الجبلاوى - .. وهو يقول : إنها زوجتى يا عربيد ، فتأدبْ وإلا سويت بك الأرض ؟! . . .

قال إدريس : إنك تبغضنى ، لم أكن أعلم هذا ، ولكنك تبغضنى ، لعل الجارية هى التى بغضتنا إليك ؟! سيد الخلاء ، وصاحب الأوقاف والفتوة الرهيب ؟! ولكن جارية استطاعت أن تعبث بك ؟! وغداً يتحدث عنك الناس بكل عجيبة يا سيد الخلاء ؟!

قال الجبلاوى :

« قلت لك : أقطع لسانك يا ملعون !

قال إدريس : لا تسبنى من أجل أدهم ، طوب الأرض يأبى هذا ويلعنه ؟! وقرارك العجيب سيجعلنا أُحدوثة الأحياء والحوارى ؟!

فصاح الجبلاوى بصوتٍ صك الأسماع فى الحديقة والحريم :

اغرب بعيداً عن وجهى ؟!

قال إدريس : هذا بيتى ؟! فيه أُمى ، وهى سيدته دون منازع ؟!

قال الجبلاوى :

« لن تُرى فيه بعد اليوم ، وإلى الأبد » ؟! [1] .

هكذا صوَّر المؤلف - زوراً وبهتاناً - هذا الحوار الشنيع بين « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) وإدريس - إبليس - ليوقع فى روع القُرَّاء أن إبليس مظلوم ؛ لأن « الجبلاوى » يبغضه وليس لتفضيل آدم عليه ، ولا لطرده من البيت الكبير - الجنة - من سبب إلا بغض الجبلاوى لإبليس ؟!

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٥ - ١٦

وهذه الفقرات مليئة - كما ترى - بالإساءات للجبلاوى الذى جعله الكاتب رمز الأُلوهية ( الله ) ، والذى أريد أن ألفت نظر القارئ إليه من جملة هذه الإساءات ، ما افتراه المؤلف على إبليس نفسه فى قوله للجبلاوى :

« ونحن - أبناءك - تعاملنا كما تعامل ضحاياك العديدين » ؟!

ومعنى هذا - لا محالة - أن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ظالم ولظلمه ضحايا عديدون ؟!

وقوله : « وغداً يتحدث عنك الناس بكل عجيبة يا سيد الخلاء » ؟!

ومعنى هذا أن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية - عند المؤلف - إنما هو سيئ السمعة والسيرة ؟!

وقوله : « ولكنَّ جارية استطاعت أن تعبث بك » ؟!

ومعنى هذا أن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية مُهْدَر الإرادة ضعيف الشخصية ؟!

ألهذا الحد تبلغ بنا الجرأة على « الله » ؟! إن الكاتب ألحَقَ بإبليس أشنع أنواع الظلم ، حيث نسب إليه ما لم يقله ، ولا نطق به له لسان .

إبليس - مع عناده - كان يعرف حدوده أمام الله ، بل كان يقسم بعزته وجلاله ، كما حكى عنه القرآن الأمين :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟! أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة ص : ٧٥ - ٨٣

فإبليس ينادى الله وهو فى أشد حالات عناده ويقول : ربِّ ، ثم يُقسم بعزته وجلاله كما ترى ، هذا ما كان من شأن إبليس ، أما رواية « أولاد حارتنا » فقد كانت أكثر جرأة على الإساءة من إبليس نفسه ؟!

ربنا اغفر لنا خطايانا ، وإسرافنا فى أمرنا يا أرحم الراحمين .

* *

● **الدليل السادس تعليم آدم الأسماء :**

لما تساءل الملائكة عن وجه الحِكْمة من اختيار آدم خليفة فى الأرض ، وكانوا يعلمون أن الشر مركب فى طباع ذُرِّيته ، وأنهم - أى الملائكة - مجبولون على الطاعة ، لم يقل الله لهم : هذه إرادتى ، كما ادَّعى مؤلف أولاد الحارة ، بل أظهر لهم من أحوال آدم ما أقنعهم ، وأذهب عنهم استغرابهم ، فعلَّمَ آدم أسماء الكائنات جميعاً ، ثم عرض المسميات على الملائكة ، وقال لهم : أنبئونى بأسماء هؤلاء ؟

فاعترفوا بعجزهم ، ولهجوا بالثناء على خالقهم فقالوا :

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ، إنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

فأمر الله آدم أن يُنبئ الملائكة بأسماء تلك المسميات فأنبأهم بها ، وظهر لهم وجه الحكمة فى اختيار الله آدم خليفة ، هذه حلقة من حلقات قصة آدم كما سجلتها أوثق المصادر على الإطلاق ( القرآن الأمين ) .

ولما كانت رواية « أولاد حارتنا » عَرْضاً مغلَّفاً للتاريخ الدينى النبوى بدءاً من خَلْق آدم إلى مبعث خاتم الرُّسُل صلى الله عليه وسلم ، فإن مؤلفها الأُستاذ نجيب محفوظ ، اختلس - بكل خفة - هذه الموافقة ، وذكرها فى عبارة خاطفة لم تخل من الفر بعد الكر كعادته ، فقد روى عن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) عنده ، أنه قال فى الرد على احتجاج الملائكة :

« أدهم على دراية بطباع المستأجرين ، ويعرف أكثرهم بأسمائهم »[1] .

آدم - كما جاء فى الآية الكريمة - كان يعرف الأسماء كلها ، أما فى « أولاد حارتنا » فيعرف « أكثرهم بأسمائهم » لا كلّهم ؟ وهذا منها تمويه على القارئ ، وفر بعد كر ، حتى لا يجزمَ قارئ « أولاد الحارة » بأن مؤلفها يتحدث عن آدم أبى البَشر ؟

* *

## • الدليل السابع - وخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا :

ومن الحقائق التى اختلسها المؤلف فى خفة من قصة آدم عليه السلام ، حقيقة أن الله خلق حواء من آدم ، ولم يخلقها من التراب مباشرة كما خلق آدم ، تحقيقاً لحصول المودة والرحمة بين الزوجين ، وتلك سنة الله الجارية فى خلقه إلى يوم القيامة ، كل من الزوجين يميل فِطْرِيًّا إلى الآخر ، ويسكن إليه ، الزوج لأنها جزؤه ، والزوجة لأنه أصلها والشجرة التى تفرعت منها :

﴿ وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] .

وقد صدَّر الله الحكيم الخبير سورة النساء بهذه الآية المعجزة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[3] .

هذه المعانى والحقائق التى اشتملت عليها الآيتان الحكيمتان ، عمد إليها مؤلف « أولاد حارتنا » فاختلسها بخفة ، وهو يتحدث عن أدهم - آدم -

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٤ (٢) الروم : ٢١ (٣) النساء : ١

وزوجه أُميمة - حواء - وإليك كلام المؤلف يصف مشاعر أدهم بعد أن رأى أُميمة - حواء - لأول مرة :

« وتراجعت حتى توارت وراء المنعطف - أى تراجعت أُميمة - ثم ترامى إلى أُذنيه وقع أقدامها المسرعة ، وإذا به يغمم متأثراً :

ما أملَحكِ . . . وقال لنفسه : أُميمة مليحة ، حتى شفتاها الغليظتان مليحتان . . . وما أجمل منظر ظلها وهو مفروش فى ظلى كأنه جزء من جسدى المضطرب بالرغبات » (١) .

وقال مرة أُخرى يصف حال أدهم - آدم - بعد زواجه من أُميمة - حواء - :

« والحق أنه يشعر بأنها جزء لا يتجزأ منه » (٢) .

عزيزى القارئ الكريم : قارن بين ما جاء فى الآيتين الحكيمتين وبين المعنى الذى اختلسه كاتب الرواية ، ثم أجب عن هذين السؤالين :

مَنْ يكون أدهم هذا إن لم يكن آدم عليه السلام ؟

ومن تكون أُميمة هذه إن لم تكن حواء ؟

* *

## ● الدليل الثامن- وسوسة الشيطان :

هذا هو الدليل التاسع على أن أدهم فى رواية أولاد الحارة هو آدم عليه السلام ، إدريس أو إبليس ، - وهو الصحيح - حنق على آدم حنقاً شديداً ، ولكنه لم يلجأ إلى الشتائم والسباب والبذاءة فى الألفاظ ليشفى غيظه ، بل اتخذ من تزيين الباطل لآدم وبنيه من بعده ، وإغرائهم على المعاصى والشرور ، وسائل أثيرة لديه للكيد فى آدم وذُرِّيته .

أما رواية أولاد الحارة ، فقد أنطقت إدريس - رمز الشيطان - بأقذع

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٢٠ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٣١

الشتائم ، وأفحش السباب ، لا لآدم وحده ، ولكن له ، وللجبلاوى رمز الألوهية ( الله ) فى رواية « أولاد الحارة » .

وإلى القارئ الكريم بعض ما ورطت فيه رواية أولاد الحارة نفسها من سباب إدريس للجبلاوى ، وأدهم ، وأنت تعلم عزيزى القارئ من هو الجبلاوى ، ومن هو أدهم فى قاموس أولاد الحارة :

**إدريس لأدهم :**

« اخرس يا كلب يا ابن الكلب ؟! لا أنت أخى ولا أبوك أبى ؟ ولأدكنَّ هذا البيت فوق رءوسكم » ؟؟ [1] .

« قل لأبيك : إنى أعيش فى الخلاء الذى جاء منه ، وإننى قَطَّاع طريق كما كان . . . يا من تظنون أنفسكم سادة وأنتم لصوص » [2] .

« طردنى أبوك دون حياء فليتحمل العواقب » ؟! [2] .

« طغيان أبيك أنطقنى بالحق » ؟! [3] .

هذا غيض من فيض من البذاءات التى ورطت « أولاد حارتنا » فيها نفسها ، وهى تعلم من هو الجبلاوى ؟ ومن هو أدهم اللذان أنطقت إدريس - الشيطان - بهذه الشتائم لهما ؟!

أنطقته ، وهى تعلم أنه - أى الشيطان - لم يصدر منه حرف واحد من هذه البذاءات التى يهتز لها عرش الرحمن ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً .

❋ ❋

**انقلاب طارئ على إدريس :**

بعد الفقرات الطويلة التى وردت فى « أولاد حارتنا » تصور تطاول إدريس - إبليس - على الجبلاوى وأدهم ، تفاجئنا رواية « أولاد حارتنا » بانقلاب

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٢٢
(٢) « أولاد حارتنا » ص ٢٣
(٣) « أولاد حارتنا » ص ٢٣

خطير طرأ على إدريس ، حيث جاء يتودد إلى أدهم ، ويرق له فى المعاملة ، ويُلين معه فى الكلام فى تذلل وخضوع ولطافة لم يُعْرف لها مثيل عنده منذ طرد من البيت الكبير .

وفى لين ورفق زيَّن إدريس لأدهم أن يغافل الجبلاوى ويسطو على كتاب « الحجة » أى سجل القضاء والقدر ، الذى يحتفظ به الجبلاوى بحرصٍ شديد ، ولم يُطْلع عليه أحداً من أبنائه ولا من خدمه ، لأن إدريس أحبَّ أن يطلع على مصيره فى الكتاب ، هكذا زعمت رواية « أولاد حارتنا » ؟!

وبعد تردد طويل ، وخوف قاتل حاول أدهم - آدم - أن يغافل أباه الجبلاوى - ليلاً - ويسطو على كتاب « الحجة » ، وقد شجعته أُميمة زوجه - حواء - على إتمام الجريمة ، ولكن الجبلاوى ضبطه متلبساً بجريمته ، وأجرى معه تحقيقاً عرف من خلاله القصة كاملة [١] .

* *

● **تعقيب** :

هذه القصة الخرافية وضعها مؤلف أولاد الحارة ، رامزاً بها - كعادته - إلى واقعة الوسوسة التى وسوسها الشيطان لآدم :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [٢] .

كثير من العلماء يقولون : إن الشجرة المنهى عنها هى شجرة المعرفة ، وقد يكون فى اختيار مؤلف الرواية لـ « كتاب الحجة » رمز للمعرفة كذلك ، لتحصل المناسبة بين المرموز إليه والرمز .

---

(١) انتهت القصة ملخصة من أولاد الحارة ص ٣٥ - ٤٩

(٢) الأعراف : ٢٠ - ٢١

## • الدليل التاسع – خطيئة آدم :

الملخص الذى قدمناه عن « أولاد حارتنا » الذى رمزت به الرواية إلى وسوسة الشيطان لآدم ، واعتبرناه دليلاً على أن أدهم فى الرواية هو آدم . هذا الملخص اشتمل على دليل آخر من الأدلة التى نسوقها – هنا – وهو وقوع الخطيئة من آدم اغتراراً بوسوسة الشيطان :

الخطيئة فى القرآن الكريم كانت بأكل آدم وحواء من الشجرة التى نهاهما عنها ربهما . قال رب العزة فيها :

﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ، وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ، وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

أما الخطيئة فى « أولاد حارتنا » فهى محاولة السطو على كتاب الحجة كما تقدم .

وهى ، وإن كانت خطيئة خيالية مزورة ، فإن ذلك لا يسلب استدلالنا بها على أن أدهم فى الرواية هو آدم عليه السلام .

ونحن قد عرفنا من خلال فحصنا السابق لرواية أولاد الحارة أن طابعها العام رمزى فى كل صغيرة وكبيرة قصداً للتمويه ، وإخفاء الهدف من وضع الرواية ، فكثر فيها الرمز – بل والهمز والغمز – ولكن الأمر كما قال زهير ابن أبى سلمى :

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة      وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ

* *

---

(١) الأعراف : ٢٢

## • الدليل العاشر - إخراج آدم من الجنة :

وتتبع رواية « أولاد حارتنا » وقائع قصة آدم عليه السلام فيما يشبه الوحدة العضوية فى الأدب الحديث ، أو فى شكل موجات منتظمة السابق منها يدفع اللاحق .

فكما ذكر القرآن أن إخراج آدم وزوجه من الجنة كان بسبب مخالفة الأمر الإلَهى وطاعة الشيطان ، كان الطرد من البيت الكبير فى الرواية بسبب محاولة أدهم - آدم - السطو على كتاب « الحجة » أو كتاب القضاء والقدر والأسرار الإلَهية ، هكذا نهجت الرواية .

والقرآن الأمين حكى واقعة إخراج آدم وحواء من الجنة ، وهبوطهما إلى الأرض مرات ، نذكر منها واحدة ، هى قوله تعالى :

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (١) .

أما الرواية فقد صورت الإخراج عقب ضبط الجبلاوى أدهم وهو يحاول السطو على كتاب « الحجة » بقولها منسوباً إلى الجبلاوى يخاطب أدهم وأُميمة - آدم وحواء - :

« اخرجا من البيت .

وهتف أدهم :

أبى !

فقال الرجل - يعنى الجبلاوى - بصوت غليظ ؟!

غادرا البيت قبل أن تُلْقَيا خارجاً » (٢) .

---

(١) الأعراف : ٢٤ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٩

وهكذا تتضح صورة آدم طوراً بعد طور فى الرواية ، وتتوارى وهمية أدهم حتى لا تكاد تُرى .

❊ ❊

## ● الدليل الحادى عشر- توبة الله على آدم :

آدم أخطأ ؟ نعم ، ولكن خطيئته كانت فى نسيان ، عهد ربه إليه بألا يأكل من الشجرة التى عينها له ، ولم تكن خطيئته متعمدة ، فقد قال الله فى شأنها :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ ، وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (١) .

أى قصداً للمعصية .

ثم تاب الله عليه لما استرجع وندم واستغفر فتاب ، فتاب الله عليه واجتباه وهداه :

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (٢) .

وأدهم الذى فى رواية : « أولاد حارتنا » أسندت إليه الرواية خطأً ومعصية للجبلاوى ، حين أراد السطو على كتاب الحجة ، كما تقدم ، ثم طرده الجبلاوى من البيت الكبير - الجنة - وقد ورد فى الرواية « أولاد حارتنا » لغو كثير ، وثرثرة فارغة عن حال آدم أو أدهم وزوجه حواء أو أُميمة بعد إخراجهما من البيت الكبير أو الجنة ، وعن تحرش أخيه إدريس أو إبليس به ، وشماتته الظاهرة فى أدهم وزوجه على أن طُرِدَا من بيت الجبلاوى كما طرد هو من قبل بسبب أدهم (٣) .

وقد أعرضنا عن ذكر هذا اللغو ، وتلك الثرثرة الفارغة لأنها من خيال المؤلف ، ولا أساس لها فى الواقع .

---

(١) طه : ١١٥ (٢) طه : ١٢٢

(٣) أولاد الحارة من ص ٤٩ - ٧٢

بَيْدَ أننا نضع أمام القارئ فقرة واحدة من كلام رواية أولاد الحارة الذى نسبته إلى إدريس - إبليس - يخاطب فيه « الجبلاوى » شامتاً فيه وفى أدهم :

« طردتنى إكراماً لأحقر من أنجبت - يعنى إكراماً لأدهم - أرأيت كيف كان سلوكه نحوك - يعنى نحو الجبلاوى - ها أنت ترميه بنفسك إلى التراب ، عقاب بعقاب ، والبادى أظلم ؟! كى تعلم أن إدريس لا يُقْهر ؟ فلتبق وحدك مع أبنائك العقماء الجبناء ؟ لن يكون لك حفيد إلا من يسعى فى التراب ويتقلب فى القاذورات . غداً يسرحون بالبطاطة واللب غداً يتعرضون لصفعات الفتوات ؟ غداً يمتزج دمك بأحقر الدماء ، وتقبع أنت وحيداً فى حجرتك ، تُبدِّل وتُغَيِّر فى كتابك كيف شاء لك الغضب والفشل ، وتعانى وحدة الشيخوخة فى الظلام حتى إذا جاء الأجل فلن تجد عيناً تبكيك » ؟! (١) .

هذا الكفر الصُّراح تزعم رواية « أولاد حارتنا » أن إدريس - إبليس - خاطب به « الجبلاوى » ، والجبلاوى - كما علمنا - هو فى رواية أولاد الحارة رمز الأُلوهية ( الله ) ما فى ذلك أدنى ريب ، ومع هذا تفترى الرواية على إبليس هذا الكلام البالغ فى الشناعة عنان السماء . أعِدْ قراءة الفقرة مرة أُخرى تجد أن الجبلاوى رمز الأُلوهية ( الله ) موصوف بهذه الأوصاف :

- ظالم ، بل أظلم ، لأنه بدأ بالظلم حيث طرد إدريس من البيت الكبير ؟!
- له دمٌ سيمتزج بأحقر الدماء ؟!
- يُبدِّل ويُغيِّر فى كتاب « القضاء والقدر حسب غضبه وفشله ؟!
- ستصيبه أمراض الشيخوخة ويعانى آلامها وحده فى الظلام ؟!
- له أجل سيحين فيه موته ، وهو حبيس حجرته ولا أحد معه ؟!

---

(١) أولاد حارتنا ص ٥١

● يوم يموت لن يجد من يحزن عليه ؟! (١)

إن إبليس – علم الله – بريءٌ من هذا « الكفر » وله كُفْرٌ من نوع آخر لم يكن فيه بذئ السان ؟!

يا تُرى : هل بين رواية أولاد الحارة وبين الجبلاوى رمز الأُلوهية فيها ( الله ) ثأر ؟! أم ماذا ؟!

* *

## ● من هم العقماء ؟

وردت فى هذه الفقرة عبارة : « مع أبنائك العقماء الجبناء » فمن هم العقماء يا تُرى ؟

**والجواب** : هذا رمز رمزت به رواية أولاد الحارة إلى الملائكة مُمثَّلين فى : رضوان ، وجليل ، وعباس ، الذين عَدَّتهم رواية أولاد الحارة من أبناء الجبلاوى كما تقدم ، ومعروف أن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تتناكح ولا تتوالد ، لذلك وصفتهم الرواية بأنهم عقماء ؟ أما وصفهم بالجبن فلأنهم لم يثوروا على أبيهم « الجبلاوى » حين فضَّل أدهم على إدريس ، وحين طرد إدريس من البيت الكبير ؟!

هذا نموذج واحد من عشرات النماذج الخيالية التى ثرثرت بها الرواية فى وصف حياة أدهم بعد الطرد من البيت الكبير ، أو آدم – وهو الصحيح – بعد الإخراج من الجنة . والنماذج التى لم نذكرها لا تقل عما ذكرناه فى الإساءة والحماقة . والله لطيف بعباده ، لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجَّل لهم العذاب ، ولكن يؤخرهم ليوم لا ريب فيه .

وبعد هذا كله عرضت الرواية لحصول أدهم – آدم – على التوبة فقالت :

---

(١) هذا الأجل المحتوم نفذته الرواية – فيما بعد – حيث قتل عرفة الجبلاوى ؟!

قال الجبلاوى لأدهم وقد رآه يبكى :

« أنت تبكى وأنت الذى أخطأت ؟

قال أدهم : « الخطأ كثير ، والعقاب كثير ، حتى الحشرات المؤذية لا تيأس من العثور على ظل .

الجبلاوى : هكذا تعلمنى الحكمة ؟

أدهم : عفواً ، عفواً ، الحزن أرهقنى ، والمرض ركبنى ، حتى أغنامى مهددة بالهلاك !

الجبلاوى : جميل أن تخاف على أغنامك ؟

أدهم : يتساءل فى رجاء :

هل عفوت عنى ؟

الجبلاوى : أجاب بعد صمت :

نعم (١) .

وهكذا نقترب - أو قد اقتربنا بالفعل من العثور على آدم عليه السلام بعد أن دثرته رواية « أولاد حارتنا » فى عباءة « أدهم » قصداً للتمويه الذى سيطر على « جو » الرواية كلها ، ولم تبق إلا قشرة رقيقة من قتام ، ستنقشع بإيراد الدليل الثالث عشر ، ثم ينبلج الصبح لذى عينين .

* *

## ● الدليل الثانى عشر - قَتْلُ وَلَدَى آدم أحدهما الآخر :

من البداثة التى يعرفها كل الناس : النزاع الذى وقع بين وَلَدَى آدم هابيل وقابيل ، وانتهى الأمر بقتل قابيل لأخيه هابيل . والقصة قد وردت فى القرآن الأمين فى قوله تعالى :

---

(١) أولاد حارتنا ص ١١١

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ * قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

وقد سوَّد مؤلف رواية « أولاد حارتنا » صفحات عديدة فى قصة ولدى آدم وحشاها بالصور والمواقف الخيالية مرسلاً لخياله العنان فى أن يقول ما شاء ؟!

فعرض لحياتى هابيل وقابيل ، رامزاً للأول بـ « همام » وللثانى بـ « قدرى » آخذاً الحرف الأول من اسمَى كل منهما . وأخذ النزاع يدب بينهما وبخاصة لَمَّا نشأت علاقة غرامية آثمة بين قدرى - قابيل - وبين ابنة عمه إدريس - إبليس - وأطلق عليها مؤلف الرواية اسم « هند » ، وتطورت هذه العلاقة الآثمة إلى أن ارتكب قابيل - وكان شريراً مثل عمه إدريس - ارتكب مع هند جريمة الزنا ، عند صخرة أَطلق عليها المؤلف « صخرة هند » (٢) ، فمقت همام أخاه قدرى لجنونه وفسقه ، فصارا دائمى الخلاف والشجار إلى أن حدث أمر خطير أضرم النار فى قلب قابيل على أخيه هابيل (٣) ، فما هو ذلك الأمر يا ترى ؟

* *

(١) المائدة : ٢٧ - ٣٠

(٢) أرجو من القارئ أن يحتفظ باسم هذه الصخرة والجريمة التى وقعت عندهما ، لأننا سنعود لها مرات أُخرى فى مناسبات شديدة الخطورة .

(٣) أولاد الحارة ص ٨١ وما بعدها .

● **تكريم الجبلاوى لهمام :**

زعمت رواية « أولاد حارتنا » أن الجبلاوى أرسل إلى همام يدعوه لزيارته ، فجُنَّ جنون قدرى ، وضاق ذرعاً بهمام ، وامتلأ حقداً عليه ، وحين تمت الزيارة أخبر همام أباه أدهم وأُمه أُميمة بأن الجبلاوى دعاه ليقيم معه فى البيت الكبير ، فرحَّب الوالدان وغضب قدرى غضباً شديداً ، وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فانتهز فرصة انفراده بأخيه وهما يرعيان الغنم فقتله ودفنه ، وادعى أمام أبيه وأُمه أن « همام » ترك الغنم وذهب ولم يعد ، فظن قدرى أنه عاد إلى كوخ العائلة . . . وبعد محاولات من الأب اعترف قدرى بأنه لم يقصد قتله ، وإنما قتله على سبيل الخطأ غير المتعمد . فحزن الأب والأُم لما حدث حزناً عميقاً ، وزاد الأمر فداحة شماتة إدريس .

وتقول الرواية : إن « هند » بنت إدريس هربت إلى مكان مجهول عقب اكتشاف جريمتها مع قدرى ، ثم هرب قدرى بعد اكتشاف جريمته البشعة بقتل أخيه همام (١) .

هذا ملخص شديد الوجازة لما ذكرته رواية أولاد الحارة ، وإذا قارنت سبب القتل فى الآيات القرآنية السالفة الذكر ، بسبب القتل فى رواية أولاد الحارة ، ظهر لك أن الرواية مع إثباتها للقتل ، فإنها ذكرت له سبباً وهمياً بعيداً عن الواقع . سبب القتل فى القرآن الأمين هو الحسد على قبول قربان همام ، ورفض قربانه هو ، وسبب القتل فى الرواية هو الحسد - كذلك - ولكن على دعوة الجبلاوى لهمام ليقيم معه فى البيت الكبير ، وحرمان قدرى من هذا العطف والتكريم ؟!

وبهذا - كله - تتجلى صورة آدم فى الرواية ، ونزول صورة أدهم الوهمية إلى الأبد .



---

(١) أولاد الحارة ص ٨٢ - ١٠٦

## • البلطجى الأكبر :

ومما ينبغى أن نلفت نظر القراء إليه هنا عبارة افترتها الرواية على قدرى وهو يخاصم أخاه « همام » ، إذ قال همام لقدرى :

« أعلم أننى لا أخافك » .

قدرى : « هل وعدك البلطجى الأكبر بالحماية » ؟! (١) .

هكذا تفترى الرواية الأقوال والأفعال ، وليس لها سند سوى الخيال الشيطانى الآثم .

فالرواية - كما قلنا مراراً من قبل - تعلم من هو « الجبلاوى » فى قاموسها الرمزى ، إنه رمز الألوهية ( الله ) ، ومع ذلك احتمت الرواية برموزها ، وراحت تكيل السباب والشتائم جزافاً للجبلاوى ، وقد ذكرنا نماذج من قبل من هذه « الكفريات » ، وهى هنا تصر على أن تصف الجبلاوى :

بأنه « البلطجى الأكبر » ؟!

ومرة أُخرى نقول : « اللَّهُمَّ ارفع مقتك وغضبك عنَّا »

❋ ❋

## • فقرة الختام :

فى ختام فصل أدهم وردت الفقرة الآتية نذكرها لأهميتها : « وفى تواريخ متقاربة ، ودَّع الحياة أدهم فأُميمة - يعنى آدم وحواء - ثم إدريس - يعنى إبليس - وكبر الأطفال ، وعاد قدرى بعد غيبة طويلة - ومعه هند - يعنى بنت إبليس - ومعهما أطفال ، نشأوا جنباً إلى جنب ، وخالطوا غيرهم فازدادوا بهم عدداً ، وانتشر العمران بفضل أموال الوقف فارتسمت فى صفحة الوجود حارتنا ، ومن هؤلاء وأُولئك جاء أولاد حارتنا » (٢) .

---

(١) أولاد حارتنا ص ٩٥

(٢) أولاد حارتنا ص ١١٢

هذه الفقرة لها صلة وثيقة بالفقرة التى اختتم بها مؤلف رواية « أولاد حارتنا » مقدمة الرواية « افتتاحية » ونذكرها - كهذه - لأهميتها :

قال المؤلف هناك :

« حارتنا العجيبة ، ذات الأحداث العجيبة ، كيف وجدت ؟ وماذا كان من أمرها ؟ ومن هم أولاد حارتنا » ؟ [1] .

إن الصلة بين الفقرتين صلة الجواب بالسؤال ، الفقرة الأُولى التى ذكرت فى المقدمة هى السؤال .

والفقرة التى اختتم بها فصل « أدهم » هى الجواب ، ودلالات هاتين الفقرتين هى :

١ - إن رواية « أولاد حارتنا » ليست صورة لحياة حارة فى مصر ، ولا لحياة مصر نفسها ، ولا القارة التى تنتمى إليها - جغرافيا - مصر ، وإنما هى الدنيا كلها شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، طولاً وعرضاً وعمقاً .

٢ - إن الحكايات التى وردت فى الرواية هى عرض مغلَّف لمسيرة التاريخ الدينى النبوى ، من عهد آدم عليه السلام إلى عهد خاتم الرُّسُل صلى الله عليه وسلم .

٣ - إن أولاد الحارة هم البَشر جميعاً ، وليسوا فئة من أبناء مصر تجمعهم حارة تسد مداخلها ومخارجها عربة كارو .

٤ - إن أولاد الدنيا لهم أبوان : أدهم - آدم - ، وإدريس - إبليس - ، ولهم أُمَّان هما : أُميمة - حواء - ، وهند ابنة الشيطان الساقطة ، وبهذا يتبين لنا فى وضوح : أن المدافعين عن براءة رواية « أولاد حارتنا » من المساس بقِيَم الدين وأُصول الإيمان يشهدون زوراً وبهتاناً ، ويستخفون بعقول القُرَّاء للدفاع الباطل عن الرواية وكاتبها ؟!

* * *

---

(١) أولاد حارتنا ص ٨

# جـــبل

قد تُنكر العينُ ضَوْءَ الشَّمسِ من رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ من سَــقَم

أبرز الرموز الواردة فى فصل « جبل » ومعانيها :

| م | الرمز | معناه |
|---|---|---|
| ١ | جبل | موسى عليه السلام |
| ٢ | ناظر الوقف | فرعون |
| ٣ | هدى هانم | امرأة فرعون |
| ٤ | زقلط | هامان |
| ٥ | البلقيطى | شعيب عليه السلام |
| ٦ | شفيقة | ابنة شعيب زوجة موسى |
| ٧ | آل حمدان | بنو إسرائيل فى مصر قبل موسى عليه السلام |
| ٨ | آل جبل | بنو إسرائيل فى مصر فى عهد موسى عليه السلام |
| ٩ | صخرة هند | المكان الذى ينزل فيه الوحى على موسى |
| ١٠ | دعبس | الإسرائيلى الذى استغاث بموسى مرتين |

# جَبَل
# توطئَة

فى مطلع هذا الفصل - جبل - يتحدث مؤلف رواية « أولاد حارتنا » الأُستاذ نجيب محفوظ بأسلوب رمزى شديد الغموض ، يتحدث عن وقائع الاضطهاد والتعذيب ، التى كان يتعرض لها آل حمدان - بنو إسرائيل فى مصر - من فرعون وآل فرعون ، الأمر الذى دعا آل حمدان إلى الإصرار على اللقاء بناظر الوقف - فرعون - ليطالبوه بإعطائهم حقوقهم وكف الظلم عنهم .

ويلتقى بهم « الناظر » على كُره منه ، ولما انصرف آل حمدان عن اللِّقاء الذى لم يحقق لهم أدنى كسب ، أخذ الناظر يفكر فى أمرهم ويبحث عن وسيلة لتأديبهم ؛ لأنهم صاروا قوة كدولة داخل الدولة ، وتتدخل هدى هانم ( امرأة فرعون ) وتشير على زوجها أن يستعين بزقلط ( هامان ) فهو قادر على التنكيل بهم ، وعلى تأديبهم ، وقالت لزوجها :

إن هامان أو زقلط يشاركهم فى ريع الوقف دون أن يؤدى عملاً ، وإذا سُلِّط على آل حمدان فهو قادر بمعونة الفتوات على أن يبطش بهم .

ولما كُلِّف زقلط بهذه المهمة قاد الفتوات بنفسه ، وهاجم حىّ آل حمدان ، فأشبعوهم ضرباً بالنبابيت ، وحطموا محالهم وحبسوهم فى بيوتهم ، وأصدر زقلط - هامان - أمراً لفتواته بأن يقتلوا كل إسرائيلى إذا خرج من بيته .

وبينما يجلس زقلط فى بيت الناظر - فرعون - فى مجلس يضم الثلاثة :

الناظر ، وهدى هانم زوجته ، وزقلط ، إذا بجبل - موسى - يدخل

عليهم ليقدم للناظر حساب الوقف اليومى ، وكان الناظر وزقلط وهدى هانم يتحدثون عن المصيبة التى حلَّتْ بآل حمدان - قوم جبل - أو قوم موسى . فظل جبل صامتاً لا يتحدث إلا إذا سُئِل .

ثم يأمر الناظر « جبل » بالانصراف ، فخرج ووقع فريسة لخاطرين هجما عليه :

أيظل على ولاء للناظر وزوجه هدى هانم ، وليًّا نعمته ، وبخاصة هدى هانم التى كانت قد أنقذت « جبل » بإخراجه - وهو طفل - من حفرة مملوءة بالماء والطين ، ثم ربته فى بيتها كما يُرَبَّى أبناء الملوك ، أيظل على هذا الولاء وفاء للمعروف ؟ ويترك قومه آل حمدان الذين ينتمى هو إليهم أباً وأُمَّاً .

أم ينحاز إلى قومه وهم تحت وطأة العذاب الشديد ؟ ومِنْ مَنْ ؟ من البيت الذى ينتمى إليه هو ، ويقوم بإدارة وقفه ؟ ثم وكيف ينحاز إلى قومه ، والعلاقة بينه وبينهم جافة ؟ وهو متهم - عندهم - بالسكوت عن نصرة قومه ، وصلته ببيت الناظر تمكنه من استرداد حقوقهم وكف الأذى عنهم ؟

ويعود جبل إلى بيت الناظر مرة أُخرى ، ويجد الحديث عما حل بقومه مادة شهية فى أفواه الناظر وزقلط وهدى هانم ، فلا يملك إلا أن يُظهر ولاءه لقومه آل حمدان ، ويحتد النقاش بينه وبين الناظر وزقلط .

أما هدى هانم فتعلن خيبة رجائها فى ابنها جبل ؟! ، لأنها ولية نعمته وقد أنقذته طفلاً من هلاك محقق .

خرج جبل من هذا المجلس وقد أعلن - بكل قوة وصراحة - انحيازه إلى قومه »[1] .

اتخذ مؤلف الرواية من هذا المطلع الذى لخصناه مدخلاً لسرد الوقائع التى

---

(١) أولاد الحارة ص ١١٣ - ١٢٧ ملخصا .

صاحبت « جبل » من نشأته حتى مماته . فمن هو جبل هذا ؟ أهو رجل من أبناء حارة مصرية ، أم ماذا يكون ؟

❁ ❁

## ● جبل هو موسى عليه السلام :

إن « جبل » فى رواية « أولاد حارتنا » هو موسى رسول الله إلى بنى إسرائيل ، بل هو أكبر رُسُلهم وأشهرهم . وهذه هى الأدلة :

**الدليل الأول – عصر اضطهاد بنى إسرائيل فى مصر :**

لكى لا نكرر ما قلناه ، نحيل القارئ إلى الملخص الذى لخصناه قريباً يجد مؤلف الرواية يبدأ رسم صورة موسى – وإن سماه جبلاً – بعرض مركّز للاضطهادات التى مُنِى بها بنو إسرائيل فى مصر فى عهد الفراعنة ، وكان بنو إسرائيل قد وفدوا إلى مصر حين كان يوسف عليه السلام وزيراً كامل التصرف فى شئونها المالية والتموينية ، ثم استقدم أباه وأمه وإخوته كما جاء فى القرآن الأمين ، حيث حكى قول يوسف لإخوته :

﴿ اذهَبُوا بِقَمِيصِى هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً ، وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

ثم نفذوا ما أمرهم به ، وجاءوا جميعهم إلى مصر ، هذا ما قاله القرآن الأمين :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْه ، وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ❁ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً . . . ﴾ (٢) .

ثم تكاثروا بالإنجاب على مرِّ السنين ، وصاروا قوة يُعْمل حسابها ، فخشى فرعون من تكاثرهم ، ووضع خطة تقوم على قتل كل مولود ذكر يُوْلد لهم ،

---

(١) يوسف : ٩٣ (٢) يوسف : ٩٩ – ١٠٠

وسخروا رجالهم وشبابهم للعمل فى الأعمال الشاقة ، وأنزلوا بهم أشد ألوان العذاب ، كما جاء فى القرآن الأمين :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

فحديث مؤلف رواية « أولاد حارتنا » عن اضطهاد بنى إسرائيل ، أو آل حمدان كما ترمز إليهم الرواية ، هو دليلنا الأول على أن « جبل » هو موسى عليه السلام .

* *

## ● الدليل الثانى – الالتقاط من الحفرة :

وُلِدَ موسى عليه السلام ، وسط موجات من التعذيب والتنكيل تعرض لها بنو إسرائيل فى مصر ، وكانت أُمه ، وهى حامل به ، ترى أن مصيره هو القتل ، كسائر أبناء بنى إسرائيل الآخرين ، وسيطر عليها الخوف ، فأوحى إليها ربها بأن لا تخاف ولا تحزن ، وما عليها إذا وضعته إلا أن ترضعه وتضعه فى صندوق محكم ، وتلقيه فى اليم – فى نهر النيل – وأن رعاية الله ستتولاه فلن يصاب بسوء ، وإذا بالقدر الحكيم يهيئ له الجو فيلتقطه آل فرعون ، ثم يهمون بقتله ، ولكن العناية الإلَهية ترقق قلب امرأة فرعون ، وكانت لا تلد ، وتنهى عن قتله ، فيتربى موسى فى بيت فرعون ، ويسخر الله البيت ومن فيه وما فيه لخدمه موسى الذى سيكون على يديه هلاك فرعون وآله ، هذا ما قصه علينا الكتاب العزيز :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ، فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي ، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ، وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً * إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا

---

(١) البقرة : ٤٩

كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ ؛ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ [(١)] .

وهكذا خاب فرعون ونجا موسى بتدبير الله العزيز الحكيم ، خاب فرعون ، لأنه قتل أُلوف الأطفال بلا ذنب ، وجميعهم لو تُركوا أحياء ما ضروه ولا لحقه منهم أذىً ؟!

وأبقى طفلاً واحداً يراه أمام عينيه فى بيته صباح مساء ، يرفل فى حلل النعيم ، وعلى يد هذا الطفل - لو درى فرعون وجنوده - هلاك فرعون وهلاك ملكه ، فيالسخرية القدر من الطغاة وأعوانهم .

* *

## ● الواقعة فى الرواية :

المؤلف - الأُستاذ نجيب محفوظ - كان ، وهو يخط هذه الرواية - بين نزعتين عارمتين :

**إحداهما** : حرصه الشديد على رسم صورة لكبار أولاد الحارة مستمدة من واقع حياتهم .

**والثانية** : حرصه الأشد على إخفاء حقيقة « الشخص » الذى يرسم له تلك الصورة ، ليظل ذلك الشخص كائناً وهمياً - أُسطورة - من صنع الخيال .

ولذلك فإنه يعمد إلى بلورة الوقائع بتبديل فى قسماتها الواقعية ، حتى تبدو بينها وبين صاحبها الحقيقى منافرة وتدافع . هذا السلوك سلكه المؤلف فى كل شخصية من الشخصيات الواقعية الذين لهم تاريخ أو سيرة محفوظة خارج أولاد حارة الأُستاذ « محفوظ » ، فتعال انظر كيف صوَّر واقعة إلقاء موسى فى اليم ، والتقاط آل فرعون له ، يقول المؤلف يصف حال جبل لما تَوَزَّع قلبُهُ بين ولاءين لقومه أو لبيت ناظر الوقف كما أشرنا من قبل :

---

(١) القصص : ٧ - ٩

« ودَّ أنْ يدفع عنهم - أى آل حمدان قومه - لولا إشفاقه من إغضاب البيت - أى بيت فرعون - الذى آواه وربَّاه وتبناه ، ماذا كان سيكون لو لم يدركه عطف هدى هانم - أى امرأة فرعون - منذ عشرين عاماً رأت الهانم طفلاً يستحم فى حفرة مملوءة بمياه الأمطار مضت تتسلى بمشاهدته ، فمال قلبها الذى حرمه العقم من نعمة الأُمومة إليه ، أرسلت مَنْ حمله إليها ، وهو يبكى خائفاً » [1] .

لم يأخذ من الواقعة إلا الحفرة رامزاً بها إلى « اليم » ، ثم دخول موسى بيت فرعون ، وأدار ظهره للباقى ، وهذا من الفر بعد الكر ، أو الإحجام بعد الإقدام كما ترى ؟

ثم عاد المؤلف وذكر هذه الواقعة مرة أُخرى ، فقال فى وصف حالة نفسية لـ « جبل » :

« وأصوات تهتف من أعماق نفسه : لن تطيب الحياة على حساب الغير ، وآل حمدان - يعنى قوم جبل - أهله ، فيهم ولدتْ أُمه وأبوه ، وفى مقابرهم دُفنَا ، وهم مظلومون ، وما أقبح الظلم ، اغتصبت أموالهم ، ولكن مَنْ الظالم ؟ إنه وَلِىُّ نعمته الرجل الذى انتشلته زوجته من الطين ، فرفعته إلى مصاف آل البيت الكبير » [2] .

* *

## الدليل الثالث - المصارعة بين الإسرائيلى والمصرى :

حكى القرآن الأمين شجاراً وقع بين رجل إسرائيلى وبين رجلين من أهل مصر ، فاستغاث الإسرائيلى بموسى فقتل موسى المصرى قَتْلاً خطأ غير متعمد ، ثم استغاث به الإسرائيلى فى المرة الثانية ، فهمَّ موسى بضرب المصرى ، لكنَّ

---

(١) أولاد حارتنا ص ١٣١

(٢) أولاد حارتنا ص ١٣٦

المصرى ذكَّر موسى بقتل الرجل الأول فأعرض عنه موسى ، وكان ذلك قبل بعثته رسولاً إلى فرعون وملئه ، جاء ذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى ، فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

* *

● **الواقعة فى الرواية :**

قال المؤلف فى رصد هذه الواقعة :

« فرأى - أى جبل - رجلاً يركض فى رعب ، وآخر وراءه ، يطارده ، ويوشك أن يلحق به ، فأمعن النظر ، فعرف فى الهارب دعبس - الرجل الإسرائيلى - وفى المطارد قدرة - الرجل المصرى - .. وفى الحال عرف حقيقة الموقف .. وما لبث قدرة أن أدرك دعبس ، فقبض بيده على منكبه .. وصاح قدرة .. كيف تجرؤ على مغادرة جحرك يا ابن الأفعى ؟

لن تعود سالماً .. وحانت من دعبس نظرة نحو موقف جبل .. فناداه : أغثنى يا جبل ، أغثنى فأنت منَّا قبل أن تكون منهم .. ووجد جبل نفسه يتقدم منهما .. وهو يقول بهدوء :

ترفق بالرجل يا معلم قدرة . قال قدرة : إنى أعرف ما ينبغى أن أفعله .

جبل : لعل أمراً ضرورياً دفعه إلى مغادرة بيته » .

قدرة : ما دفعه إلا قضاؤه المحتوم » (٢) .

---

(١) القصص : ١٥ - ١٦

(٢) أولاد حارتنا ص ١٣٦ - ١٣٧

ويمضى الكاتب فى سياق كلامه الخيالى حتى يصل إلى اشتداد الموقف بين موسى وقدرة ، ثم قتْل موسى لقدرة .

وأياً كان أسلوب الكاتب فى تصوير هذه الواقعة ، فإن ذِكرها فى الرواية دليل على أن « جبل » فى الرواية هو : موسى عليه السلام .

❋ ❋

الدليل الرابع - تجدد الشجار مرة أُخرى :

يحكى لنا القرآن الأمين واقعة الشجار الثانية عقب الأُولى فيقول :

﴿ فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائفاً يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ، قَالَ : يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِى الْأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١) .

❋ ❋

● **الواقعة فى الرواية :**

عرض مؤلف الرواية : « أولاد حارتنا » هذه الواقعة فى صورة جدَّ مختلفة عما ورد فى الكتاب العزيز . فالقرآن يؤكد أن الشجار فى المرتين كان بين إسرائيلى ومصرى فى المرة الأُولى غير المصرى الذى كان فى المرة الثانية .

وخلاصة الواقعة فى الرواية هى :

أن « دعبس » اتهم إسرائيلياً آخر اسمه « كعبلها » باختلاس حبة بطاطة من « حلة » ، دعبس وأكلها ؟ وتشاجر الرجلان فى وجود جبل الذى انحاز إلى « كعبلها » لأن « دعبس » اتهمه بغير دليل ، وراح جبل يكيل الضربات

---

(١) القصص : ١٨ - ١٩

لدعبس ، فقال دعبس لجبل : أتريد أن تقتلتنى كما قتلت قدرة ؟! [1] ، وكان قول دعبس هذا إعلاناً لأول مرة عن قاتل « قدرة » المصرى .

هذا التزوير لم يلجأ إليه مؤلف الرواية إلا للتمويه على القراء حتى لا يفطنوا إلى أنه يتحدث هنا عن موسى عليه السلام ، وهو من الفر بعد الكر أو الإحجام بعد الإقدام قصداً للتمويه .

ومهما بلغت مهارة المؤلف فى « الروغان والزوغان » فإن ما فيه بادٍ على فيه ؟!

ألا ترى إلى قوله منسوباً إلى دعبس : أتريد أن تقتلنى كما قتلت قدرة » .

قارن هذا القول بعبارة القرآن الحكيم :

﴿ أتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بالأَمْسِ ﴾ حيث سطا المؤلف على العبارة القرآنية مع تبديل يسير : قدرة مكان « نَفْساً » ، ثم حَذْف « بالأمس » ، وهذا كذلك فر بعد كرٍّ ، وإحجام بعد إقدام .

❋ ❋

الدليل الخامس - الناصح الأمين :

ويضيف القرآن الأمين إلى واقعتى الشجار الذى حدث بين الإسرائيلى والرجلين المصريين ، واقعة أُخرى ، مؤداها أن رجلاً ناصحاً أميناً ، لما فشا فى المدينة - القاهرة الآن - أن موسى عليه السلام هو قاتل المصرى الأول ، وتآمر آل فرعون على قتل موسى ، جاء الرجل الناصح الأمين ، وأشار عليه بالخروج من المدينة ، بعد أن أعلمه بما يدبره له آل فرعون . وفى ذلك جاء قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ، قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْقَوْمَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فَأَخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [2] .

---

(١) أولاد الحارة ص ١٥١ ملخصاً . .	(٢) القصص : ٢٠

## ● الواقعة فى الرواية :

ذكر مؤلف الرواية هذه الواقعة ملفوفة فى قتام كثيف ، حيث زعم أن الناصح لجبل - أى لموسى - رجل كان يسير مع موسى اسمه « ضلْمة » [1] يقول الكاتب : إن ضلمة هذا دعا موسى ليقيم معه فى شقته للتستر عليه ، ثم دار بينهما الحوار الآتى :

جبل لضلمة : ألا يوجد سبيل إلى الخروج ؟!

ضُلْمة لجبل : أتخاف يا جبل أن يشى بك أحد إلى أعدائنا ؟

جبل : دعبس أحمق .

ضلْمة : نعم ، ولكنه ليس بالنذل .

جبل : أخاف أن تثبت عليكم - أى على آل حمدان - التهمة بسببى .

ضلْمة : سأدلك على طريق الهروب إذا أردته » [2] .

لقد بلغ العبث مدى بعيداً فى « أولاد الحارة » فى سوق هذه الواقعة كما ترى ، ولم يكن فيها من الحق إلا لون شاحب كالح . ومع هذا فإنها دليل فاضح لما يكتمه المؤلف .

❊ ❊

## ● الدليل السادس - خروج موسى إلى مدين :

يحدثنا القرآن الأمين أن موسى خرج إلى مدين ، استجابة لنصح الناصح الأمين ، داعياً ربه أن يهديه سواء السبيل ، وينجيه من القوم الظالمين . قال سبحانه :

---

(١) لست أدرى سر هذه التسمية المقبضة ، ما كان فى وسع مؤلف الرواية أن يسميه « نور » ، لأنه أنار بصيرة رسول الله موسى ، أم أن المزاج العام الذى كان يسيطر على المؤلف هو الذى أملى عليه هذه التسمية ضلمة ؟! (٢) « أولاد حارتنا » ص ١٥٢

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ، قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْقَوْمَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فَأَخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١) .

* *

**● الواقعة فى الرواية :**

أما مؤلف « أولاد حارتنا » ، فصور الواقعة فى خيال سرابى خادع ، حيث انتهى خروج موسى إلى سوق المقطم ، وجلس على مقعد يراقب الزبائن غادين ورائحين . وبهذا يكون خروج موسى أو جبل بدأ وانتهى إلى نفس المكان الذى خرج منه ، إلا بضع خطوات قد يخطوها إنسان داخل بيته من غرفة إلى غرفة ، وأين سوق المقطم من « مدين » ياهوه ؟! (٢) .

وهذا التمويه والتشويش ليس بنافعه ، فالمراد معلوم ، والمَخفىّ مكشوف فأين المفر ؟

* *

**● الدليل السابع – سُقْيَا موسى لابنتَى شعيب عليه السلام :**

نُذكِّر القارئ بأن رمز شعيب عليه السلام فى رواية « أولاد حارتنا » هو « البلقيطى » ، وهى تسمية لا معنى لها سوى ما أراده منها الكاتب مثلما أراد من « ضلْمة » من قبل ، وشعيب نبى كريم فكان حرياً أن يكون رمزه كريماً كمعناه ، ولكن للناس فيما يعشقون مذاهب ؟!

وسُقْيا موسى عليه السلام لابنتَى شعيب عليه السلام قصها علينا القرآن الأمين فى أسلوب واضح ، جاء فيه :

---

(١) القصص : ٢٠ - ٢٢ (٢) أولاد الحارة ص ١٥٤ ملخصاً .

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ، قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (١) .

* *

● **الواقعة فى الرواية :**

عمد مؤلف الرواية « أولاد حارتنا » فى أسلوب أشبه ما يكون ببرنامج إذاعى فكاهى اسمه : لخبط لخابيط ؟ لعبط لعابيط » ؟! (٢) هكذا - والله - تخيلت تشبيه كلام المؤلف - هنا - مع أنه يعرف الصواب كيف يكون فقد جعل البئر التى كان حولها الرِّعاء يسقون أغنامهم ، جعلها « حنفية » أو صنبور مياه ؟!

وجعَل سقيا موسى أغنام ابنتى شعيب عليه السلام أنه ملأ لهما صفيحتين ؟

وجعل شعيباً أو البلقيطى موجوداً بمكان السقيا ، ولم يذهب موسى إليه بعد أن أرسل إليه إحدى ابنتيه ؟!

وزاد على هذا أن شباباً ظلوا يعاكسون ابنتى شعيب عليه السلام ، فدخل معهم موسى فى معركة « حمشة » وانتصر عليهم ؟!

كما جعل إحدى ابنتى شعيب « تكبس » موسى عدة مرات وترفض مساعدته لهما (٣) .

---

(١) القصص : ٢٢ - ٢٣

(٢) معذرة للقارئ إن كنت قد لخبطت فى العنوان : هل هو شخبط ، أو لعبط أو لخبط ؟

(٣) أولاد الحارة ص ١٥٤

ليقلْ الكاتب ما شاء ، ومهما توارى خلف رموزه « ولخابيطه » ، فإن « جبل » هو موسى عليه السلام .

❋ ❋

**● الدليل الثامن – لقاء موسى وشعيب عليهما السلام :**

لما عادت ابنتا شعيب وأخبرتاه الخبر ، أوفد إحداهما إلى موسى تدعوه إلى زيارة أبيها ، فلبَّى موسى الدعوة ، ثم دار بينهما حديث نقله إلينا القرآن الأمين فى صدق فقال :

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَاء ، قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ، قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

دلالة الآية الكريمة على أن موسى ظل فى مكانه بعد أن سقى لابنتى شعيب ، وأن شعيباً كان ثاوياً فى بيته لم يغادره ، وأنه أرسل إحدى ابنتيه إلى موسى تدعوه للقياه ، وعندما التقيا طمأن شعيب موسى بنجاته من الظالمين .

❋ ❋

**● الواقعة فى الرواية :**

أمَّا رواية « أولاد حارتنا » ، فقد عمدت إلى تشويه « أحسن القصص » وأدخلت فيه لغواً فارغاً ، وحشوا مُملاً ، إذ صورت – جبل – يخوض معركة مع شبان كانوا يغازلون ابنتى « البلقيطى » ويفاجأ « جبل » وهو مشتبك مع الشبان بشيخ كبير يقول :

« اذهبوا يا شين الرجال » يخاطب الشبان ، ثم مضى المؤلف يقول :

---

(١) القصص : ٢٥

« اتجهت الأبصار نحو رجل كهل قصير ، مُدْمَج الجسم ، برّاق العينْين ، يشد جلبابه على وسطه بحزام ، فهتفوا خجلين :

« المعلم البلقيطى » [(١)] ، ثم يمضى المؤلف فيقول : إن شعيباً قدَّم نفسه لموسى قائلاً : أنا البلقيطى الحاوى » ، وأن موسى قال : حصل لنا الشرف ، كثيرون يعرفونك فى حارتنا » [(٢)] .

أما ترى كيف عبثت رواية أولاد الحارة بالواقعة ، وهى تعلم من هو جبل ، ومن هو البلقيطى فى قاموسها الرمزى ؟ وهى - كذلك - تعلم جلال الموضوع الذى تحاكيه وترويه ، وتتخذ منه مادة للإضحاك ، بل والقهقهة حتى الاستلقاء على الظهر ؟!

إن لقيا جبل - أى موسى - بـ « البلقيطى » - أى شعيب ، دليل تلو دليل على تعرية « خبايا أولاد الحارة » ، وكشف اللثام عن جبل ، ليصبح موسى ، وعن البلقيطى ليظهر شعيب .

❊ ❊

## ● الدليل التاسع - تزويج موسى وعمله لدى شعيب :

ثم يمضى القرآن الأمين ، فيضيف إلى ما تقدم حلقة جديدة من سيرة موسى عليه السلام ، والعلاقات التى توطّدتْ بينه وبين شعيب ، فيقول :

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الْأَمِينُ ❊ قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَىَّ هَاتَيْنِ ، عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ❊ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَىَّ ، وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [(٣)] .

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٥٥ (٢) « أولاد حارتنا » ص ١٥٦
(٣) القصص : ٢٦ - ٢٨

● **الواقعة فى الرواية :**

عرضت رواية « أولاد حارتنا » هذه الواقعة فى ست عشرة صفحة ، حشتها بلغو خيالى أساءت فيه إلى موسى وشعيب معاً ، وهى تعلم أنها تتحدث عن رسولين كريمين ، وكان مما جاء فيها :

إن - جبل - أو موسى فُتِن بشفيقة ابنة شعيب ، تطربه رؤيتها ، ويسعده حديثها ؟!

إنه - وشعيب - كانا يدخنان « الجوزة » معاً .. ؟!

إن « جبل » بعد أن تزوج من شفيقة ابنة شعيب لم يكن له من عمل أو نشاط سوى أمرين :

**الأول** : أن تكون شفيقة راضية عنه ؟

**الثانى** : الفراغ وحب الكسل والخمول ؟

وما أكثر ما قبع جبل فى البيت ، وكلما دعاه البلقيطى للعمل أخلد جبل إلى الأرض ، محتجاً بأن أدهم - آدم - من قبل كان يحب الجلوس فى حديقة البيت الكبير ، والسماع إلى الغناء ؟!

ولما يئس منه شعيب ( البلقيطى ) شكاه إلى شفيقة زوجته ، فظلت تحضه على العمل حتى استجاب .

ولكن ما العمل الذى زاوله جبل أو موسى لدى شعيب ؟ تقول رواية : « أولاد حارتنا » إنه عَمِلَ حاوياً مثل « نسيبه » البلقيطى ؟ وأنه كان يعرض ألعابه فى السوق ، ويحسن ترويض الثعابين ، والتعامل معها ؟

وفجأة أبصره دِعْبس وهو يعرض ألعابه على الناس ، فتعرفا ودار بينهما حديث غير قصير ، وتبادلا الأخبار (١) .

---

(١) أولاد الحارة ص١٥٩ - ١٧٤ ملخصاً .

وهكذا تظهر الرواية موسى عليه السلام ، وهو من أُولى العزم من الرُّسُل ، تظهره كسولاً خاملاً مثله الأعلى أن يشعر - دائماً - برضا زوجته شفيقة ؟ ثم تسند إليه عملاً من أحقر الأعمال ، كما أسندته إلى « شعيب » من قبل ، وكما أسندت إلى آدم بيع « الخيار » الملوث على عربة كارو ، وثلاثتهم من الرُّسُل والأنبياء الكرام ؟!

وهذا الدليل وإن عددناه واحداً ، فهو فى الواقع دليلان :

- العمل لدى شعيب .
- وتزوجه من ابنته .

ولكنا عددناه دليلاً واحداً على أن « جبل » فى رواية « أولاد الحارة » هو موسى عليه السلام لشدة ارتباط الواقعتين فى طور واحد .

وذلك فى « العقد » الذى أبرماه - شعيب وموسى - فى أول لقاء لهما :

العمل من موسى ، والتزويج من شعيب ، وقبول موسى لشروط العقد ومقتضياته :

﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَىَّ ، وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ .

❋ ❋

**● الدليل العاشر - عودة موسى إلى مصر وتتويجه بالرسالة :**

عودة موسى - عليه السلام - حدث ضخم فى حياته ، وتغيُّر فى مجرى التاريخ الدينى النبوى - الذى هو موضوع رواية « أولاد الحارة » - فقد خرج موسى من مصر ، وهو عبد صالح ، وذو فِطرة نقية ، ثم عاد إلى مصر ، وهو رسول موحى إليه ، يحمل أعباء رسالة عظمى ، لم يسبق لها مثيل فى التاريخ الدينى النبوى من قبل .

رسولاً إلى فرعون الطاغية وملئه أجمعين .

ثم رسولاً إلى بنى إسرائيل ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويذكرهم بأيام الله .

هذه المعانى الجليلة ، قصها علينا القرآن فى مواضع عديدة من سوره المباركات .

ومن أول المواضع فى نظم السيرة النبوية لموسى ، واقعة عودته إلى مصر ، وتتويجه بالرسالة وهو فى الطريق إليها ، هكذا قص علينا القرآن الأمين :

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً ، قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَاراً ، لَعَلِّى آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ، أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِ الأَيْمَنِ ، فِى البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ ، مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ ، وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ، اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ، فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ (١) .

هذا ما فوجئ به موسى ، وهو فى الطريق إلى مصر قبل أن يدخلها .

* *

(١) القصص : ٢٩ - ٣٢

أتاها : أتى النار ، نودى : ناداه ربه ، جان : حية ، أسلك : أدخل ، الجناح : الجنب ، الرهب : الخوف ، أى إذا خفت من رؤية الحية فضع يدك على جنبك يذهب خوفك .

برهانان : آيتان تدلان على أنك رسول من عند الله ، والبرهانان هما : خروج يده من جيبه بيضاء ناصعة ، وانقلاب العصى ثعباناً .

● **الواقعة فى الرواية :**

أما رواية « أولاد حارتنا » فقد صورت العودة والتتويج بالرسالة فى عبارات خرافية ، كأنها فصل من فصول ألف ليلة وليلة ؟!

قال فى العودة إلى مصر :

إن « جبل » ومعه أهله - عاد إلى مصر فى ليل دامس ، وقصدا حمدان شيخ بنى إسرائيل أو آل حمدان كما فى الرواية ، فرحّب بهما حمدان ، وانتشر نبأ عودة جبل وزوجته فى حى آل حمدان ، فتوافدوا عليه جماعات ووحداناً .

وكان جبل عند عودته يحمل « بقجة » ، وشفيقة تحمل « بقجة » أُخرى ، وأُدخلت شفيقة إلى حجرة الحريم ، وأُدْخِل جبل حجرة واسعة يستقبل المهنئين وجلسوا على الشلت . . ؟! (١) .

● أما تتويج موسى بالرسالة فى رواية أولاد الحارة ، فاسمع إلى جبل وهو يقص نبأ الرسالة :

« مضيت فى تجوالى فى ظلام دامس . . . . وما أدرى إلا وأنا أوشك أن أصطدم بشبح هائل - يعنى الجبلاوى رمز الأُلوهية ( الله ) - توهمت أول الأمر أنه أحد الفتوات ، ولكنه بدا لى شخصاً « ليس كمثله أحد فى حارتنا ، ولا فى الناس جميعاً ، طويلاً عريضاً كأنه جبل » (٢) .

وإذا بصوت عجيب : « قف يا رجل » ، فتسمرت فى مكانى ، وسألته وجلدى ينضح بالخوف : من ؟ من أنت ؟

---

(١) أولاد الحارة ص ١٧٤ - ١٧٥ ملخصاً ، والبقجة : الصرة .

(٢) ليس كمثله أحد ، هو وصف الله كما جاء فى القرآن : ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ فالكاتب هنا يصف الجبلاوى قاصداً منه « الله » لا محالة ؟!

يقول المؤلف : فتوقف جبل عن الحديث وتساءل ضلْمة :

من حارتنا ؟

فرد عليه عتريس : قال : ليس كمثله أحد فى حارتنا ولا فى الناس جميعاً .

ثم عاد جبل ليواصل الحديث ، فقال كما فى الرواية :

« قال لى بصوته العجيب : « أنا جدك الجبلاوى » .

وتلقى الجالسون هذا الكلام بالإنكار والدهشة ، بل والسخرية ، واتهموا - جبل - بأنه « مسطول » ، فظهر الغضب فى وجه جبل ، وقال :

« سمعته بأذنى ، وهو يقول لى : « لا تخف أنا جدك الجبلاوى » ، ثم واصل جبل الحديث :

« وحدَّدت بصرى لأتبين وجهه المرتفع فى الظلام ، فقال لى : لن تستطيع رؤيتى ما دام الظلام ، فقال جبل : لكنك ترانى فى الظلام .

قال الجبلاوى : « إنى أرى فى الظلام قبل أن توجد الحارة » .

قال جبل : فقلت بإعجاب : الحمد لرب السموات على أنَّك ما زلت تتمتع بصحتك ؟ فقال الجبلاوى :

« أنت يا جبل ممن يُركن إليهم ، وآى ذلك أنك هجرت النعيم غضباً لأُسرتك المظلومة ، وما أُسرتك إلا أُسرتى ؟! ، وهم لهم فى وقفى حق يجب أن يأخذوه . . . فسألته : « وكيف السبيل إلى ذلك ؟

فقال : « بالقوة تهزمون البغى ، وتأخذون الحق » [١] .

* *

---

(١) أولاد حارتنا ص ٧٦ - ١٨٠

● **وقفة مع هذه الفقرات :**

تقيدنا فى النقل بكلام المؤلف ولم نغير فيه حرفاً ، سوى حذف ما لا حاجة إليه ، والفقرات التى نقلناها لا تقف عند حد الدلالة على أن « جبل » فى رواية « أولاد حارتنا » هو « موسى » فحسب ، بل لها دلالتان أُخريان عظيمتان بالنسبة لنا :

فهى تدل دلالة قاطعة على أن الحارة فى « أولاد حارتنا » هى الدنيا بكل من فيها وما فيها ، دليل ذلك قول « الجبلاوى » لـ « جبل » :

« إنى أرى فى الظلام قبل أن توجد الحارة » ؟ فلما كان « الجبلاوى » عند المؤلف هو - والعياذ بالله - ( الله ) ، فإن الله يرى لا يحجب رؤيته شيء قبل أن تخلق الدنيا .

أما الدلالة الثانية لهذه الفقرات فهى : أن « الجبلاوى » فى خيال مؤلف الرواية هو - قطعاً - والعياذ بالله مر أُخرى - ( الله ) سبحانه وتعالى عما يقولون عُلُوّاً كبيراً ، ومواطن الأدلة على هذا فى هذه الفقرات هى :

« ليس كمثله أحد فى حارتنا ولا فى النَّاس جميعاً » أليست هذه العبارة مستوحاة من قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .

قول الجبلاوى لجبل كما قال المؤلف :

« لن تستطيع رؤيتى » أليست هذه العبارة مستوحاة من قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ أرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، قَالَ لَنْ تَرَانِى . . . ﴾ (٢) .

قول الجبلاوى لجبل : « بالقوة تهزمون البغى » أليست هذه العبارة مستوحاة من قوله تعالى :

﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ، وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا . . . ﴾ (٣) .

---

(١) الشورى : ١١ (٢) الأعراف : ١٤٣ (٣) الأعراف : ١٤٥

أما قول المؤلف على لسان جبل للجبلاوى :

« الحمد لرب السموات على أنك ما زلت تتمتع بصحتك » .

فإنه فى تقديرنا أتى به للإيهام على القارئ ، ووضع غشاوة على بصره أو بصيرته لكيلا يرى الحقيقة ، ومثلها عبارته فى وصف الجبلاوى : « طويلاً عريضاً كأنه جبل » ، هذا كله ، وغيره كثير فى الرواية من باب الفر بعد الكر ، والإحجام بعد الإقدام قصداً للتمويه ، والله أعلم بما فى السرائر .

إن معنى الرموز - هنا - شديد الوضوح ، وبخاصة لمن كان مُلما بقصص الأنبياء ، حافظاً لكتاب الله ، أو كانت موضوعاته حاضرة فى ذهنه وإن لم يكن حافظاً .

**« أسرتك أسرتى » :**

هذه العبارة مما تَقَوَّلها المؤلف على الجبلاوى رمز الأُلوهية ( الله ) ولها معنى خطير ، هو أن المؤلف يجارى اليهود فى دعاواهم الفارغة :

- أنهم أبناء الله وأحباؤه ؟!
- أنهم شعب الله المختار ؟!

انظر كيف شرد به الخيال ؟ وكم أباح له أسلوبه الرمزى من الأقوال التى تخر لها الجبال هداً ؟

المؤلف يعرف - تماماً - ما جاء فى الذِكْر الحكيم عن الموضوعات التى حرَّف وبدَّل وغيَّر فيها ، وأضاف إليها ما ليس منها ، وبتر عنها ما هو من صميمها ، واسأل نفسك عزيزى القارئ :

لماذا لم يشر إلى وزارة هارون لموسى ؟

ولماذا أدار ظهره للنار التى رآها موسى فى طريق عودته من مدين إلى مصر ؟

ولماذا غضَّ بصره عن الآيتين أو البرهانين اللذين جعلهما الله معجزتين لموسى على فرعون وملئه ؟

لقد عودنا الكاتب أنه بالإضافة إلى الرمز الذى يغلّف فيه معناه تمويهاً وتشويشاً يعتمد فى روايته وسيلتين أُخريين للتمويه والتشويش .

- أن يُضيف إلى الواقعة ما ليس منها ؟
- أو يحذف منها ما هو من أركانها ؟

وما أكثر ورود هاتين الوسيلتين فى رواية « أولاد حارتنا » أو « أولاد حارة الأستاذ نجيب محفوظ » ، وهو الصحيح .

❋ ❋

## ● الدليل الحادى عشر – إرسال موسى إلى فرعون :

- رسالة موسى عليه السلام – لها طوران ، أو هى رسالتان :
- رسالة إلى فرعون وملئه ، كما جاء فى القرآن الكريم مخاطباً العرب فى شبه الجزيرة :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ ، كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ [١] .

وكانت مهمته فى هذه الرسالة مزدوجة :

( أ ) شقها الأول دعوة فرعون وملئه إلى التوحيد والطاعة .

( ب ) وشقها الثانى استخلاص بنى إسرائيل من الذل والهوان الذى أنزله بهم فرعون وقومه .

ثم رسالة إلى بنى إسرائيل أنفسهم ، يدعوهم – كذلك – إلى توحيد الله وطاعته فيما يأمر به أو ينهى عنه .

---

(١) المزمل : ١٥

وقد جاءت الرسالتان على الترتيب المشار إليه ، حيث كُلِّف موسى ، ومعه أخوه هارون ، بدعوة فرعون أولاً بشقيها المذكورين :

أن يدعواه إلى توحيد الله وطاعته ، وأن يطالباه بفك الحصار الذى فرضه على بنى إسرائيل بمصر ، وأذاقهم فيه العذاب صنوفاً وألواناً :

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (١) .

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾ (٢) .

ووقائع الرسالة الأُولى كان مسرحها مصر ، حيث ذهب موسى وهارون ، وبلَّغا فرعون وقومه ما أرسلا به إليهم .

* *

### ● الرسالة فى الرواية :

اقتصرت الرواية على رسالة موسى إلى فرعون فحسب ، ولم تقم وزناً لرسالته إلى بنى إسرائيل وهى الأساس ، وحتى فى حديثها عن رسالة موسى أو جبل كما هو معروف فى الرواية ، فإن حديثها وقف عند حد دنيوى بحت ، ولم تتعرض للجانب الإيمانى الروحى لا من قريب ولا من بعيد ؛ لأن قضايا الإيمان لا وجود لها فى الرواية كلها .

* *

---

(١) طه : ٤٣ - ٤٦

(٢) الشعراء : ١٦ - ١٧

## ● حديث الرواية عن الرسالة الأُولى :

لطول ما ثرثرت به الرواية فى هذا المقام ، نلجأ إلى تلخيصه توخياً للإيجاز : « سأل ناظر الوقف - فرعون - جبلاً عن سبب مجيئه لبيت الناظر ، فقال جبل - موسى - : جئت مطالباً بحقوق آل حمدان فى الوقف وفى الحياة الآمنة ، لكن الناظر اشتاط غضباً وقال لجبل :

أتجرؤ على هذا الحديث ؟ وتدخلت هدى هانم - زوجة فرعون - وقالت :

كان فى نيتى يا جبل أن أدعوك للإقامة أنت وزوجتك معنا ، فقال جبل : إنما قلت لكم رغبة جدنا وجدك الجبلاوى ؟ فما كان من الناظر إلا أن يشتم « جبل » ويتهمه بالجنون ، لكن « جبل » قصَّ عليه فى هدوء مقابلته للجبلاوى والحديث الذى دار بينهما [١] .

فقال الناظر : إنك حاوٍ بجدارة ، ثم انهال عليه لكْماً وضرباً ؟!

أحدث هذا اللقاء قلقاً فى حى آل حمدان - بنى إسرائيل فى مصر - وسرعان ما اجتمعوا حول جبل فذكرهم بوصية الجبلاوى بأن يكونوا أقوياً ، وقال :

لم يكرِّم الجبلاوى حياً من هذه الأحياء كما أكرمكم [٢] ، ولو لم يعتبركم أسرته الخاصة ما لاقانى ولا كلمنى ، ولكنه نور السبيل ، ووعد بالتأييد . ووالله لأكافحن ولو كنت وحدى . . واحتل جبل مكان الزعامة فى حيه [٣] .

هكذا عرضت رواية « أولاد حارتنا » لقاء موسى بفرعون لقاء خلا تماماً من المهمة الأُولى لموسى فى رسالته لفرعون وملئه حتى تكليف الجبلاوى لموسى

---

(١) يعنى أن موسى عليه السلام أخبره بأنه رسول الله إليه وإلى قومه .

(٢) يستوحى الكاتب هذا المعنى من قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِى الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ، وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ ﴾ ( البقرة : ٤٧ ) .

(٣) أولاد الحارة : ص ٨٤ - ١٨٨

كان محصوراً فى أمر دنيوى أرضى مثل أى زعيم سياسى أو شعبى يصارع من أجل متاع الحياة الدنيا ولا شىء غيرها .

إن رسالة موسى لفرعون وقومه كانت قبل كل شىء لإعلان وإعلاء كلمة التوحيد ، وتعريف فرعون بأنه عبد مربوب ، لخالق السموات والأرض ، ولنقرأ معاً هذه الآيات الكريمات ، لنرى كيف جرَّدت رواية أولاد حارة الأُستاذ نجيب محفوظ رسالة موسى إلى فرعون وملئه من أُصولها الإيمانية ، وعبثت بها كما تعبث الرياح العاتية بخشاش الأرض :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِى لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (١) .

انظر كيف قرع موسى أذان فرعون وملئه بكلمة التوحيد ، وأخذ يكررها مرات رداً على فرعون ، ثم يلجم فرعون حجراً بإعلان المعجزتين أمام ناظريه وملؤه يشهدون ، ثم ينتصر الحق فى النهاية بإيمان السحرة وخذلانهم لولى نعمتهم فرعون لما ظهر لهم باطله ولاحت لهم آيات الإيمان تملأ العيون والقلوب ، فهتفوا بأعلى أصواتهم : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (٢) .

ثم تحدوا فرعون لما هدَّدهم ، وكانوا من قبل دمية فى يده يحركهم كيف شاء :

---

(١) الشعراء : ٢٣ - ٣٣ (٢) الشعراء : ٤٧ - ٤٨

﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

عُدْ إلى ما فى رواية « أولاد حارتنا » ، وفتش فيها عن هذه المواقف الإيمانية الخالدة ، وزهوق الباطل أمام الحق ، فإن عُدْتَ إليها فلن تجد فيها إلا طمساً لهذه المواقف المتدفقة بحيوية الحق وإشراقات الإيمان ؟!

* *

● **الدليل الثانى عشر – واقعة السحرة :**

واقعة السحرة كانت أول مسمار يُدق فى نعش فرعون وطغيانه ، كان فرعون يرى أن موسى ساحر ، وأن ما جاء به سحر ، وجمع مهرة السحرة فى مملكته ليهزموا سحر موسى :

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ . . . ﴾ (٢) .

ولما جاء سحرته قالوا :

﴿ يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِىَ ، وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ، وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (٣) .

* *

---

(١) الشعراء : ٤٩ – ٥١ (٢) طه : ٥٦ – ٥٨ (٣) طه : ٦٥ – ٦٩

• **الواقعة فى الرواية :**

حرص مؤلف الرواية على أن يستفيد منها فى الفصل الذى كتبه عن موسى ، أو جبل على حد رمزه له ، ولكن لم يملك إلا أن يخرجها من سياقها الإيمانى المشرق ، وضع مكانها واقعة خرافية بحتة ، حيث زعم أن الثعابين انتشرت فى البيوت عقب انفضاض اللقاء الذى تم بين موسى وفرعون ، وأن ذعراً أصاب الناس منها ، وبخاصة هدى هانم امرأة فرعون . فاضطر فرعون أو حضرة الناظر حسب رمزه فى الرواية إلى استدعاء موسى لتطهير بيت الناظر من الثعابين ، ثم تطهير بيوت أولاد الحارة ، وأن موسى قام بتطهيرها فِعْلاً ، بيد أن زقلط أو هامان أوحى إلى فرعون بأن موسى هو الذى نشر الثعابين فى الحارة ، فصدق فرعون وشاية زقلط - هامان - وأجمعا على إبادة موسى وقومه ، فنشبت بينهم معارك كان النصر فيها لآل حمدان بزعامة موسى ، ووقع فرعون وهدى هانم فى أسر آل حمدان ، وبدأ فجر جديد لآل حمدان بهزيمة فرعون وملئه (١) .

أليس فى هذا مسخ للواقع ، وتزييف لسيرة عطرة كان انتصار الحق على الباطل هدفها الأول والأخير ؟

لقد أساءت رواية « أولاد حارتنا » إلى التاريخ الدينى النبوى ، وجردت ذلك التاريخ أو أحسن القصص كما سماه القرآن الكريم ، جردته من روحه ، وصيرته أُحدوثة فى أفواه الرعاع وسفلة القوم ، وكان فى وسع مؤلف الرواية أن يختار موضوعاً آخر مادة لخياله وهوايته الفنية ، ولو كان قد فَعَل لرحم نفسه ، وصان فنه من العبث والإسفاف ، ولكن ، وقد كان ما كان ، فليس أمامنا إلا الندم والتوبة ، مع التبرؤ من هذا العمل الآثم ، مهما كانت نتائج التبرؤ منه ، وإلا فالحساب عند الله عسير ثم عسير ، والله يحب عباده التوابين :

---

(١) أولاد الحارة ص ١٨٨ - ٢٠١ ملخصاً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ، وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ (1) .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (2) .

* *

**● الدليل الثالث عشر – لمحة من التشريع فى العهد القديم :**

مؤلف رواية « أولاد حارتنا » تتبع التاريخ الدينى النبوى من خلال آيات الذكر الحكيم ، ينقل الواقعة من القرآن إلى ذهنه ، ثم يُعْمل فيها خياله ، ويقذفها على الورق مولوداً مشوه الوجه ، أشل الأعضاء شاحب اللون .

حتى مسائل التشريع اختلس بعضها ، وفى دليلنا الثالث عشر والأخير نضع أمام القُرَّاء الفقرات الآتية ، ولكن لا بد من تمهيد قصير لتيسير الفهم السريع :

**● التمهيد :**

ذكر المؤلف مشاجرة خيالية دارت بين رجلين من آل جبل – وهم بنو إسرائيل فى عهد موسى – المتشاجران هما : دعبس وكعبلها ، والسبب نقود كانت لدعبس ( الشقى ) (3) عند كعبلها ، ففقأ دعبس عين كعبلها ووقعت الكارثة وغضب جبل أو موسى لما حدث ، فقال بعض مشاهدى المشاجرة : يرد دعبس النقود لكعبلها ، ثم دار النقاش الآتى :

جبل : فليرد إليه بصره أولاً .

رضوان : ليت فى الإمكان رد البصر .

---

(1) النساء : 116　　　　(2) الزمر : 53

(3) دعبس هذا هو الذى تشاجر من قبل مع المصريين ، ومع ضلمة ، لذلك وصفناه بأنه « الشقى » .

جبل : ولكن فى الإمكان أن تؤخذ عين بعين .

دعبس : كنت فاقد العقل من الغضب ، وما قصدت إيذاءه !

جبل : عين بعين ، والبادئ أظلم . . إن الواقف لم يؤثركم بحبه ليعتدى بعضكم على بعض ، فإما حياة تقوم على النظام ، وإما فوضى لن تبقى على أحد ، لذلك أصر على تصفية عينك يا دعبس .

دعبس : لن تمسنى يد بسوء ، ولو قاتلتكم جميعاً .

فانقض عليه جبل كالثور الهائج [1] . . وقال لكعبلها بلهجة آمرة : قُمْ فخذ حقك .

وقام كعبلها ولكنه وقف متردداً . .

جبل : تقدم قبل أن أدفنك حياً ؟ واتجه كعبلها نحو دعبس وبسبابته ضرب عينه اليمنى حتى انفقأت عينه على مرأى من الجميع » [2] .

لقد استوحى المؤلف هذا السلوك من قوله تعالى :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ، وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ، وَالأَنفَ بِالأَنفِ ، وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ ، وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ، وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ . . . ﴾ [3] .

أرأيت كيف يختلس المؤلف من آى الذكر الحكيم ، ثم يحرِّف الكلم عن مواضعه ، وهو يعلم الصواب ؟!

وبعد : من الذى لا يجزم بعد الذى قدمناه أن « جبل » فى رواية « أولاد حارتنا » هو موسى عليه السلام ؟!

* * *

---

(١) هل هذا الوصف يليق بـ « جبل » الذى رمزت به الرواية لموسى عليه السلام . إن هذا ليجعل الحليم حيران ، وآية حيرة ورب الكعبة .

(٢) أولاد حارتنا ص ٢٠٧ - ٢٠٨ (٣) المائدة : ٤٥

# رفاعة

قَدْ قِيلَ ما قيلَ إن صِدْقاً وإن كَذِباً      فما اعتـذارك مـن قَـوْلٍ إذَا قِيـلَ

أبرز الرموز الواردة فى فصل رفاعة ومعانيها :

| م | الرمز | الرمز |
|---|---|---|
| ١ | رفاعة | عيسى عليه السلام |
| ٢ | عَبْدَةَ | مريم رضى الله عنها |
| ٣ | شافعى | يوسف النجار |
| ٤ | صخرة هند | مكان التتويج بالرسالات عند المؤلف ؟ |
| ٥ | زكى - حسين - على - كريم | رمز لجماعة الحواريين |
| ٦ | العفاريت | الكفر والمعاصى والشرور |
| ٧ | الدواء | المواعظ والهداية |
| ٨ | المرضى | العصاة والكفرة |

# رفاعة

# توطئة

نهج مؤلف رواية « أولاد حارتنا » فى الحديث عن رفاعة - عيسى عليه السلام - نَهْجه فى الحديث عن أدهم - آدم - وجبل - موسى عليهما السلام - فالرمز هو وسيلته المفضلة فى التعبير ، ثم تدخُّل الخيال فى تصوير الوقائع التى لها أصل فى التاريخ الدينى النبوى ، مضافاً إلى هاتين الوسيلتين وسيلتان آخريان شاع ورودهما فى بناء الرواية كلها ، وهما : الحذف ، والإضافة : مرة يحذف من الواقعة ما هو منها ، ومحفوظ عند الناس ، ومرة يضيف إلى الواقعة ما ليس منها ، وما لذلك من باعث عند المؤلف الأُستاذ نجيب محفوظ إلا التمويه والتشويش على القراء ، حتى لا يفطنوا إلى « خباياه » التى كانت تسيطر عليه وهو يخط روايته « أولاد حارتنا » السيئة السمعة لدى السواد الأعظم من أهل العلم والمثقفين ، ومن خلال هذه الوسائل التمويهية استطاع أن يقوم بطرح « إسقاطات » تعبر عن رأيه فى « قيمة التاريخ الدينى النبوى » أو فى بعض مواقفه ، ولو كان قد كتب الرواية بلغة واضحة وصريحة لما تسنَّى له أن يبوح بكلمة واحدة فيها إساءة إلى كبار أولاد الحارة الذين « سجَّاهم » برموزه وحيله التعبيرية الماكرة .

وها نحن أولاً نكشف القناع عن « رفاعة » لنرى عيسى ابن مريم رسول الله ، ولسان حاله يقول : ﴿ إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيّاً * وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ ، وَأَوْصَانِى بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً ﴾ .

● الأدلة :

**الدليل الأول - التناسق الوجودى :**

رتب مؤلف رواية « أولاد حارتنا » الحديث عن التاريخ الدينى النبوى على أساس الترتيب الوجودى الزمنى للرُّسُل الكبار الذين تحدث عنهم .

فبدأ بأدهم ، وهو فى الرواية آدم أبو البَشرية عليه السلام .

ثم بجبل ، وهو فى الرواية موسى أكبر رُسُل بنى إسرائيل عليه السلام .

وفى هذا الفصل يتحدث عن « رفاعة » ، وهذا التناسق دليل أول على أن « رفاعة » هو عيسى ابن مريم عليه السلام .

**الدليل الثانى - اعتزال مريم وعودتها بعد الإنجاب :**

فى القرآن الأمين وردت لمحة عن اعتزال مريم أُم عيسى ، عن أهلها ، حيث أقامت بعيداً عنهم للتأمل والعبادة ، فأرسل الله إليها رسولاً نفخ فى « جيبها » أى فتحة ثوبها من أعلى مما يلى الصدر ، فحملت بعيسى عليه السلام ، ثم لما وضعته عادت إلى أهلها ، فكان ما كان من استنكارهم لحملها وولادتها . وفى ذلك يقول الحق جل فى علاه :

﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مَرْيَمَ إذ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً * قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ منكَ إِن كُنْتَ تَقِياً * قَالَ إِنَّما أنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِياً ﴾ (١) .

ثم قال فى مرحلة ما بعد الوضع :

﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحمِلُه ، قَالُواْ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِياً * يَا أُخْتَ

---

(١) مريم : ١٦ - ١٩

هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ، وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِياً * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِياً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِياً ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً ﴾ (١) .

* *

● **الواقعة فى الرواية :**

بدأ مؤلف رواية « أولاد حارتنا » الأُستاذ نجيب محفوظ حديثه عن « رفاعة » أو عيسى عليه السلام بواقعة الاعتزال التى ذكرها القرآن الأمين ، ثم العودة إلى أهلها .

ولكنه - أى المؤلف - مع حرصه على الاستفادة من هذه الواقعة ، كان أشد حرصاً على عرضها فى نسق مختلف عن النسق القرآنى الحكيم المطابق للواقع .

فجعل الاعتزال هجرة من الحارة إلى موضع صخرة هند ؟!

وجعل المعتزل أو المهاجر اثنين لا واحداً : عبدة التى رمز بها إلى مريم البتول أُم عيسى عليه السلام ؟

وشافعى الذى رمز به إلى يوسف النجار كفيل مريم .

وجعل الحمل برفاعة أو عيسى ، وهو المقصود ، تم فى الحارة قبل الاعتزال أو الهجرة ؟

وجعل العودة من المعتزل أو المهجر بعد أن صار رفاعة صبياً مميزاً لا طفلاً فى المهد ؟

---

(١) مريم : ٢٧ - ٣١

وأهمل مجئ الرسول إليها وبشراه إياها بالغلام الزكى ، وتمنيها الموت حين ولدت ، وإمدادها بالتمر وهى فى عزلتها .

وإليك نُبذاً من كلامه الخيالى :

« أوشك الفجر أن يطلع ، وآوى إلى المضاجع كل حى .. واستقر الظلام .. وفى رعاية الصمت الشامل ، فتح باب ربع النصر بحى آل جبل - قوم موسى - فى حذر شديد ، فتسلل منه شبحان ، سارا فى سكون نحو البيت الكبير ، ثم تابعا سوره العالى إلى الخلاء .. وجعلا يتلفتان وراءهما .. ليطمئنا إلى أن أحداً لا يتبعهما ... كانا : رجلاً فى أواسط العمر ، وامرأة شابة حبلى ، وعند الصخرة - أى صخرة هند - تنهدت المرأة وقالت بإعياء : عم شافعى تعبت ؟ فتوقف الرجل عند المسير وقال فى غيظ :

استريحى ، ربنا يُتْعبُ المتعب » (١) .

غنى عن البيان أن هذه الفقرة تشير إلى عزلة مريم عن أهلها ، ولكن بطريقة رمزية غالطة .

أما العودة إلى الأهل فيشير إليها مؤلف أولاد الحارة بقوله :

« قامت عبده - يعنى مريم - تناول كفها فى يده - أى يد شافعى - وسارا نحو الجنوب ، نحو سوق المقطم . قالت عبدة بفرح تألق فى عينيها وثغرها :

« ها هى حارتنا ، وها نحن نعود إليها بعد غربة ، فالحمد لله رب العالمين » (٢) .

هذه الطريقة التى صورت فيها رواية « أولاد حارتنا » عزلة مريم عن أهلها ثم عودتها إليهم ، فيها - كما ترى - تزوير وتمويه . وحسبنا - نحن - ورودهما - العزلة والعود - فى الرواية على أى نحو كانا ، فإن دلالتهما على أن رفاعة فى الرواية هو عيسى ابن مريم شديدة الوضوح .

---

(١) أولاد حارتنا ص ٢١٣ (٢) أولاد حارتنا ص ٢١٧

● **الدليل الثالث - الحب والسلام :**

يصف الكاتب رفاعة بأن غايته فى الحياة كانت الحب والسلام ، وقد شاع بين الناس إضافة خاصية لكل رسالة من الرسالات الثلاث :

اليهودية ، والنصرانية ، والإسلام ، فخصوا رسالة موسى بالقوة ، وخصوا رسالة عيسى بالسلام ، وخصوا الإسلام بالعدل ، وهذا فهم مغلوط ، فالرسالات السماوية كلها رسالات قوة وسلام وعدل ، ونحن - هنا - تصيدنا هذا الدليل من الرواية على أن رفاعة فى « أولاد حارتنا » هو عيسى عليه السلام ؛ لأن مؤلف الرواية إنما وصف رفاعة بالحب والسلام متكئاً على ركيزتين :

**إحداهما** : ما أشرنا إليه من الفهم المغلوط الشائع بين الناس .

**والثانية** : أن الأناجيل التى بين يدى النصارى - الآن - تكثر من الأقوال والأفعال المنسوبة إلى عيسى عليه السلام ، وترشح لهذا الوصف مثل :

« من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » ؟!

ومثل : « باركوا لاعنيكم » .

ولو صح هذا لكان إبطالاً لشرعية القصاص فى التوراة .

اللَّهُمَّ إلا إذا كان عيسى عليه السلام يشير إلى « العفو » وهو مباح للمعتدى عليه فى جميع الشرائع .

ومما ذكره المؤلف عن وصف عيسى أو رفاعة بالحب والسلام قوله منسوباً إلى رفاعة :

« فملت إلى رأى أمى إيثارها الحب والسلام » (١) .

---

(١) أولاد حارتنا ص ٢٣٠

وقوله : « لا تفكروا فى العراك ، فإن الذى يشقى لإسعاد الناس لا يهون عليه سَفْك دمائهم » [1] .

## ● الدليل الرابع - العزوبة :

المعروف من سيرة عيسى عليه السلام أنه لم يتزوج ، وقد سجل مؤلف الرواية « أولاد حارتنا » هذا السلوك منسوباً إلى رفاعة ، وهو عيسى فى الرواية كما تقدم .

فقد ساق المؤلف حواراً جرى بين رفاعة من جهة ، وشافعى وعبدة ، وهما والدا عيسى فى الرواية ؟

وكان موضوع الحوار رغبة « والديه » فى تزويجه وهو يُصر على عدم الزواج ، رغم أن « والديه » حدَّدا له العروس ، والبيت الذى سيصاهره ، وهو من آل جبل - قوم موسى - وقالا له :

إن مصاهرة آل جبل دعاء مستجاب بالتأكيد [2] .

ولا يقدح فى هذا دليلاً على أن رفاعة فى الرواية هو عيسى عليه السلام أن الرواية نسبت زواجاً لرفاعة بامرأة اسمها « ياسمينة » لأن هذا الزواج كان صورياً تعطَّلت فيه الواجبات الزوجية « الخاصة » من طرف واحد ، هو رفاعة [3] .

❊ ❊

## ● الدليل الخامس - الاختفاء الأول :

ومن المعروف من سيرة عيسى عليه السلام أنه اختفى مرة عن والدته فبحثت عنه فى كل مكان فلم تجده ، وقد حرص مؤلف الرواية على الاستفادة من هذه الواقعة ، فأوردها وهو يتحدث عن رفاعة [4] .

---

(١) أولاد حارتنا ص ٢٨٣
(٢) أولاد الحارة ص ٢٤١
(٣) أولاد الحارة ص (٢٧٧) .
(٤) أولاد الحارة ص ٢٣٨ - ٢٤١

ومما تجدر الإشارة إليه أن عيسى عليه السلام اختفى عن أُمه مرتين فى حياته . هذه أولاهما ، أما الاختفاء الثانى ، فكان فى آخر حياته ، وسيأتى الحديث عنه بإذن الله .

* *

## ● الدليل السادس - التتويج بالرسالة :

وهكذا يصعد المؤلف الأُستاذ نجيب محفوظ من « السفح » إلى « القمة » فى رسم شخصية عيسى التاريخية ، فمن اعتزال أُمه واتخاذها حجاباً إلى تلقى عيسى - عليه السلام - الرسالة السماوية .

وقد عرفنا من قبل أن المؤلف اعتاد أن يرمز إلى تلقى الوحى بالرسالات السماوية ، اعتاد أن يرمز إلى هذا المعنى الجليل بأن لقاءً تم بين « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) فى الرواية ، وبين من يختاره رسولاً كما حدث فى الفصل السابق « جبل » .

وقد سلك هذا المسلك نفسه فى تتويج عيسى بالرسالة مرموزاً إليه بـ « رفاعة » .

* *

## ● الواقعة فى الرواية :

يصور المؤلف واقعة تتويج عيسى بالرسالة فى حديث جرى بين رفاعة وأبيه ؟ [1] :

« أمس عقب خروجى من بيت الشاعر عند منتصف الليل شعرت برغبة فى الانطلاق ، فقصدت الخلاء ، مشيت فى الظلام حتى تعبت ، ثم اخترت مكاناً أسفل البيت الكبير المشرف على الخلاء ، فجلست مُسْنداً ظهرى إلى

---

(١) ليس لعيسى أب كما هو معلوم ، وإنما جارينا المؤلف فيما قال ، لأننا ننقل كلامه مهما كان فيه من بُعْدٍ عن الواقع .

السور . . سمعت صوتاً غريباً يتكلم ، كأنما كان يحدث نفسه فى الظلام ، فدهمنى شعور مشرق بأنه صوت جدنا الجبلاوى . . فقال أبوه : صوت الجبلاوى ؟ ما الذى حملك على هذا الظن ؟

فقال رفاعة بحرارة :

ليس ظناً يا أبى ، سيجيئُك الدليل ، وقد قمت حال سماعى الصوت ، فاستدرت نحو البيت ، وتراجعت إلى الوراء لأتمكن من رؤيته ، ولكنى لم أر إلا ظلاماً ، فقال أبوه : الحمد لله .

فقال رفاعة : « صبراً يا أبى : سمعت الصوت وهو يقول :

« أما جبل ، فقد قام بمهمته ، وكان عند حسن الظن به ، ولكنَّ الأُمور ارتدت إلى أقبح مما كانت عليه ، فقال أبوه : ما أكثر الذين جلسوا مجلسك تحت السور فلم يسمعوا شيئاً ؟

فقال رفاعة : « ولكنى أنا سمعت يا أبى » فقال أبوه : لعله أحد كان راقداً فى الظلام ؟

قال رفاعة : « بل جاء الصوت من البيت » قال أبوه : كيف عرفت هذا ؟ فقال رفاعة :

« هتفت قائلاً : يا جدى ، جبل مات ، وخلفه آخرون [(١)] ، فمد إلينا يدك » قال شافعى :

الله أسأل ألا يكون أحد سمعك ، فقال رفاعة :

« جدى سمعنى ، وجاءنى صوته قائلاً : ما أقبح أن يطالب شاب جده العجوز بالعمل ؟ والابن الحبيب مَنْ يعمل ؟ فسألته :

وما حيلتى حيال أُولئك الفتوات أنا الضعيف ؟!

---

(١) لعل المؤلف يقصد من « وخلفه آخرون » الأنبياء الذين بعثوا من بنى إسرائيل بعد موسى وقبل عيسى عليهما السلام .

فأجابنى : الضعيف هو الذى لا يعرف سرَّ قوته ، وأنا لا أحب الأغبياء » [1] .

وبهذا - فى الرواية - صار رفاعة - رجل الجبلاوى - أى صار عيسى عليه السلام رسولاً إلى بنى إسرائيل ، ومهمته - كما سيأتى - تخليص الناس من « العفاريت » أى الشرور المغروزة فى طباع أولاد الحارة ؟

أرأيت كيف حرص المؤلف على الرمز أو الإشارة إلى رسالة عيسى عليه السلام ، بعد أن دثره بـ « عباءة » رفاعة ، ليخفى ملامحه الحقيقية على قراء « أولاد حارتنا » ؟!

ثم أرأيت كيف طمس المؤلف ملامح الواقعة نفسها وجعل « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) فى الرواية هو بنفسه يكلم عيسى عليه السلام ؟ والله لم يكلم عيسى ، وإنما أنزل عليه الإنجيل بواسطة جبريل سفير السماء إلى رُسُل الله وأنبيائه الكرام ؟

إلى هذا الحد يُلوِّن المؤلف وقائع التاريخ الدينى النبوى بخياله كما يحلو له التلوين ؟!

وسائل تعبيرية ماكرة يخفى وراءها المؤلف « جوانياته » لئلا يشتم رائحتها أحد ، هذا من جهة .

ومن جهة أُخرى ليتسنَّى له « إسقاط رؤاه » فى التاريخ الدينى النبوى ، مهما كان فى تلك الرؤى من جناية على جلال الموضوع الذى يترسم خطاه خطوة خطوة ؟!

وما أصدق الشاعر الذى قال :

إن الكــــلام لفى الفؤاد وإنما جُعِل اللسان على الفؤاد دليلاً

---

(١) أولاد حارتنا ص ٢٤٧ - ٢٤٨

## ● الدليل السابع - إبراء المرضى والمعلولين :

لكل رسول معجزات خارقة لقوانين العقل والعلم يجريها الله جلت قدرته على يد من يبعثه رسولاً إلى عباده ؛ لأن دعوى الرسالة أمر ذو خطر ، فهى أمر غيبى لا يطلع عليه الناس ، ولا يلزمهم تصديق من يدعى النبوة إلا إذا أجرى الله على يديه واقعة أو وقائع لا تدخل فى مقدرة أحد من خلق الله ، فإذا أجرى الله على يد مدعى النبوة أمراً خارقاً للمعقول والمعلوم ، كان ذلك دليلاً على صدق دعواه ؛ لأنه بَشر ، والبَشر جميعاً عاجزون عن الإتيان بمثل ما أجراه الله على يديه ، فلو لم يكن رسولاً حقاً لما امتاز عنهم بما أُجرى على يديه .

وشاء الله أن تكون معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام أنواعاً :

- تكليم الناس فى المهد .
- إحياء الموتى بإذن الله .
- خلق الطير من الطين فيكون طيراً بإذن الله .
- شفاء الأمراض والعلل الجسمية والنفسية .
- التنبؤ بشىء من الغيوب المكانية النسبية .

أى التى تكون فى مكان غير المكان الذى هو فيه ، وإنما أطلقنا عليه « غيب مكانى نسبى » للفرق بينه وبين الغيب الزمانى الذى يحدث فى المستقبل كالإخبار بما سيكون غداً ، و« نسبى » لأنه غيب بالنسبة لمن هو بعيد عن المكان الذى يوجد فيه الشىء ، وشهادة بالنسبة لمن هو فى المكان الذى به الشىء المخبر عنه .

وقد جاءت هذه الأنواع فى قوله تعالى :

﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِأَيَةٍ مِّن رَبِّكُمْ ، أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ ، وَأُبْرِئُ

الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وأُحْيِى الْمَوْتَى بإِذْنِ الله ، وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (1) .

وكل ذلك جرى بقدرة الله وعلمه على يد عيسى عليه السلام ، ليؤمن به من يؤمن على هدى وبصيرة ، ومن لم يؤمن فقد لزمته الحجة ، وهلك عن بينة .

* *

● **المعجزات فى الرواية :**

اختصرت الرواية هذه المعجزات كلها فى أمر واحد ، هو علاج المرضى من العفاريت ، وقد فهمنا أن المؤلف يرمز بالعفاريت إلى الكفر والمعاصى والشرور ، ولكن عرضه لم يتجاوز العمل العادى ، الذى يمكن أن يقوم به من يتقنه من الناس ، أما أن تفهم أن هذا العمل الذى كان يقوم به رفاعة يدل على شىء من المعجزات فلا ، فقد حرص المؤلف على الاكتفاء بعلاج الناس من العفاريت ، ولم يتطرق لأى نوع من المعجزات التى وردت فى القرآن مجراة على يد عيسى بإذن الله ، وهذا الحرص له باعث قد أشرنا إليه من قبل وهو « إخفاء » معانى الرموز بقدر المستطاع ؟

فإن كان الأُستاذ نجيب محفوظ يقدِّر فى نفسه - حين وضع هذه الرواية - أنه فِعْلاً سد طرق الفهم أمام القراء فقد وَهِم .

ومن أقواله فى هذه الوقائع :

« والحق ، أن رفاعة لم يلق فى عمره أسعد من هذه الأيام ، كان يُدْعى فى الحى الجديد بالمعلم رفاعة ، وكانوا يدعونه بها فى إخلاص ومحبة ، وعُرِف بأنه يخلص من العفاريت ، ويهب الصحة والسعادة لوجه الله وحده ،

---

(1) آل عمران : 49

وهذا سلوك نقى لم يعرف عن أحد قبله ، فلذلك أحبه الفقراء كما لم يحبوا أحداً قط » [1] .

ولا نمل القول : أن رواية « أولاد حارتنا » لم تتحدث هنا عن رفاعة ، إلا وهى ترمز به لعيسى عليه السلام ، ولن يدفع هذا الفهم تلك التمويهات والرموز التى تترَّس أو تدرَّع بها المؤلف ، وما أشبه حال المؤلف فى الرواية كلها بالحال التى خاطب صاحبها الشاعر الحكيم بقوله :

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا — وبُكاك ، إن لم يجر دمعُك أو جرى

❊ ❊

**الدليل الثامن – رفض بنى إسرائيل دعوة عيسى عليه السلام :**

كان عيسى – عليه السلام – آخر رُسُل بنى إسرائيل ، وقد جاءهم بالبيِّنات من ربهم ، ولكنهم أعرضوا عنه ، وضاقوا به ، دبروا المؤامرات لقتله والقضاء عليه .

تُرى هل أهملت رواية « أولاد حارتنا » هذه الواقعة ؟ كلا ، ولكنها عرضتها – كعادتها – من وراء « جُدُر » لحاجة فى نفس يعقوب ؟

❊ ❊

**● الواقعة فى الرواية :**

حسبنا – توخياً للإيجاز – أن نثبت الفقرة القصيرة الآتية ؛ لأن فيها دليلاً ناصعاً على أن رفاعة فى الرواية هو عيسى ابن مريم عليه السلام .

فى حديث اختلقته الرواية جرى بين رفاعة وياسمينة التى ملَّت عمل رفاعة ، قال لها :

« إنك من آل جبل ، وكلهم أبى أن يُسَلِّم لدوائى ، حتى أبى نفسه » [2] .

---

(١) أولاد حارتنا ص ٢٦٧ .

(٢) أولاد حارتنا ص ٢٦٧ ، ودواء عيسى – هنا – المواعظ والهداية إلى الله .

## الدليل التاسع - الحواريون :

حواريُّو الإنسان هم الأوفياء المخلصون له ، وخاصته من الناس ، واشتهر هذا « المصطلح » مضافاً إلى عيسى عليه السلام ، لأن الذين آمنوا بدعوته وصفوا له ولازموه حال حياته بين الناس كانوا قلة لا يزيدون على اثنى عشر من الشباب ، وقد خلَّد ذكرهم القرآن فى أكثر من موضع ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِى وَبِرَسُولِى ، قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1] .

❋ ❋

## ● الحواريون فى الرواية :

لم يفت مؤلف « أولاد حارتنا » أن يورد مسألة الحواريين فى الفصل الذى عقده لرفاعة ؛ لأن رفاعة فى « جوانيَّات » المؤلف هو عيسى ابن مريم رسول الله إلى بنى إسرائيل ، لكنه جعلهم أربعة فقط اصطفاهم من جملة المرضى الذين عالجهم وطهرهم من « العفاريت » ، وفى ذلك يقول :

« واصطفى رفاعة من مرضاه أربعة وهم : زكى وحسين وعلى وكريم ، اصطفاهم لصداقته فصاروا إخوة . . كان على برمجياً ، وكان حسين مدمن أفيون لا يفيق ، وعلى يتدرب على الفتونة وكريم قواداً ، فانقلبوا رجالاً ذوى قلوب كبيرة ، وكانوا يجتمعون عند صخرة هند [2] ، حيث الخلاء والهواء النقى ، فيتبادلون أحاديث المودة والصفاء . . . » [3] .

إن حرص المؤلف على الإشارة إلى جماعة الحواريين ، لدليل من أقوى الأدلة على أن :

---

(١) المائدة : ١١١

(٢) مرة أخرى ليحتفظ القارئ باسم « صخرة هند » ، وسنعود إليها فى الفصل القادم .

(٣) أولاد حارتنا ص ٢٦٨

● رفاعة فى الرواية هو عيسى عليه السلام ، كما كان أدهم آدم وجبل موسى . هذا من جهة .

● ومن جهة أُخرى فإنه لا يتكلم عن « حارة » ، ولكن عن الدنيا ولا يتكلم عن أحداث حارة ، ولكن عن التاريخ الدينى النبوى منذ بدأ ، وحتى انتهى بخاتم المرسلين .

وهذا هو المطلوب لنا من هذه الدراسة السريعة لأولاد الحارة .

❋ ❋

**الدليل العاشر – الاختفاء الأخير :**

لما ضاق الخناق على عيسى عليه السلام ، وتكالب على الكيد له أشقياء بنى إسرائيل ، وأوغروا عليه صدور الرومان أصحاب السُّلْطان السياسى ، وذوى النفوذ والغلبة ، ونما إلى سمعه ما دبروه من مؤامرات ضده وضد حوارييه ، قرر عليه السلام أن يأخذ بأسباب الحيطة ، والله يفعل ما يريد ، فاختفى للمرة الثانية ، لكن لا عنْ أُمه فى هذه المرة ، بل عن الناس جميعاً إلا خاصته الأوفياء ، ولأن الله أراد أمراً كان مفعولاً ، فإن واحداً من حوارييه دلَّ أعداءه على المكان الذى هو فيه ، ثم عاد إلى صحبته لعيسى وحوارييه العشر الآخرين .

ولما داهم الأعداء المكان حببَّ الله إلى « الخائن » أن يفتح لهم الباب ، فألقى الله شبهه – أى شبه عيسى – عليه فقتلوه ثم صلبوه ظانين أو معتقدين أنهم قتلوا عيسى وصلبوه ، ونجىَّ الله عيسى من كيدهم ، والله غالب على أمره :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ، وَمَا صَلَبُوهُ ، وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ

لَفى شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ، بَلْ رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (١) .

* *

● **الواقعة فى الرواية :**

عودتنا رواية : « أولاد حارتنا » تشويه سيرة الرُّسُل الذين ورد ذكرهم فيها . وفى هذه الواقعة كان نصيب الخيال جامحاً .

فالحواريون أربعة لا اثنا عشر ، والذى دلَّ على المكان الذى اختفى فيه عيسى وحواريوه امرأة لعوب « ياسمينة » التى زوجتها الرواية لعيسى من قبل ، وأن هذه المرأة كانت « جاسوس » للأعداء ترصد تحركات عيسى ، وتنقلها سراً لخصومه ، وأن الأعداء تمكنوا فِعْلاً من قتل عيسى ، أو رفاعة حسب رمز الرواية (٢) .

والمؤلف مسلم مطلع على القرآن الأمين ، بدليل أن الوقائع التى ذكرها مستوحاة من القرآن الكريم ، اللَّهُمَّ إلا ما كان مصدره خيال المؤلف .

لذلك فإننا نعجب - وخالق السموات والأرض - من صُنْع المؤلف الأستاذ نجيب محفوظ ، لأنه جزم بأن عيسى قُتِل فِعْلاً ، مع أن فى هذا الجزم تكذيباً لما ورد من خبر الله الصادق ، وإنها - وربى - لكبيرة من أشنع الكبائر أن يخبر الله فى كتابه المصون بخبر ، ثم يعتقد « مسلم » خلافه مع علمه بأن الله أخبر به ؟!

فالمؤلف - المسلم - يضرب بكلام الله عُرْض الحائط ، ويدير ظهره لعقيدة المسلمين المجمع على صحتها وصدقها ، ويجارى أهل الكتاب - النصارى - فى عقيدتهم « قتل عيسى وصلبه » مع تكذيب القرآن الواضح لهذا الاعتقاد ؟

---

(١) النساء : ١٥٧ - ١٥٨ ، وعلماء المسلمين منهم من قال : رُفع عيسى حياً ، ومنهم من قال : توفاه الله ثم رفعه .

(٢) أولاد الحارة ص ٢٩٢ - ٣٠٠ ملخصاً .

أليس ذلك موقعاً فى الحيرة ، داعياً إلى سوء الظن بالمؤلف - المسلم - الأُستاذ نجيب محفوظ ؟!

* *

**● اعتذار مرفوض :**

قد يُعْتَذَرُعن المؤلف بأنه يكتب فناً لا سيرة ولا تاريخاً ؟

ونبادر فنقول :

إن إخضاع موضوع التاريخ الدينى النبوى للعمل الفنى مغامرة غير مأمونة العاقبة ؛ لأن الفن يعتمد على الخيال ، ويتلون بلون عواطف كاتبه ، والأُستاذ نجيب محفوظ لَمَّا أخضع هذا الموضوع الخطير للعمل الفنى وقع فى « محاذير » أو « محاظير » لا تكاد تُحصى ، والذى أشرنا إليه منها غيض من فيض تعج به روايته الآثمة حقاً ، فقد بدَّل وغيَّر فى مواقف الرُّسُل متعمداً ، وأسند إليهم تصرفات لم يفعلوها ، وأقوالاً لم يقولوها ، ووصفهم مرات بأوصاف مزرية هم أبعدُ عنها بُعْدَ السماء عن الأرض ؟! بل لم يتورع من وصف « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) فى الرواية بأوصاف البَشر :

فله صاحبة ، والعياذ بالله - وله ولد ، وله خدم وهو الغنى الحميد ، كما أطلق ألسنة « شخوصه » لشتم الجبلاوى ، وهو فى الرواية ( الله ) وشتم أدهم ، وجبل ورفاعة وقاسم ، وهم - وفاطر السموات والأرض - : آدم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ، فما كان أغناه وأغنى قراءه عن « الخوض فى النار » من أخمص القدم حتى فروة الرأس ؟

ولم يكن « الفن » يوماً ، ولن يكون أبداً - مبيحاً لانتهاك الحرمات وإهانة المقدسات ، والتطاول على القِيَم العليا ، وإن ادعى ذلك الجاهلون الحمقى من دعاة الحداثة ، وأعلاج الشيوعية ، وببغاوات العلمانية فى مصر والعالَم العربى .

فالفن - قولاً كان أو فعلاً - كسب أو اكتساب ، وكل امرئ مسئول عن كسبه واكتسابه مهما كبر أو ضؤل :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (١) .

❋ ❋

**الدليل الحادى عشر - رَفْعُ الله عيسى إليه :**

لما نفى الله - وهو العليم الخبير - قَتْلَ عيسى وصلبه فقال : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ . . ﴾ ، قال : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ . . ﴾ ، فالرفع حقيقة قرآنية راسخة ، ولا خلاف فيها عند علماء المسلمين ، ولكن الخلاف - كما تقدم - فى صفة الرفع ، أرُفِعَ حياً أم متوفياً ؟

❋ ❋

**● الرفع فى الرواية :**

قال مؤلف رواية « أولاد حارتنا » فى الرمز إلى الرفع : « وتناقلت الحارة قصة رفاعة على حقيقتها التى كان يجهلها الأكثرون ، وتنوقل أيضاً أن جثته ظلت ملقاة فى الخلاء ، حتى حملها الجبلاوى بنفسه ، فواراها التراب فى حديقته الغنَّاء » ؟! (٢) .

ثم عاد فقال مصرحاً بالرفع :

« . . وبخاصة رَفْعُ الجبلاوى لجثته ودفنها فى حديقته الغناء » (٣) .

الأدلة السابقة ، الأحد عشر دليلاً ، ظفرنا بها من حديث المؤلف عن رفاعة أو عيسى عن حياته ، بدءاً من وهو جنين فى بطن أُمه حتى آخر لحظة من حياته بين الناس .

---

(١) المدثر : ٣٧ (٢) أولاد حارتنا ص ٣٠٣

(٣) أولاد حارتنا ص ٣٠٤

وفى هذه الأدلة غناء ، وأى غناء ، فى معرفة من هو رفاعة فى رواية « أولاد حارتنا » ؟

إنه ، وقيوم السموات والأرض ، عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته التى ألقاها إلى مريم البتول رضى الله عنها .

وبقى لنا دليل آخر من حديث المؤلف عن الآثار التى ترتبت على وجود عيسى عبداً لله ورسولاً إلى بنى إسرائيل ، رصد المؤلف فى إيجاز تلك الآثار ، وهذا الرصد وصف مكمل لشخصية عيسى عليه السلام ، ليحل محل رفاعة ويزول رفاعة حتى عن الأوهام ، تلك القشرة « الهشة » التى ألقاها المؤلف على وجه عيسى عليه السلام ، وكأنه فى حفلة « تنكرية » من بدع العصر الحديث .

* *

**الدليل الثانى عشر – الآثار التى ترتبت على رسالة عيسى :**

الآثار التى ذكرها المؤلف ، الذى يهمنا منها هو الآتى :

**أولاً** : ظهور النصرانية جنباً إلى جنب مع اليهودية ، وقد رمز المؤلف لهذا بظهور « حى الرفاعيين – أى النصارى – والاعتراف بهم » .

**ثانياً** : ذيوع ذكر عيسى عليه السلام وترديد قصته على كل لسان حتى صار أغنية للرباب – يعنى شعراء الرباب – وهم رمز – كما تقدم – للرواة والقصصيين الدينيين .

**ثالثاً** : رفعُ عيسى إلى الجبلاوى اشتهر بوجه خاص وأجمع عليه النصارى [1] .

---

(١) لست أدرى لماذا خص النصارى بهذا الإجماع مع أنه عقيدة المسلمين مع الاختلاف فى صفة الرفع ، اللّهم إلا إذا كان عذره أن المسلمين تأخر وجودهم عن النصارى فى بداية الأمر .

**رابعاً** : إجماع النصارى على تأليه أُم عيسى ووجوب تقديسها ، على أن المؤلف يضم إليها فى هذا التقديس « شافعى » الذى جعلته الرواية أبا لعيسى مع علمها - أى الرواية - ببطلان هذا القول . وربما جارى مؤلف الرواية بعض كُتَّاب الأناجيل الذين ينسبون - خطأً - عيسى إلى أبوة يوسف النجار المرموز إليه فى الرواية بـ « شافعى » وهى مجاراة مخطئة .

**خامساً** : الرهبانية التى ابتدعها بعض النصارى الأولين محاكاة لعيسى عليه السلام فى العزوبة .

**سادساً** : اختلاف النصارى حول :

هل تظل المسيحية اتجاهاً روحياً عازفاً عن مظاهر الحكم والسلطان : « دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ، وهى عبارة يروونها عن عيسى عليه السلام ، ولا سند لها ، والأغلب أنها من كلام بولس الرسول ، وإليه يرجع جُل الأسرار الكنسية والطقوس المعمول بها الآن ، حتى ليعتبر بولس هذا هو مؤسس المسيحية لا المسيح نفسه ، أم تنطلق المسيحية لتشمل كل مرافق الحياة من التمتع بالملذات والاهتمام بالحكم والسلطان ، وأن « قيصر » ليس له مع الله شركة فى الوقف ، أو شئون الحياة [(١)] .

وبهذا تتجلى صورة السيد المسيح عليه السلام بكل وضوح ، فالسيرة سيرته ، والأوصاف أوصافه ، حتى الاسم الرمزى يحمل شحنة هائلة من سماته وقسماته الوضيئة .

فرفاعة مشتق من الرفع ، والرفع ورد صريحاً فى أصدق الكلام : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ﴾ .

﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ . . . ﴾ [(٢)] .

---

(١) أولاد الحارة ص ٣٠٣ - ٣٠٥ ملخصاً .  (٢) آل عمران : ٥٥

وكما كان أدهم آدم بزيادة « الهاء » فى الرمز ، وحذف إحدى الهمزتين فى الصدر .

وكما كان موسى « جبل » مستوحى من جبل الطور الذى كلمه عنده ربه .

وكما سيكون محمد « قاسم » لأنه « أبو القاسم » .

وخلاصة هذا البحث هنا نصوغها فى كلمة واحدة نتوجه بها إلى القارئ ، فنقول :

« ارفعْ رفاعة يظهرْ عيسى » .

* * *

# قاســم

وإذا كُنْتَ لم تَرَ الهلال فَسَلِّمْ     لأناسٍ رأوه بِالأبْصَـــــار

أبرز الرموز الواردة فى فصل « قاسم » ومعانيها :

| م | الرمز | معناه |
| --- | --- | --- |
| ١ | قاسم | محمد ﷺ |
| ٢ | قمر | خديجة رضى الله عنها |
| ٣ | إحسان | فاطمة رضى الله عنها |
| ٤ | زكريا | أبو طالب عم النبى ﷺ |
| ٥ | حسن | علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه |
| ٦ | صادق | أبو بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه |
| ٧ | بدرية | عائشة بنت أبى بكر وزوج النبى ﷺ |
| ٨ | يحيى | ورقة بن نوفل |
| ٩ | قنديل | جبريل عليه السلام |
| ١٠ | الجرابيع | العرب قبل الإسلام والمسلمون بعد الإسلام |
| ١١ | سوارس | أبو جهل أو أبو لهب عليهما لعنة الله |

# قاسم
## توطئة

إن « قاسم » فى « أولاد حارتنا » لهو محمد بن عبد الله خاتم الرُّسُل صلى الله عليه وسلم ، كما كان أدهم هو آدم ، وجبل هو موسى ورفاعة هو عيسى ، عليهم - جميعاً صلوات الله وتسليماته ، والكاتبون - قديماً وحديثاً - حين يكتبون عن سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم - يبدأون بمقدمة - طالت أم قصرت - ينوهون فيها بفضل العرب - قوم النبى - وشرف نسبهم ، وكرم أرومتهم . والخصائص التى كانت سبباً فى اختيار الرسول الخاتم منهم .

ثم يتحدثون عن النسب النبوى الشريف الطاهر ، من جهة أبيه - عبد الله - حتى يصلوا به إلى عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم شيخ الأنبياء ، وأبى العرب والمسلمين .

ثم من جهة أُمه - آمنة بنت وهب - من ولد زُهرة سيد قومه فى حياته ، ويبينون طهارة نسبه الشريف من كل الجهات ، وفى كل الطبقات ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - اصطفاه الله من خير القرون ، ومن خير القبائل ، ومن البيوتات على وجه الأرض لم يسبقه مثيل ، ولا لحقه شبيه ، فهو النموذج « الفذ » ، والإنسان الكامل من بين جميع بنى الإنسان .

وتحدُّثاً بنعمة الله - لا فخراً ولا استعلاء - وردت عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث - بعضها فى الصحاح - تبيِّن كرم معدنه ، وطيب محتده ، وزكاوة أصله .

فهذا واثلة بن الأسقع يقول :

« قال رسول الله ﷺ : إن الله عَزَّ وجَلَّ اصطفى بنى كنانة من بنى إسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » (١) .

وهذا محمد بن على يقول :

إن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عَزَّ وجَلَّ اختار ، فاختار العرب ، ثم اختار منهم كنانة ، ثم اختار منهم قريشاً ، ثم اختار منهم بنى هاشم ، ثم اختارنى من بنى هاشم » (٢) .

وهذا المطلب بن أبى وداعة يقول :

قال رسول الله ﷺ : من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه ، وجعلهم فى فرقتين ، فجعلنى فى خير فرقة ، وجعلهم قبائل ، فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، وجعلهم بيوتاً ، فجعلنى فى خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » (٣) .

وهذا أبو هريرة يقول :

إن رسول الله ﷺ قال : « بعثت من خير قرون بنى آدم ، قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذى بعثت فيه » (٤) .

وقال : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (٤) ، فرسول الله لم يكن له مثيل فى البَشر على الإطلاق ، وكفاه ثناء قول الحق فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥) .

---

(١) رواه مسلم فى الصحيح .
(٢) دلائل النبوة للبيهقى : ١/ ١٧٠
(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .
(٤) رواهما الإمام البخارى .
(٥) القلم : ٤

هذا ، وقد أقرَّ له بالشرف وعلو الشأن ألدُّ أعدائه - قريش - وهم فى أتون الخصومة الحاقدة عليه :

ففى الحوار الطويل الذى دار بين هِرَقْل - عظيم الروم - وبين وفد لقريش برأسه أبو سفيان قبل إسلامه ، سأل هرقل الوفد القرشى عن النبى الذى ظهر فيهم فقال :

« كيف هو فيكم » ؟ فأجاب أبو سفيان نائباً عن الوفد : « هو فينا ذو حسب » ، فقال هِرَقْل : « فكذلك الرُّسُل تُرسل فى أحساب قومها » أى أعلاهم فضلاً ، وأشرفهم نسباً وحسباً ، هذا هو محمد بن عبد الله خاتم رُسُل الله ، وها هم العرب قومه وأهله شريحة علياً بين الناس ، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - هو ذروة سنامها ، وقمرها المنير ، وسراجها الوهَّاج ، وشمسها الساطعة .

وكانت حياته قبل البعثة مثلاً فريداً ، وطرازاً ليس له مثيل : حُسْن فى الخلق ، وصدق فى القول ، وأمانة فى الفعل ، وبراءة فى الذِّمَّة ، ورجاحة فى العقل ، فلم يسَعْ المجتمع الذى عاصره إلا أن يُطلق عليه « الصادق الأمين » .

* *

## ● افتراءات « أولاد حارتنا » :

كان هدفنا من هذه السطور التى كتبناها آنفاً ، أن نبين بادئ ذى بدء الفروق الهائلة بين ما كتبه الأُستاذ نجيب محفوظ - المسلم - عن العرب - قوم خاتم الرُّسُل - وبين الواقع المعروف للعرب من فضل ومجد ، الذى أشرنا إليه إشارات سريعة ، لقد هضم المؤلف العرب ، وهضم معهم تلك المنزلة العليا لصاحب الدعوة الخاتمة ، حقَّرهم وشوَّه سمعتهم هم وحدهم . ولم يعاملهم معاملة آل حمدان أو آل جبل ( اليهود ) ، ولا معاملة آل رفاعة أو الرفاعيين -

النصارى - وكأن بينه وبين العرب والمسلمين ثأراً موجعاً ، فتعال نقرأ ما قاله فيهم :

● **الجرابيع :**

« البيت الكبير ما زال قابعاً وراء أسواره ، غارقاً فى الصمت ، والذكريات ، وإلى اليمين بيت الناظر ، وإلى اليسار بيت الفتوة ، ثم يجئ حى جبل - أى اليهود - ويليه حى رفاعة وسط الحارة - أى النصارى - أما بقية الحارة فكانت مُقام من لا صفة لهم ، ولا نسب ؟ أو الجرابيع كما كانوا يدعونهم ، وهم أتعس أهل الحارة ، وأضيعهم »[1] .

هذا وصف هندسى جغرافى لحارة الأُستاذ نجيب محفوظ الأديب الكبير المسلم ، وفيه يصف العرب - كما ترى - بأنهم جرابيع لا صفة لهم ولا نسب ؟ وكأنهم « لُقطاء » ، وأنهم أتعس أهل الحارة - أى الدنيا - وأضيعهم ؟!

قال هذا الكلام فى مقدمة الفصل الرابع المعنون له بـ « قاسم » ، وهو فى الرواية محمد بن عبد الله خاتم الرُّسُل .

وإذا كان العرب « جرابيع » عند المؤلف ، فإن محمداً ﷺ جربوع مثلهم ؛ لأنه واحد منهم أباً وأُمّاً ومنشأً ولساناً ؟ هذه هى منزلة العرب قبل الإسلام ، ومنزلة المسلمين بعد الإسلام عند الأُستاذ نجيب محفوظ العربى المسلم ؟!

❊ ❊

● **من هو الجربوع ؟**

ليس لهذه الكلمة أصل فى اللُّغة إلا أن تكون محرفة من اليربوع ، وهو حيوان برِّي غير أليف يتخذ له بيتاً ( حفرة ) فى الأرض لها بابان ، فإذا أحسَّ بوجود الصياد دخل بيته من باب وخرج من الباب الآخر ، لينخدع الصياد بأنه

---

(١) أولاد حارتنا ص ٣٠٩

ما يزال موجوداً فى بيته ، بينما هو قد خرج ناجياً بنفسه ، ومنه اشتق وصف المخادع من الناس « المنافق » ، لأن بيت اليربوع محفور على شكل نفق تحت الأرض ، ويسمى بيته : « نافقاء اليربوع » .

أما الدلالة العرفية أو العامية لكلمة « الجربوع » ، فتعنى معانى كثيرة فى عرف العامة ، أو العوام ، وكلها تدور حول الذّم والقدح وانحطاط الشأن ، فهى « قاموس » السبِّ والشتْم .

فيا تُرى ماذا أراد الأُستاذ نجيب محفوظ من وصف العرب قبل الإسلام ، والمسلمين بعد الإسلام بأنهم جرابيع ؟

هل أراد أن ينسبهم إلى اليربوع الماكر الخدَّاع ؟

أم أراد أن يصفهم بالمعانى « السوقية » المبتذلة التى تُراد فى عُرْف العوام من كلمة جربوع أو جرابيع ؟

الذى أرجحه أن « الأديب الكبير العربى المسلم » الأُستاذ نجيب محفوظ لم يقصد إلا المعانى القادحة ، والصفات الذميمة المخلة بالشرف والكرامة ، ولن أسوق القول هنا جزافاً أو تحاملاً على الرجل ، لأن لى فى بقية كلامه دليلاً قوياً على هذا الترجيح ، وهاكم البيان :

**● الحياة فى حى الجرابيع :**

ويواصل المؤلف حديثه عن الجرابيع منتقلاً من بيان انحطاطهم اجتماعياً وعِرْقِيّاً إلى وصف حياتهم فى حيهم فيقول :

« إذْ أن الحياة ، وبخاصة فى هذا الحى من الحارة - يقصد حى الجرابيع - لم تكن تعلو كثيراً عن حياة الكلاب ، والقطط ، والذباب ، التى تعثر على رزقها من النفايات وأكوام الزبالة » ؟! (١) .

---

(١) « أولاد حارتنا ص ٣١٠

هذه هى حياة الجرابيع أو العرب فى حيهم ، حياة حقيرة منحطة لا تكاد تجد فروقاً بينها وبين حياة الكلاب والقطط والذباب ، يلتقطون رزقهم من النفايات ( أى الفضلات ) ومن أكوام الزبالة ؟؟

ومن المؤسف - حقاً - أن الأُستاذ نجيب محفوظ ذكر هذه العبارة وهو يتحدث عن كفالة أبى طالب ( زكريا فى الرواية ) لابن أخيه محمد بن عبد الله ( قاسم فى الرواية ) ، وإليك كلامه حتى لا تظن أننا نفترى على الرجل :

« وكان قد مضت فترة غير قصيرة من حياة عم زكريا الزوجية – أى أبى طالب عم النبى - دون أن يرزق بمولود ، ولكن آنس وحشته فى تلك الفترة صغير يتيم هو قاسم - أى محمد - ابن شقيق زكريا عقب وفاة والديه .

ولم يجد الرجل - أى زكريا - فى الصغير - أى محمد - عبئاً يؤوده - يعنى يرهقه - إذ أن الحياة - وخاصة فى هذا الحى من الحارة لم تكن تعلو كثيراً عن حياة الكلاب والقطط والذباب ، التى تعثر على رزقها من النفايات وأكوام الزبالة » [1] .

* *

## ● ما معنى هذا الكلام ؟

يريد أن يقول المؤلف المحترم الأُستاذ نجيب محفوظ :

إن أبا طالب لم يجد عناءً فى كفالة محمد بعد وفاة والديه ، والسبب أن الحياة العربية كانت منحطة ، مثلهم مثل الكلاب والقطط والذباب ، فمصدر رزق الجميع هو النفايات ومطارح الزبالة ؟!

---

(١) أولاد حارتنا : (٣١٠) لم نر المؤلف أساء إلى آل حمدان أو آل جبل وهم اليهود ، ولم نره أساء إلى آل رفاعة وهم النصارى ، ولا أساء إلى جبل أو موسى ، ولا أساء إلى رفاعة أو عيسى ولا فى كلمة واحدة ، وهنا يكيل الشتم وينسب النقائص إلى العرب وإلى خاتم الرُسُل ، يكيلها جزافاً بلا عد ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

ويريد المؤلف المحترم مرة أُخرى أن يصور لقراء روايته شرقاً وغرباً أن « قاسم » أو محمد بن عبد الله أفضل البَشر جميعاً نشأ وترعرع فى هذه البيئة - بيئة الكلاب والقطط والذباب ، يلتقط له عمه رزقه من النفايات وأكوام الزبالة ؟!!

ولذلك لم يتعب عمه فى تربيته ، ولذلك وحده ؟!

أرأيت كيف تطاول قلم « الأديب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ » على مَنْ أرسله الله رحمة للعالمين ، والذى قال فى وصفه رب العزة وهو أصدق القائلين :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ (١) .

أهكذا نشأ محمد وتربى يا نجيب ، شكوناك لله رب العالمين ، ما لم تتبرأ مما جنيت ، ويا لقبح وشناعة ما جنيت أيها الرجل « الهمام » على قومه ودين قومه ورسول قومه ؟ أتحسبه هيناً وهو عند الله عظيم ؟!

لقد افتريت على خاتم الرُّسُل ما لم يقله أبو جهل ولا أبو لهب ، ولا حتى الشيطان » ؟!

المهم : فقد أقمنا الدليل من كلام المؤلف على أنه لم يُرِدْ من وصف العرب قبل الإسلام ، والمسلمين بعد الإسلام ، بالجرابيع إلا الانحطاط والتحقير والمهانة المزرية ؟

ولا تظن أن هذا الوصف « الجرابيع » مقصور على العرب قبل الإسلام ، كلا ، وسوف ترى أن هذا الوصف مستمر حتى بعد أن صار العرب مسلمين وإلى أن قُبِض رسول الله ﷺ .

---

(١) الأحزاب : ٤٥ - ٤٦

## ● فرية شنيعة أُخرى :

لم يكتف مؤلف الرواية الآثمة « أولاد حارتنا » بما ألحقه بمحمد ﷺ من إهانات وبذاءات ، بل راح يفترى عليه فرية أُخرى شنيعة أظهره فيها لِصًّا وقليل حياء ، هكذا ورب السموات والأرض ، وسأنقل لك كلامه كاملاً ، وعلى كره منى ، لتتأكد بنفسك على صدق ما نقول :

قال المؤلف :

« وكم نظر - أى محمد - إلى بيت الناظر بدهش وإعجاب ، وكم رمق الثمار فوق الأشجار برغبة واشتهاء ؟ ويوماً رأى البواب ناعساً فتسلل - أى محمد - إلى الحديقة بخفة ، دون أن يرى أحداً أو يراه أحد ، وراح يقطع المماش - أى الثمرات - فى دهشة وسرور ، ويلتقط ثمار الجوافة من فوق الحشائش ويأكلها بلذة ، حتى وجد نفسه أمام الفسقية - أى النافورة - وعلقت عيناه بعمود الماء المتصاعد من النافورة ، استخفه الفرح فخلع جلبابه ونزل إلى الماء ، ومضى يخوض فيه ويضرب سطحه بيديه ، ويدلك به جسده ، وقد ذهل عما حوله وما يدرى إلا وصوت حاد يصيح بغضب : « يا عثمان يا ابن الكلب ، تعالى يا أعمى يا ابن الأعمى » التفت رأسه نحو الصوت فرأى على السلاملك رجلاً متلفعاً بعباءة حمراء ، يشير نحوه بإصبعه المرتجف ، والغضب يشتعل فى وجهه ، فاندفع - يعنى محمداً - نحو حافة الفسقية ، وصعد إلى أرض الحديقة مرتكزاً على مرفقيه ، وعند ذلك وجد البواب قادماً مهرولاً ، فجرى - أى محمد - نحو عريشة الياسمين الملاصقة للسور ، ناسياً جلبابه حيث خلعه - أى جرى محمد وهو عريان ؟! - وركض نحو الباب فمرق إلى الحارة - أى وهو عريان ؟! عدا بكل قواه - أى جرى مسرعاً - ورآه أطفال فتبعوه مهللين - أى يتتريقون عليه - فنبحت كلاب ، ثم خرج عثمان البواب إلى الحارة ، وراح يجرى وراءه حتى أدركه فى منتصف

حيه - أى حى الجرابيع - فقبض على ذراعه وتوقف وهو يلهث ؟! [١] ، وعلا صراخ قاسم - أى محمد - حتى ملأ الحى ، وسرعان ما جاءت زوجة عمه حاملة وليدها - أى زوجة زكريا رمز أبى طالب فى الرواية - . . . دهشت زوجة عمه لمنظره - أى لأنه عريان - وأمسكت بيده وهى تقول للبواب :

وحِّد الله يا عم عثمان أرعبت الولد ، ماذا فعل ؟ وأين جلبابه ؟ فصاح البواب فى تكبُّر [٢] :

رآه حضرة الناظر ، وهو يستحم فى الفسقية ، هذا العفريت يجب جلده دخل الملعون وأنا نائم ؟! لماذا لا تريحوننا من عفاريتكم ؟!

السماح يا عم عثمان ، وحقك علىَّ » ؟! [٣] .

ها أنذا قد قرأت كلام المؤلف ، وقد حرصنا على نقله كما كتبه دون تغيير أو تلخيص ، اللَّهُمَّ إلا بعض جمل توضيحية وضعناها بين شرطتين هكذا - . . . - وإذا أحسنت النظر فيها تجد التهم الآتية لصقها المؤلف بأطهر إنسان فى الوجود :

**أولاً** : هو لص متهم بسرقة ثمار الجوافة ؟!

**ثانياً** : هو قليل حياء يسير عارياً بين الناس ؟!

**ثالثاً** : هو عفريت ، أى شيطان رجيم ؟!

**رابعاً** : هو ملعون ؟!

ونسأل نجيب محفوظ :

هل شهدت أنت هذه الواقعة ؟ وماذا تفعل بين يدى ربك حين يسألك عن

---

(١) لاحظ أن « اللهث » صفة الكلب ، والمؤلف يعرف ذلك تماماً ؟!

(٢) أتدرى لماذا تكبَّر البواب ؟ لأنه يكلم واحدة من الجرابيع فتكبَّر عليها ، وهو البواب ، هل فهمت ؟

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٣١٠ - ٣١١

أدلتك التى تثبت بها هذه الواقعة ؟ ألك دليل يا شيخ ، ألم تخف ربك يوم يعرف المجرمون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصى والأقدام ؟!

ثم هل سمعت عثمانك هذا يشتم محمداً بأنه ملعون وعفريت ؟!

أم أنت الشاتم اللاعن لمن أرسله الله للناس كافة بشيراً ونذيراً .

إن كل كلمة فى الرواية أنت قائلها ، سواء أسندتها إلى أشخاصك أو شخوصك فيها أو أسندتها إلى نفسك ، فأنت القائل ، وأنت الذى سيحاسبك الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، تب إلى الله يا شيخ وتبرأ علناً أمام العالَم كله من هذا السم الذى صنعته يداك ، وخطه قلمك ، اللَّهُمَّ إلا إن كنت ما زلت مؤمناً به فما لأحد عليك من سبيل فى هذه الحياة الدنيا ، أما فى الآخرة ، فالأمر لله وحده ، يُوَفَّي كل نفس ما كسبت ، وما ربك بظلام للعبيد .

❊ ❊

## ● اعتذار زوجة زكريا للبواب :

أمر آخر أريد لفت الأنظار إليه ، وهو اعتذار زوجة زكريا أو أبى طالب عم النبى ﷺ للبواب البذئ اللسان ، فقد تطاول هذا البواب ، أو تطاول المؤلف نفسه محتمياً بالبواب ، فشتم محمداً بأنه عفريت وملعون ؟! ويجب جلده ، وصاح فى استعلاء على الزوجة التى كلمته بكل أدب أو قل بكل مذلَّة وخضوع ، ولكنه علا صوته عليها وتغطرس وتكبر وأمرها أن يُمْسِك قومها عفاريتهم ، ومع هذا كله يأبى المؤلف إلا أن تعتذر المرأة ، وتقول لعثمان البواب :

« السَّماح يا عم عثمان ، وحقك علىَّ » ؟!

إن السبب - عند المؤلف - فى هذا الاعتذار للبواب أن المرأة جربوعة من حى الجرابيع - أى عربية من حى العرب أو المسلمين - والعرب والمسلمون فى

رواية « أولاد حارتنا » من أحط الناس وأتعسهم وأضيعهم ، فالاعتذار واجب عليها حتى للبوابين ؟!

أما لو كانت هذه المرأة من حى آل حمدان أو آل جبل - أعنى اليهود ، أو كانت من حى رفاعة - أعنى النصارى - يضرب لها البواب ألف تعظيم سلام ؟!

هكذا أراد بهم المؤلف ، وهكذا أراد بنا المؤلف ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وبعد هذه التوطئة اللازمة ، نأخذ فى عرض أدلتنا على أن « قاسم » فى رواية « أولاد حارتنا » هو محمد بن عبد الله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

* *

**● الأدلة :**

**الدليل الأول - التنسيق الوجودى الزمنى :**

المؤلف - كما قلنا مرات - يتتبَّع خط سير التاريخ الدينى النبوى فى رسم صور كبار أولاد الحارة ، فبدأ بأدهم وهو آدم أبو البَشر ، ثم جبل وهو موسى ، ثم رفاعة وهو عيسى ، مراعياً فى الذكر الوجود الزمنى الأسبق فالأسبق ، وها هو ذا يتحدث عن قاسم الذى هو آخر حلقة فى التاريخ الدينى النبوى ، فهذا التنسيق هو دليلنا الأول على أن « قاسم » هو محمد بن عبد الله خاتم الرُّسُل .

* *

**الدليل الثانى - نشأته يتيماً صلى الله عليه وسلم :**

هذه أول لمحة فى رسم شخصية الرسول الخاتم فى رواية « أولاد حارتنا » وقد نقلنا منذ قريب كلام المؤلف فيها عند حديثه عن « زكريا » رمز عمه أبى طالب فى الرواية . بيد أن الجديد الذى نذكره فيها - هنا - أن الرواية لم تذكر كفالة

جده عبد المطلب له قبل عمه ، وهذا لا يؤثر فى صدق الدليل ؛ لأن قول المؤلف بأن طفلاً صغيراً يتيماً آنس زكريا بعد وفاة والديه ، هذا القول كاف فى صحة الاستدلال ، وربما كان قصر المدة التى كفل فيها عبد المطلب « قاسم » وطول المدة فى كفالة « زكريا » هو الذى حمل الرواية على إهمال الأولى وإيثار الثانية ، أو أن التمويه هو السبب ؟

* *

**الدليل الثالث – مساعدة قاسم لعمه على أعباء المعيشة :**

من المعروف فى سيرة محمد ﷺ – قبل البعثة – أنه لم يرض أن يكون عالة على عمه أبى طالب وهو فى كفالته ، وأحب أن يعمل لمساعدة عمه على أعباء المعيشة ، هذه حقيقة ، وكان عمله فى حدود النشاط الشريف ، الذى كان سائداً فى المجتمع فى ذلك الوقت ، وقد ألمحت رواية « أولاد حارتنا » إلى هذه الواقعة ، ولكن فى صورة مضحكة ، مزرية .

* *

**● الواقعة فى الرواية :**

لقد لعب خيال الكاتب فى تصوير العمل الذى زاوله محمد ﷺ ، ومبلغ ظنى أن المؤلف ما أراد بهذا التصوير الخرافى إلا إضحاك قراء روايته من الأعماق ، وفيما يلى كلامه :

* *

**● بيّاع بطاطة :**

لم يجد مؤلف الرواية عملاً لينسبه إلى أبى طالب إلا بَيْعَ البطاطة على عربة كارو – هكذا والله زعم المؤلف – فكان لا بد لقاسم – محمد ﷺ – أن يساعد عمه فى المهنة نفسها – بيع البطاطة – ؟

ومما يدعو إلى العجب أن يصور الأستاذ نجيب محفوظ الرسول الخاتم فى

صورة مزرية ، وهو « يزق عربة كارو » وينادى كما علمه عمه : « بطاطة العُمْدة - بطاطة الفُرن » ؟! [1] .

ألم يكن فى وُسْع المؤلف أن ينسب إلى أكرم إنسان عند الله عملاً آخر غير « زق العربة الكارو وبيع البطاطة ، ونداءً غير هذا النداء السخيف :

بطاطة العمدة - بطاطة الفرن ؟!

ألهذه الدرجة هان لديك محمد ﷺ ؟!

❊ ❊

● **بين « شو » و« محفوظ »** :

لقد كان « برناردشو » النصرانى البروتستانتى أعرف بمنزلة محمد ﷺ ، وأرعى لحرمته من « محفوظ » المسلم ؟!

« شو » دافع عن رسول الإسلام ولم يكن من أتباعه ، فقد كان يشاع فى حياة « شو » وصف محمد ﷺ بأنه راعى غنم ، ردَّد هذا الوصف على سبيل التهكم المستشرقون وأساتذتهم المبشرون وبعض مثقفى الغرب ، فكتب « شو » مسرحية كان فى بعض مشاهدها عبارة تقول على لسان أحد ممثليها يخاطب أُولئك المتهكمين على محمد ﷺ :

إن محمداً الذى تصفونه بأنه راعى غنم ، كان يصف تلاميذ المسيح بـ « الحواريين » ، وكان من الممكن أن يسميهم : صيادى سمك ، ولكان صادقاً لو فعل .

هذا « برناردشو » ، أما نجيب محفوظ فلم يجد وصفاً لائقاً بهذا الرسول العظيم إلا أن يكون « بيَّاع بطاطة » ؟!

❊ ❊

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٣١٢ ملخصاً .

**الدليل الرابع – رعى الغنم :**

رعى النبى ﷺ الغنم فى شبابه قبل البعثة ، رعاها لأهل مكة ، ولعمه ، وهى مهنة تدرب صاحبها على الحكمة وحسن التصرف فى سياسة الأُمور ، كما تدربه على الصبر وتحمل المعاناة ، وهذه صفات لازمة لمن سيكون نبياً ، وهى سُنَّة الأنبياء قبل بعثتهم ، وإن لم يشتهر رعى الغنم إلا فى حياة نبينا صلى الله عليه وسلم .

فقد روى الإمام البخارى فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال :

« ما بعث الله – عَزَّ وجَلَّ – نبيّاً إلا راعى غنم ، فقال أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط » (١) .

وقد أورد مؤلف الرواية هذه الواقعة مع كثير من التزوير .

* *

**● الواقعة فى الرواية :**

نذكر أولاً كلام مؤلف رواية « أولاد حارتنا » ، ثم نعقِّب عليه . قال :

« لم يكن يمر يوم دون أن يَزُور ( معلمه ) ، كان يحبه ويسعد بأحاديثه ، ووجد فيه رجلاً محيطاً بأخبار حارته ، حاضرها وماضيها ، ويعرف ما يتغنَّى به شعراء الرباب وأكثر (٢) . . وكان يقول – أى قاسم – ليحيى – أى ورقة ابن نوفل – :

إنى أرعى أغناماً من كل حى ، عندى غنم لجبل – أى لقوم موسى وهم

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب ( الإجارة ) ، باب : ( رعى الغنم ) ، انظر فتح البارى : ٤/ ٤٤١ ، وأخرجه ابن ماجه وابن سعد فى الطبقات وغيرهم .

(٢) أذكر القارئ مرة أُخرى بأن شعراء الرباب رمز فى الرواية للرواة والدعاة والقصصيين الدينيين .

اليهود - وأُخرى لرفاعة - يعنى للنصارى أتباع عيسى - وثالثة : للموسرين من حيِّنا . أفلا ترى أننى مثل رفاعة ؟! - أى مثل عيسى - .

فرمقه الرجل - أى نظر ورقة إلى محمد - باستنكار وقال :

« رفاعة ؟ أنت مثل رفاعة ؟ » وأنت شاب مولع بالنساء ، ترصد عند المغيب فتيات الخلاء ؟!

فابتسم قاسم - أى محمد - متسائلاً : وهل فى ذلك عيب يا معلمى ؟!

قال يحيى : « أنت وشأنك ، ولكن لا تقل : إنك مثل رفاعة » ؟! [1] .

* *

● **تعقيب** :

نقول أولاً : إن هذه الفقرات المنقولة حرفياً من « أولاد حارتنا » دليل قاطع على أن « قاسم » فى الرواية ، هو محمد بن عبد الله رسول الله إلى الناس أجمعين ، وخاتم رُسُل الله الكرام البررة .

أما ثانياً فنقول :

إن فى هذه الفقرات التى نقلناها كفراً بما أنزل الله أو ما يشبه الكفر ؛ لاشتمالها على دعاوى شديدة الخطورة وكذب على الله ورسوله ؟!

فأولاً : يريد مؤلف الرواية أن يقول : إن لمحمد ﷺ مُعَلِّماً وأستاذاً من البَشر ، هو ورقة بن نوفل النصرانى الكاهن . وقد ورد هذا مرتين فى هذه الفقرات ، المرة الأُولى فى كلام المؤلف مباشرة حيث قال :

« ولم يكن يمر يوم دون أن يزور معلمه - يقصد أن محمداً ﷺ كان حريصاً على زيارة ورقة بن نوفل كل يوم ، والمرة الثانية فى العبارة التى افتراها افتراء

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٣١٨

متعمداً على محمد ﷺ ، حيث زعم الكاتب أن « قاسم » قال ليحيى : يا مُعَلِّمى » ؟! .

وثانياً : حيث زعم الكاتب أن « قاسم » أى محمداً - كان معجباً بما كان لدى يحيى - أى ورقة بن نوفل - من علم محيط بأخبار الحارة - يعنى الدنيا ما ضيها وحاضرها ؟!

يريد المؤلف أن يقول : إن الصلة العميقة بين محمد وورقة كفيلة ، بأن يكون محمد قد تلقى علوماً غزيرة عن ورقة بن نوفل ، ومعنى هذا أن المؤلف يؤيد ما يدعيه المبشِّرون والمستشرقون من أن لمحمد معلماً وأُستاذاً من البَشر ، وأن القرآن نفسه ليس وحياً من عند الله ، بل هو كلام محمد اقتبسه من توراة اليهود وأناجيل النصارى ؟!

ثالثاً : اتهام الكاتب محمداً ﷺ بالفسق النسائى ، وأنه يترصد الفتيات كل مغيب شمس ؟! وهذا بدوره مجاراة صريحة لأباطيل الاستشراق والتبشير الذين يروجون أن محمداً كان زير نساء ؟! وقد أسند المؤلف هذا القول ليحيى أو ورقة بن نوفل ، وورقة لم يقل هذا أبداً ، وإنما الذى قاله هو الأُستاذ نجيب محفوظ ، إى ورب السموات والأرض هو الأُستاذ نجيب محفوظ .

وعبارته هذه لا تنصرف إلا للفسق النسائى وليس كثرة الزواج ، لأن محمداً قبل البعثة لم يتزوج سوى خديجة ، فكيف يقول له ورقة - والحالة هذه - : إنك شاب مولع بالنساء ، هذه واحدة . أما الثانية فإن قوله : ترصد عند المغيب فتيات الخلاء ، نص قاطع فى أن الاتهام إنما كان بالفسق النسائى ، وليس كثرة الزواج ؟!

رابعاً : إن الأُستاذ نجيب محفوظ يُفضِّل عيسى ابن مريم على خاتم الرُّسُل ، وهذه دعوى لم يدَّعيها عيسى لنفسه ، ولا ادعاها رسول قط لنفسه ، وإنما ادعاها الأُستاذ نجيب محفوظ محتمياً بورقة بن نوفل ، حيث أسند إلى ورقة أنه قال لمحمد ﷺ :

« رفاعة ؛ أنت مثل رفاعة ، لا تقل : إنك مثل رفاعة ؟! ، وورقة لم يقل هذا ، ولا محمد قال لورقة : أفلا ترى أنى مثل رفاعة ؟ إذن فالقائل هذا وذاك هو الأُستاذ نجيب محفوظ ، لا أحد غيره ، اللَّهُمَّ إلا المبشرون والحاقدون من المستشرقين ؟!

نحن نفهم أن يقول هذا الكلام فى محمد القس صموئيل زويمر المبشر الحقود ، أو يقوله جولد زيهر المستشرق الحسود .

أما أن يقوله الأُستاذ نجيب محفوظ المسلم ، فهذا ما لا نفهمه ولا نهضمه ، ولا نقره ، ولا نغمض عنه عيناً ، ولا نكف عنه لساناً ولا قلماً ، والأمر لله من قبل ومن بعد ، وما أحرانا أن نردد قول الشاعر الحكيم :

قومى همو قتلوا - أُتَيْمَ - أخى فإذا رميت يصيبنى سهمى ؟!

* *

**الدليل الخامس - الاختلاء فى غار حراء :**

عزف النبى ﷺ عن حياة اللهو وعبث الشباب منذ طفولته ، فلم يشارك أهل مكة فى سمرهم ولهوهم ، وحُبب إليه الخلاء ، فكان يخلو فى غار حراء الليالى ذوات العدد ، يتأمل ويتفكر فى ملكوت السموات والأرض ، وما كان يترك الاختلاء إلا ليتزود ويعود من جديد ، فاسمع إليه وهو يحكى عن نفسه :

« ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمون به ، إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله فيهما :

قلت ليلة لبعض فتيان مكة ، ونحن فى رعاية غنم أهلنا ، أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة ، فأسمر فيها كما يسمر الفتيان ، فقال : بلى ، قال : فدخلت حتى إذا جئت أول دارٍ من دور مكة ، سمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة وضرب الله تعالى على أُذنَىَّ ،

فوالله ما أيقظنى إلا مسُّ الشمس ، فرجعت لصاحبى ، فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما فعلتُ شيئاً ، ثم أخبرته بالذى رأيت .

ثم قلت ليلة أُخرى : أبصر لى غنمى حتى أسمر بمكة ، ففعل فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة ، فسألت فقيل : فلان نكح فلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أُذُنىَّ ، فوالله ما أيقظنى إلا مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلت ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدها لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله - عَزَّ وجَلَّ - بنبُوَّته » (١) .

لذلك حُبِّب إليه الخلاء متأملاً ذاكراً ، فزكا قلبه ، وصفت نفسه ، وطهرت سيرته ، وحفظه ربه من المحقرات وسفاسف الأُمور ، حتى صار صاحب أكبر رسالة فى التاريخ الدينى النبوى .

* *

## ● الواقعة فى الرواية :

عرضت الرواية هذه الواقعة فى الفقرة الآتية :

« وانطلق إلى الخلاء ليزور المعلم يحيى - ورقة بن نوفل - لكنه توقف عند صخرة هند (٢) - يعنى جبل النور أو غار حراء - وأخذ يفكر فى أمر الفتوات من مثل لهيطة وسوارس - أبو لهب وأبو جهل - ووَدَّ لو نعم بالسعادة المتاحة ، ويغمض العين عما حوله ، وتذكر أن هذا التساؤل قد حَيَّر من قبله « جبل ورفاعة - يعنى موسى وعيسى - كان يتأمل وهو ينظر إلى السماء فوق

(١) دلائل النبوة للبيهقى : ٢/ ٣٤ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص١٤٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ٢/ ٢٨٧ وغيرهم .

(٢) صخرة هند فى الرواية هى المكان الذى ارتكب فيه قدرى - قابيل - الفاحشة مع « هند » ابنة إدريس - إبليس - وهنا يطلقها المؤلف على جبل النور وغار حراء . . ؟!

الجبل ، ورغم سعادته بمولودته إحسان - يعنى فاطمة - كان يشتد به الفكر ، ويشرد لُبُّه ، حتى ظنَّت زوجته قمر - يعنى خديجة - أن أحداً فى البيت أساء إليه ، فنفى ذلك ، ثم قالت له : لعلها عينٌ أصابتك ، قال : لعلها » (١) .

ما يزال المؤلف مغرماً بالتنويه بالعلاقة التى بين قاسم ويحيى أو محمد ﷺ وورقة بن نوفل ، ونلفت النظر إلى أن صخرة هند هذه لها معنى سيئ كل السوء فى الرواية ( راجع الهامش رقم ٢١ ) .

ومع ذلك جَعَل عيسى عليه السلام من قبل يتلَقَّى رسالته السماوية عندها ، ثم جعل محمداً - هنا - يتوقف عندها ، فهل لذلك من معنى عند المؤلف ؟

سنعود إلى هذا عند تلقى محمد ﷺ التكليف بالرسالة الخاتمة . وهذا ما وعدنا به القارئ من قبل .

وأياً كان الأمر فإن ورود الاختلاء فى الرواية فى فصل « قاسم » دليل آخر على أن « قاسم » فى الرواية هو محمد بن الله ﷺ .

* *

**الدليل السادس - الزواج من خديجة :**

من أبرز الملامح فى رسم شخصية محمد التاريخية صلى الله عليه وسلم : زواجه من السيدة الفاضلة خديجة بنت خويلد ، وكانت من فضليات نساء قريش نسباً وحسباً وخلقاً ، ولما كان مؤلف « أولاد حارتنا » فى فصل « قاسم » يتتبع وقائع السيرة المحمدية واقعة إثر واقعة ، لم ير بدأ من الحديث عن زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضى الله عنها .

ومع أنه - كعادته - يخضع هذه الحقائق للخيال الجامح ، بل الآثم فى أكثر الأحيان ، فإن خياله - هنا - خرج من كل حدٍ معهود . وفى استدلالنا

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٣٤٥ - ٣٤٦

بما جاء عن هذا الزواج فى رواية « أولاد حارتنا » على أن « قاسم » فى الرواية هو محمد بن عبد الله ، فإننا لن نقف إلا على تصويره لحفل الزفاف ، لنرى كيف زُفَّتْ قمر - وهو الاسم الرمزى لخديجة فى الرواية ، وماذا كان سلوك « العريس » وسلوك مَدْعُوِّيه من أمثال صادق - أى أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ، وحسن - أى على بن أبى طالب رضى الله عنه . وننقل فى السطور الآتية كلام المؤلف فى وصف ليلة الزفاف :

« لنبدأ الزفة : تقدم كعبورة الزفة ، فى جلباب على اللحم ، يرقص حافياً ، ومركزاً على قمة رأسه نبوتاً ، وخلفه سار المنشدون .. ثم موكب العريس .. وأحاط بالجميع حملة المشاعل ، وراح المنشد يغنِّى بصوت مليح :

الأولَى آه من عينى دى .

والثانية آه من إيدى دى .

والثالثة آه من رِجْلى دى .

أصل اللى شبكتنى مع المحبوب عينى دى .

ولمَّا سلَّمتْ عليه سلَّمتْ بإيدى دى .

وادى اللى ودتنى للمحبوب رجلى دى .

وتعالت الآهات من الأفواه المخمورة المخدرة ، والموكب يشق طريقه .. والليل ينطوى فى غفلة من السعداء ، وعادت الزفة كما ذهبت فى بهجة وانشراح .. وبلغ الطرب من زكريا - أى أبى طالب عم الرسول - منتهاه ، فتناول عصاه وراح يرقص وهز الرأس مرة ، والصدر مرة أُخرى ، كما هز الوسط ؟! وصور بحركاته هيئة القتال وهيئة الوصال مؤذناً بحسن الختام ، عند ذاك انتقل قاسم - محمد ﷺ - إلى الحريم ، رأى قمر - أى خديجة عروسه - عند ملتقى صفين من المدعوات ، فاتجه نحوها يخوض أمواجاً من الزغاريد ، وتناول يدها فقامت ثم سارا معاً تتقدمها راقصة كأنما تلقى عليها

الدرس الأخير ، حتى احتوتهما حجرة العُرْس ، وبإغلاق باب الحجرة انفصلا انفصالاً كُلياً عن العالَم الخارجى » ؟! [1] .

وليس لنا تعليق على هذا السخف إلا سؤال نوجهه للأستاذ نجيب محفوظ :

هذا الوصف الآثم الذى صورته بيدك :

أهو وصف لزفاف النبى الطاهر العظيم ؟

أم لحفل ماجن من أحفال ليلة رأس السنة ، أقيم فى أحد مواخير الهرم ؟!

❊ ❊

**الدليل السابع - الإتجار فى مال خديجة :**

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أجَّرْتُ نفسى من خديجة ، سَفْرتين بقلوص » .

هذا الخبر وإن تكلم فيه رجال الحديث ، فإنه يشير إلى واقعة مُجْمَعٍ عليها بين كُتَّاب السير ، وهى اشتغال النبي ﷺ بالإتجار فى مال خديجة .

وقد أمنته خديجة على مالها لما عُرِف عنه من الصدق والأمانة والاستقامة فى القول والعمل ، وما من كتاب من كتب السيرة المحمدية ، كسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية ، والروض الأُنف للإمام السُّهَيْلى إلا وفيه نصوص صريحة بعمل النبى فى مال خديجة ، والسفر به إلى الشام ومعه غلامها ميسرة .

وفى تتبع رواية « أولاد حارتنا » حرص مؤلفها على الإشارة إلى هذا العمل ؛ لأنه جزء من سيرة محمد ﷺ ، الذى يرمز إليه المؤلف بـ « قاسم » .



---

(١) « أولاد حارتنا ص ٣٣٩ - ٣٤٠

● **الواقعة فى الرواية :**

إتجاره - صلى الله عليه وسلم - فى مال خديجة كان قبل أن يبعث رسولاً ، وقبل أن يتزوج منها ، لكن رواية أولاد الحارة عكست الوضع ، فجعلت الزواج قبل الإتجار ، وأن فكرة الإتجار طرأت فى ذهن خديجة ، وهما فى جلسة عائلية ، ولعل هذا العكس المتعمد لون من ألوان الفر بعد الكر ، أو الإحجام بعد الإقدام لئلا يعرف قراء الرواية « جُوَّانيات » الأُستاذ نجيب محفوظ ، فهو - فضلاً عن التعتيم الرمزى - كثيراً ما يحرِّف مجريات الأحداث .

ومن المستحسن أن ننقل كلامه ليشاركنا القراء فى حقيقة ما نقول :

قال المؤلف :

« وقالت له يوماً وهما جالسان جنباً إلى جنب فى حجرة الجلوس :

أراك كالحمل الوديع : لا تطلب ولا تأمر ولا تزجر ، وجميع ما فى البيت ملك يدك .

فداعب خُصلة من شعر رأسها المصبوغ بالحنَّاء ؟! وقال : بلغتُ حالاً لا يُطلب عندها شىء ؟

فشدَّت يده بقوة وقالت : حدثنى قلبى من بادئ الأمر بأنك خير الرجال فى حينا - يعنى حى الجرابيع - لكنك لأدبك تبدو أحياناً كالغريب فى دارك ، ألا تدرى أن ذلك يضايقنى ؟

قال : إنك تخاطبين رجلاً نقله حظه السعيد من الرمال المحرقة إلى جنة البيت السعيد . فتظاهرت بالجد . . وقالت : لا تظن أنك ستلقى راحة فى بيتى ، ستحل اليوم أو غداً محل عمى فى إدارة أملاكى ، فهل تستثقل ذلك ؟ فضحك قائلاً :

إنه اللهو بالقياس إلى رعى الغنم .

وتولى إدارة أملاكها الموزعة بين حى الجرابيع والجمالية » ؟! [1] .

ونسأل : من هى صاحبة الأملاك إن لم تكن خديجة ؟

ومن هو قاسم مدير تلك الأملاك إن لم يكن محمداً ؟

وهل أجدت رموز الكاتب ووسائل التمويه الأُخرى فى إخفاء « جُوَّانياته » شيئاً ؟

كلا ، لقد تحولت « الجُوَّانيات » إلى « بَرَّانِيَّاتٍ » ما فى ذلك من ريب .

* *

**الدليل الثامن – بدء نزول الوحى :**

تتويج محمد ﷺ بالرسالة ، وبدء نزول الوحى الأمين عليه مثل الشمس حين تتوسط المسافة بين المشرق والمغرب ، وتتعامد على الأرض من كبد السماء ، قوة وظهوراً ، وأى كاتب فى سيرة محمد يحرص كل الحرص على إثبات هذا الحدث الضخم ، حتى يتم له الوفاء برسم الشخصية التاريخية لهذا الرسول الكريم .

لذلك عمد مؤلف رواية « أولاد حارتنا » للحديث عن تتويج محمد بالرسالة ، وإن تحدث عنها من وراء حجاب ، بيد أنه غلَّفها بخياله ورموزه ، وهى – مع هذا – ظاهرة فى الرواية ظهور الشمس فى كبد السماء . وها نحن نلخص كلام الرواية – لطوله – فى الأسطر الآتية :

**● الواقعة فى الرواية :**

مهدت الرواية لبدء الوحى بغياب قاسم – محمد – عن منزله يوماً ، غياباً لم يُعْهَد من قبل ، حتى كادت قمر – خديجة – أن تُجن ، فأذاعت النبأ ، وكوَّنت فريق بحث نشطاً من زكريا وحسن – أبى طالب وابنه علىّ ، وجاريتها سكينة ، قام هذا الفريق بالبحث عنه فى كل مكان يُظن وجوده فيه ، فلم يعثروا له على أثر ، فهداهم تفكيرهم للسؤال عنه عند المعلم يحيى –

---

(١) أولاد حارتنا ص : ٣٤١ ، ٣٤٢

ورقة بن نوفل الكاهن النصرانى - فوجدوه نائماً عنده ، وأن ورقة أخبرهم أن قوماً وجدوا « قاسم » مغشياً عليه ، فحملوه إلى خلوة ورقة ، ولما طلبوا منه إيقاظه أبى ، وقال : دعوه حتى يصحو هو من نفسه ؟

ولما عاد قاسم - محمد - إلى زوجه قمر - خديجة ، لاحظت عليه ذهولاً وشروداً ، فألّحت عليه أن يخبرها ماذا حدث له ، فقال (١) :

« سأبوح به لك لأول مرة ، أنت أول شخص يسمعه ، لكن ينبغى أن تصدقينى ؛ لأنى لا أقول إلا الحق ، أمس حدث شيء عجيب ، هناك تحت « صخرة هند » - وأنا وحدى فى الليل والخلاء ، وإذا بصوت غريب يقول بغتة : مساء الخير يا قاسم ، فارتعدت من وقع المفاجأة ، ورفعت رأسى ، فرأيت شبح رجل واقف على بعد خطوة من مجلسى ، وقلت له : مساء الخير مَنْ أنت ؟

قال لى : أنا قنديل خادم الجبلاوى » (٢) .

ويقول المؤلف : إن قنديل - يعنى جبريل - قال لقاسم نقلاً عن الجبلاوى :

« إن جميع أولاد الحارة أحفاده على السواء ، وإن الوقف ميراثهم على قدم المساواة ، وأن الفتونة شر يجب أن يذهب ، وإن الحارة يجب أن تصير امتداداً للبيت الكبير ، وأن « قاسم » سأل قنديل - جبريل - بأدب قائلاً :

ولماذا يبلغنى ذلك ؟ فقال قنديل : لكى تحققه بنفسك .

يكفينا ما لخصناه وما نقلناه حرفياً من كلام الرواية ، يكفينا دليلاً إلى ما قدمناه من أدلة على أن « قاسم » فى رواية « أولاد حارتنا » هو محمد رسول الله إلى الناس جميعاً ، بيد أن حديثاً كنا قد وعدنا به من قبل حان الآن موعده :

---

(١) الجزء الآتى ننقله حرفياً من كلام المؤلف .

(٢) « أولاد حارتنا » ص ٣٤٧ - ٣٥٣

● **صخرة هند :**

وردت هذه العبارة أول مرة فى الرواية فى فصل « أدهم » رمز آدم ، وبخاصة عندما نشأت علاقة شيطانية بين قدرى أو قابيل أحد وَلَدَى آدم ، وهند بنت إدريس الذى رمز به المؤلف لإبليس أو الشيطان ، فقد أرانا المؤلف - هناك - أن قدرى وهنداً هذه اقترفا معاً « الفاحشة » عند صخرة أسماها المؤلف « صخرة هند » (١) .

ومعنى هذا أن « صخرة هند » مكان ملوَّث - ولو فى خيال الكاتب - وأنه موطن أول جريمة زنا فى الوجود .

وإذا كان الأمر - كذلك - وهو كذلك فى خيال الرواية ، فهل يليق أن يكون هذا « الموضع » موطناً لنزول الوحى على الرُّسُل والأنبياء ؟ لقد رأينا من قبل أن عيسى عليه السلام كلمه الجبلاوى رمز الأُلوهية ( الله ) فى الرواية عند صخرة هند ؟ وتوَّج الجبلاوى عيسى ابن مريم بالرسالة عند صخرة هند ؟

ونرى - هنا - فى فصل « قاسم » الذى ترمز به الرواية إلى محمد ﷺ أن « قنديل » - أى جبريل - نزل على محمد عند صخرة هند ؟

فهل للرواية من هدف فى جعل هذا الموضع مَهْبطاً لجبريل ، أمين الوحى على أنبياء الله ورُسُله ؟

نعم ، لا بد من هدف ، فقد عودتنا الرواية أنها لا تختار رموزها إلا لمعنى تريده ، وهدف تسعى إليه ، فماذا يا تُرى المعنى المقصود من هذا الرمز ومجئ رسالات السماء من ناحية « صخرة هند » هذه السيئة السمعة فى الرواية ؟

هل عند القُرَّاء من جواب ؟ أما أنا فقد ظننتُ ظناً أن الهدف كذا ، ولكنى أحتفظ بهذا الظن ؛ لأن بعض الظن إثم ، ومن يدرينى من أى نوع ظنى هذا ؟ أهو من « البعض » الموصوف بأنه إثم ، أم من البعض الآخر الصائب البرئ .

---

(١) هذا كله من صُنْع خيال الكاتب ، وليس له وجود فى الواقع .

ومع هذا فما زلت فى حَيْرة من هذا التلازم بين موطن الجريمة النكراء - صخرة هند - وبين نزول الوحى على الرُّسُل عندها ؟

* *

### • تزوير صارخ :

محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد أن نزل عليه الوحى لأول مرة ذهب إلى بيته وهو يرتجف من هول الموقف ، وقال لخديجة : زملونى زملونى ، ولم يختف كما زعمت الرواية ، ولم يُعْثر عليه وهو فى حالة إغماء ، ولم يحمله أحد إلى خلوة ورقة بن نوفل ، هذه افتراءات وتزويرات صارخة تشوِّه بها الرواية سيرة عطرة لم يُعْرف لها مثيل فى الوجود ، ولكنَّ الرواية - فيما خطر لى - تريد أن تشير إلى توطيد العلاقة بين النبى وورقة ، لدرجة أن القوم الذين وجدوه مغشياً عليه فى الطريق - على زعم الرواية - حملوه إلى « ورقة » ولم يحملوه إلى بيته هو ؟ وكأن ورقة ولى أمره ، وأعرف من أهله ، وأن علاقة محمد ﷺ بورقة أوثق من علاقته بأهله وزوجته ؟ هذه الافتراءات لا تخدم إلا مزاعم المبشرين الحاقدين على خاتم الرُّسُل ، والمستشرقين تلاميذ المبشِّرين ، والناهجين نهجهم فى الحقد على الإسلام ، وعلى رسول الإسلام وعلى المسلمين ؟

أيها القارئ الكريم : ألست معى فى أن هذه الرواية رواية آثمة يجب إعدامها من الوجود ؟

* *

### الدليل التاسع - أصداء بدء نزول الوحى :

كان لتتويج محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة أصداء مدوية فى مكة ، ثم خارج مكة ، ثم فى العالَم المعمور إذ ذاك ، والذى يهمنا - الآن - صدى بدء الوحى فى الطور الأول من الرسالة ؛ لأن رواية « أولاد حارتنا » زوَّرت

واختلقت وهى تحكى بأساليبها الرمزية ، وحيلها التعبيرية الماكرة ما أحدثه نزول الوحى من آثار ، ودعونا نلخص كلامها بكل أمانة خشية التطويل :

### ● تزوير موقف خديجة رضى الله عنها :

معروف أن رمز خديجة فى الرواية « قمر » ، وقد أظهرتها الرواية فى حالة شديدة من الشك والارتياب فى صدق محمد ﷺ ، حين أخبرها بأن « قنديل - أى جبريل - خادم الجبلاوى كلمه ، وأبلغه برسالة من الجبلاوى ، بأن يحقق بنفسه مساواة أولاد الحارة ، أو أحفاد الجبلاوى فى الوقف ، أى أن خديجة ارتابت فى أمر الرسالة وبدء نزول الوحى ، وراحت تجادل النبى وتنازعه فيها ، ثم تلجأ إلى البكاء من القلق النفسى الذى أصابها ، فزوجها لم يُجرَّبْ عليه كذب قط . والأمر الذى يدعيه شديد الغرابة والخطورة ، ولم يملك محمد ﷺ أمام ارتيابها إلا أن يعفيها من تصديقه ؟! [1] ، ثم لم تصدقه إلا بعد عناء طويل ؟!

هكذا صورت الرواية موقف السيدة خديجة رضى الله عنها ، فكذبت - أعنى الرواية - على الله ورسوله ، وعلى أُم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ؟!

❋ ❋

### ● الموقف الحقيقى :

إن الموقف الحقيقى لخديجة من التصديق بالرسالة يختلف تماماً عما زعمته الرواية زوراً وبهتاناً :

كانت خديجة أول من علم ببدء نزول الوحى على خاتم الرُّسُل ، وكانت أول السابقين إلى الإسلام ، وعلى عكس ما زعمت الرواية ، فإن خديجة لم يخالجها أدنى شك فى ما قاله لها صلى الله عليه وسلم ، ولَمَّا أخبرها الخبر سارعت تثبته وتبشره بتأييد الله له ؛ لأنه أهل لتأييد الله :

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٣٥٠ - ٣٥٤ ملخصاً .

قالت خديجة له :

أين كنت يا أبا القاسم ؟ فوالله لقد بعثت رُسُلى فى طلبك حتى بلغوا أعالى مكة ورجعوا إلىَّ .

قال : جاءنى وفى يده منديل من حرير فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ فجذبنى بشدة حتى احتبس منى النفس ، وظننت أنه الموت .

ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ، فضمنى إليه حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال :

اقرأ ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ فقال :

﴿ إقْرَأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذى خَلَق * خَلَقَ الإنْسَانَ منْ عَلَق * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [1] .

ثم انتهى فانصرف عنى . . فكأنما كتبت فى قلبى ، فخرجت حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول :

« يا محمد ؛ أنت رسول الله وأنا جبريل ، فرفعت رأسى إلى السماء انظر إليه ، فإذا جبريل فى صورة رجل صافٍّ قدميه فى أُفق السماء يقول :

« يا محمد ؛ أنت رسول الله وأنا جبريل ، فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفاً ، فما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى ، ثم انصرف عنى فجئت أهلى » .

فلما سمعت خديجة هذا الكلام بادرت تقول له :

« أبشر يا ابن عم ، واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبىَّ هذه الأُمَّة » [2] .

---

(١) العلق : ١ - ٥

(٢) قصص الأنبياء ص ٣٠٣ - ٣٠٤ محمد أحمد جاد المولى وآخرين .

وفى موطن آخر قال لها :

« لقد خشيت على نفسى ؟ فقالت له خديجة :

« كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتُقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » ، وفى رواية : الدهر بدل الحق (١) .

فأين الشك والتردد والارتياب الذى زعمته الرواية ؟

وهل المرتاب يقول - ولأول وهلة - فوالذى نفسى بيده إنى لأرجو أن تكون نبىّ هذه الأُمَّة ؟!

فما بال رواية « أولاد حارتنا » تنفث سموماً قاتلة فى أُصول الإيمان وفروعه ، وتحملنا على إساءة الظن بها بواعث وغايات فى كل سطرٍ من سطورها ؟!

❊ ❊

● **فرية ورقة :**

أما ورقة بن نوفل ، أو يحيى حسب رمز الرواية له ، فلم يكن يعلم من أمر محمد شيئاً ، ولا كان محمد يتردد عليه قبل البعثة ، ويروى عنه أخبار الأُمم الغابرة ، ولا وُجِد محمد مطروحاً على الطريق فحمله واجدوه إلى ورقة . كل هذه من افتراءات رواية « أولاد حارتنا » ، وليس لها من الواقع دليل ، ولا شبهة دليل ، وإنما بهتان خالص ؟!

ومحمد كانت كل حركاته معروفة لرجال قريش ، ولو كانوا رأوا محمداً يتردد على ورقة قبل البعثة ، ويتعلم منه ، لواجهوه لَمَّا رفضوا دعوته ونسبوا تعليمه إلى ورقة ، بدل أن يدعو ذلك لرجل أعجمى لا يعرف العربية ، ولا محمد يعرف لسانه الأعجمية ؟!

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى : ١٣٦/٢ ، ما عدا رواية « الدهر » .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

أم أن رواية « أولاد حارتنا » كانت فى ذلك الوقت ترصد محمداً بأجهزة التجسس الحديثة ، فعلمت من أحواله وتصرفاته ما لم يعلمه معاصروه من أمثال أبى لهب وأبى جهل ؟

أما قرأت رواية « أولاد حارتنا » قول الحق تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ (٢) .

فتكف عن هذا الاختلاق الذى طمَّ وعمَّ فيها ، فلم يسلم من همزها ولمزها أحد من شرفاء أولاد حارتها ؟!

* *

## ● متى علم ورقة ؟

إن ورقة بن نوفل لم يعلم بشىء من شأن محمد ﷺ إلا بعد أن ذهبت خديجة إليه ، ومعها رسول الله ﷺ ، وكان ورقة ابن عم لخديجة ، فقالت له : اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : ابن أخى ، ما ترى ؟ فأخبره بما كان ، فقال ورقة : هذا ( هو ) الناموس الذى أُنْزِل على موسى ، يا ليتنى أكون حيّاً حين يخرجك قومك (٣) .

فقال صلى الله عليه وسلم : « أوَ مُخْرِجِىَّ هُمْ » ؟ قال ورقة : نعم ، لم

---

(١) النحل : ١٠٣ (٢) الإسراء : ٧٦

(٣) إنما عرف ورقة إخراج الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة من الكتب السابقة على القرآن . وهذا دليل على أن تحريفاً وقع فى تلك الكتب بعد الإسلام ، وفيه تم حذف هذه الأخبار .

يأت رجل قط بما جئت به إلا عُودِى ، وأن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً » (١) .

هذه الحقائق - جميعاً - لم تكن مجهولة عند مؤلف الرواية ، ولكنه أدار ظهره لها ، وراح يبتدع سيرة أُخرى لخاتم الرُّسُل لا يقره عليها إنس ولا جان . وهو مسئول عنها أمام الله ما لم يتُبْ .

* *

**الدليل العاشر - الهجرة إلى المدينة :**

عرضت رواية « أولاد حارتنا » موضوع الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بين وضوح خافت ، وغموض طامس ، ونكتفى من كلامه عنها بهذه الإشارات ، ومن المعلوم أن أبا بكر الصِّدِّيق كان يرصد خطوات المؤامرة التى يدبرها المشركون لقتل محمد ﷺ ، وقد جندوا أربعين فتى شاباً جلداً ليضربوه جميعاً ، فلا يُعْلَم قاتله على وجه اليقين ، ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا يستطيع بنو هاشم آل النبى أن يطالبوه بثأره ، هكذا زيَّن لهم الشيطان ؟

وحين حددوا الليلة التى سينفذون فيها المؤامرة أرسل أبو بكر ابنته تخبر رسول الله ﷺ بضرورة الخروج من مكة ليلة التنفيذ . وفى هذا يقول مؤلف الرواية :

« إنه - يعنى أبا بكر الذى ترمز إليه الرواية بـ « صادق » يقول لك أنْ غادر الحارة فوراً ، فإن لهيطة وجلطة وحجاج وسوارس (٢) تآمروا على قتلك الليلة » (٣) .

---

(١) رواه الشيخان : البخارى ومسلم فى الصحيح .

(٢) لهيطة وجلطة وحجاج وسوارس رموز لمشركى مكة .

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٣٩٨

ثم يقول :

« وفى ثوانٍ تأهب للرحيل ، فلثم إحسان - يعنى فاطمة - مرات ، ووقف وراء الخصاص يراقب الطريق ، فرأى رجالاً من أعوان الفتوات . . الدلائل تشهد بأنهم يتأهبون » (١) .

ويستمر الكاتب حتى وصول النبى ﷺ إلى المدينة ، ويشير إلى ترحابهم به فيقول :

« أعددنا لك داراً وسط ديارنا ، وفيها الآن تنام إحسان . وقال قاسم - محمد - : حسبنا أن لا نجد بيننا فتوات ، فقال صادق - أبو بكر - : حارة جديدة . . سكانها يتزايدون مع الأيام ، وقد انضم إلينا جميع المعلمين - أى الأنصار - من حارتنا . ولما صعد قاسم إلى السطح تلقاه الرجال بالأعناق وصافحته النساء ، وارتفعت الأصوات بالتحيات والتهليل والتكبير . . » (٢) .

هذا حديث الهجرة فى رواية « أولاد حارتنا » ينطق بكلام فصيح - مهما موَّه المؤلف وخادع - بأن صاحب هذه السيرة هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وإن عرضها المؤلف - كما ترى - فى حذر وتوجُّس ، ورموز وألغاز وفر بعد كر ، وإحجام بعد إقدام .

* *

**الدليل الحادى عشر - مشروعية القتال :**

ظل المسلمون ثلاثة عشر عاماً بمكة قبل الهجرة يتعرضون لأفظع ألوان العذاب والاضطهاد ، دون أن يشهروا سلاحاً فى وجوه أعدائهم ؛ لأن الله لم يأذن لهم بالقتال فى تلك الفترة .

وبعد الهجرة إلى المدينة ، وتنظيم الأوضاع السياسية والاجتماعية فيها إذن الله لهم بقتال من قاتلهم ، فقال عَزَّ وجَلَّ :

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٤٠٥ - ٤٠٧ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٠٠

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ ، وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [1] .

❋ ❋

## ● الإذن فى الرواية :

فى عبارة وجيزة للغاية أشار مؤلف الرواية إلى الإذن بالقتال فى الإسلام ومشروعيته ، وذلك عقب الحديث عن الهجرة مباشرة . قال المؤلف مسنداً هذا القول لقاسم :

« سنرفع النبابيت كما رفعها جبل - يعنى موسى - ولكن فى سبيل الرحمة التى نادى بها رفاعة - يعنى عيسى - ثم نستغل الوقف لخير الجميع » [2] .

فالنبابيت التى ستُرفع هى السلاح أياً كان نوعه ، وقد رمز الكاتب بها إلى الإذن بالقتال ومشروعيته .

❋ ❋

## ● نتائج التطبيق :

ومما يؤكد ما فهمناه من رَفْع النبابيت أن المؤلف تحدث بعدها كثيراً عن معارك نشبت بين الجرابيع - أى المسلمين - وبين أعدائهم الفتوات ، وأن الانتصار الساحق كان للجرابيع بقيادة قاسم وأن الهزيمة كانت للفتوات .



---

(١) الحج : ٣٩ - ٤٠

(٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٠٧ ، وربما رمز الكاتب بقوله : لخير الجميع إلى عالَمية الإسلام .

● **آثار الهزيمة :**

كما يصور آثار الهزيمة فى صفوف الفتوات فى عباراتهم الآتية التى تفيض بالغيظ :

- اقتلوا الجرابيع ؟!
- هاتوا جثة قاسم تأكلها الكلاب ؟!
- علىَّ الطلاق لأشربنَّ من دمه ؟!
- الجربوع اللئيم الجبان ؟!
- كان يأخذ المليم من يدى ويبوس التراب ؟!
- راعى غنم ، والله هَزُلَت .
- قاسم الذى كان ينبغى أن يظل متسولاً طول عمره لولا قمر [1] .

لقد أسرف المؤلف فى كيل السباب لقاسم ، وهو يعلم مَنْ هو قاسم فى روايته ؟؟

ولا سند لهذه الشتائم غير الخيال ، فكان حريا به أن يكون عفيف القلم وهو يتحدث عن هذه « الشخصية النبيلة الفاضلة » .

إن نتائج التطبيق هذه يمكن الاعتداد بها دليلاً مستقلاً لا تابعاً لدليل آخر ، وعلى كلٍ فكل الطرق تؤدى إلى روما كما يقول المثل .

❊ ❊

**الدليل الثانى عشر – تعدد الزوجات :**

لم يألوا خصوم الإسلام من المبشرين والمستشرقين وعملائهم ، لم يألوا جهداً فى تصيُّد النقائص والعيوب ، وإلصاقها بخاتم الرُّسُل ﷺ . وهم – فى هذا الصدد – يتكئون كثيراً على واقعة تعدد الزوجات فى سيرة محمد ﷺ ، يكثرون اللغط حولها ، ويبدأون ويعيدون القول فيها ، ويعدونها مثلبة لا منقبة ،

---

(١) أولاد حارتنا : ٤٢١

وعيباً لا كمالاً ، ويحلو لكثير منهم أن يقارنوا بين عيسى ومحمد ، فيقدمون عيسى ويرفعون قدره ، لأنه عزف عن النساء فلم يتزوج قط ، ويحطون من قدر محمد ؛ لأنه - عندهم - زير نساء ، وشهوانى متهالك على الشهوات يقولون هذا وهم يعلمون أن تعدد الزوجات مكرمة لا مذمَّة ، وليس مما يجرح كرامة الرجل ، ولا يحط من شأنه شيئاً ، بل هو - أى تعدد الزوجات - سمة - من سمات الكمال ، وسلامة فى الخَلْق ، واستقامة فى الخُلُق .

ولو كان الأمر قد عُكِس لقالوا إن محمداً عاجز وعقيم ، أو مريض الأعصاب ، فاقد الإحساس ، معتل المزاج ؛ وليس رجلاً يتمتع بكل قواه النفسية والجسمية ، يسيرون مع الأهواء أينما سارت كما قال ابن الرومى يلوم من يمدح عسل النحل مرة ، ويذمه أُخرى تبعاً لهواه :

تقول هذا مُجاج النحل تمدحــه وإن تَعِبْ قلت ذا قئُ الزنابير ؟!

هذا دأبهم فى إصدار الأحكام ، ونظرتهم المزدوجة للأمور ، وصدق شاعرنا ، حيث قال :

وعين الرضـا عن كل عيب كليلةٍ ولكن عين السخط تبدى المساويا

هذا ، وقد تابع الأُستاذ نجيب محفوظ هؤلاء الحاقدين على الإسلام ورسول الإسلام ، فغمز فى سيرة محمد ﷺ ، ولمز ، فقال بالحرف الواحد :

**● التعدد فى الرواية :**

« إنه توسع فى حياته الزوجية ، فعلى حبه بدرية - يعنى عائشة - رضى الله عنها - تزوج حسناء من آل جبل - يعنى صفية بنت حُيَىّ بن أخطب من اليهود - وأُخرى من آل رفاعة - يعنى مارية القبطية من النصارى - وتعشَّق امرأة من الجرابيع [1] - يعنى المسلمين العرب - ثم تزوج منها أيضاً » [2] - يعنى زينب بنت جحش - زوجة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ .

---

(١) من قبل كان يطلق على العرب : الجرابيع ، والآن يطلق الجرابيع على المسلمين عرباً أو غير عرب ؟

(٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٤٣

● **كلمة عن التعدد :**

قبل أن نتصدى لكلام صاحب الرواية نضع بين يدى القارئ كلمة عن تعدد زوجات النبى ﷺ ، وخلاصتها :

أن لهذا التعدد دوافع غير التى ينظر إليها خصوم الإسلام وعملاؤهم .

تلك الدوافع كانت ترجع إلى هذه الاعتبارات :

● دوافع لها طابع اجتماعى كزواجه من صفية بنت حُيَىّ ، فقد وقعت صفية فى الأسر وأبوها من سادة قومه ، فلو تزوجها أو تسَرَّى بها غير النبى لكان فى ذلك حط من قدرها والإسلام يرحم ممن يرحم ثلاثة :

غنياً افتقر ، وعزيز قوم ذل ، وعالِماً ضاع بين جُهَّال ، فبمواساته لصفية ، وإكرامه لها صارت أُمّاً من أُمَّهات المؤمنين ، ولم يتزوجها الرسول لحسنها كما همز مؤلف الرواية .

● ودوافع إنسانية كزواجه من سودة بنت زمعة وهى امرأة عجوز ، فتزوجها ليكون مأوى وكهفاً لها بعد ترملها ، حيث توفى زوجها بعد العودة من الهجرة الثانية إلى الحبشة ، فصارت بلا عائل ولا قريب لها .

● ودوافع وفاء وتكريم ، كزواجه من السيدة عائشة رضى الله عنها ، وفاء لبلاء أبيها فى الإسلام بلاء حسناً ، وحفصة بنت عمر ، وكم لعمر من أياد بيضاء فى نصرة الإسلام .

وهكذا تجد وراء زيجات المصطفى صلى الله عليه وسلم مقاصد نبيلة ، ولم تكن الشهوة المجردة سبباً فى أى زيجة من زيجاته ، وأياً كان الأمر فإن تعدد الزوجات - مع القدرة - شرف ونبل ، وهو غير تعدد الخليلات فى بيئة خصوم الإسلام من مبشرين ومستشرقين يملؤهم الحقد ، ويُعْميهم التعصب ؟

* *

## ● عود لكلام مؤلف الرواية :

في العودة إلى كلام المؤلف نتصدى لمسألة واحدة هي قوله :

« وتعشّق [1] امرأة من الجرابيع وتزوجها أيضاً » ؟

يشير الكاتب إلى قصة زينب بنت جحش ، وخلاصة هذه القصة : أن المسلمين في بادئ الأمر كانوا يعاملون أبناءهم من التَّبنِّي معاملة أبنائهم من أصلابهم ، فيورثونهم ويعتبرون زوجاتهم محرمات كحرمة زوجة الابن من الصلب ، فأراد الله أن يبطل هذا السلوك ، وضرب لذلك مثلاً عملياً برسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، وكان الرسول يعلم أن زيداً سيطلقها ثم يتزوج هو منها ليكون قدوة لغيره من المسلمين ، كما أخبره ربه ، ودب الخلاف بين زيد وزينب ، وكلما هم زيد بالتطليق نهاه رسول الله ﷺ ، وقال : أُمسك عليك زوجك واتق الله ، وهو يعلم أن المصير هو الطلاق ، ولكن خشي أن يقول الناس إن محمداً حرّض زيداً على طلاق زينب ليتزوجها هو ؟

ولما وقع مما ليس منه بد ، زوَّج الله محمداً زينب ، وتابعه المسلمون ، فلم يعاملوا أبناءهم من التَّبنِّي معاملة أبنائهم من أصلابهم ، وفي ذلك نزل قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْه ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْه أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيه وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً ﴾ [2] .

لغط المبشرون والمستشرقون حول هذه الواقعة ، وقالوا : إن محمداً لما رأى

---

(١) تأمل كلمة « تعشّق » تجد لها معنى خبيثاً فهي غير « عشق » ، لأنها تدل على شدة العشق ، وتهالك صاحبه فيه .. ؟!

(٢) الأحزاب : ٣٧ ، أنعم الله عليه : أي بالإسلام ، وأنعمت عليه : أي بالعتق والحرية ، مبديه : مظهره ، وطراً : غرضاً ، أدعيائهم : أبناؤهم بالتبني .

زينب بعد زواجها من زيد أعجبه حسنها ، وهام فى غرامها ورجا أن يطلقها زيد فتخلو له هو ، وأنه كتم هذا العشق فى نفسه ففضحه الله ، وأظهره للناس : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ هكذا تصيد خصوم الإسلام هذه التهمة ، وتمسكوا بظواهر الألفاظ ، مع أن الذى كان يخفيه محمد فى نفسه ، هو أن زيداً سيطلق زينب لا محالة ، ثم يتزوجها هو لا محالة ، لكن بشريَّة الرسول غلبت عليه ، فخشى لغط الناس لو أظهر لهم الحقيقة المرادة .

وهل لو كان محمد كما قالوا كان الله يجاريه على هذه « الفعلة » ، ويحرم زيداً من زوجته ليمكن منها محمداً ؟!

وزينب ابنة عمة محمد ﷺ ، فهل من المعقول أنه لم يرها ولم يعرف جمالها إلا بعد زواجها من زيد ، وذوو القُرْبى يتزاورون ويرى بعضهم بعضاً ، وبخاصة قبل نزول آيات الحجاب ، فما أعظم الفرية التى يفتريها خصوم الإسلام ، وما أبعد مؤلف رواية « أولاد حارتنا » حين يجارى أعداء الإسلام ، ويسد أذنيه عن سماع الحق ، ويغمض عينيه عن رؤيته ، ويلغى عقله عن فهمه ؟ ما أبعده عن الصواب ؟!

ومهما كان الأمر فإن « قاسم » فى رواية الأُستاذ نجيب محفوظ ، هو : محمد بن عبد الله خاتم النبيين ، رضى محفوظ أم كره ؟

* *

**الدليل الثالث عشر – خلافة أبى بكر :**

من نافلة القول التذكير بأن أول من خلف رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصِّدِّيق ، الذى ارتضته الأُمَّة ليكون قائداً لها بعد رحيل صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

ومن نافلة القول – كذلك – الإشارة إلى عدل أبى بكر فى الرعية ،

والاقتداء برسول الله ﷺ فى إدارة شئون المسلمين ، ورعاية مصالحهم ، وحملهم على كتاب الله وسُنَّة رسوله الكريم الأمين .

هذه الحقائق معروفة حتى لدى غير المسلمين ، ممن اهتموا بدراسة الإسلام ، وبخاصة فى عصر الرسالة ، وعصر الخلفاء الراشدين .

* *

● **خلافة أبى بكر فى الرواية :**

لم تُغْفِل الرواية « أولاد حارتنا » واقعة خلافة أبى بكر الصِّدِّيق عقيب رحيل النبى عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر فى الرواية هو « صادق » كما تقدم .

وكم كُنَّا نود أن تخلو خاتمة الحديث عن « قاسم » من الهمز واللمز والسخرية من قِيَم الإسلام ورجاله الأعلام ، ولكن للأسف الشديد فإن الأُستاذ نجيب محفوظ مؤلف « أولاد حارتنا » يشير إلى خلافة أبى بكر وعدله المضروب به الأمثال وسط هالة من السخرية والازدراء ، وها هى ذى عبارته بالحرف الواحد :

« ستسمع حول الجوزة الدائرة فى الغرز بين الحسرات والضحكات أن « صادق » خلف « قاسم » على النظارة ، فسار ( فيها ) سيرته » [1] .

إن « صادق » خلف « قاسم » .

هذه الجملة بعد فك الرمزين اللذين فيها تصبح يقيناً هكذا :

« إن أبا بكر الصِّدِّيق خلف محمد بن عبد الله » .

هذا المعنى يعرفه المؤلف حق المعرفة ، ومع هذا تراه يهزأ به ، ويسخر منه ، فيجعله حديث « الغرز » و« الجوزة » الدائرة فى تلك « الغرز » ؟!

* *

---

(١) أولاد حارتنا ص ٤٤٧

**الدليل الرابع عشر - نشأة التشيع لعلىّ رضى الله عنه :**

حتى نشأة التشيع لم تغفلها رواية « أولاد حارتنا » وفيها يقول المؤلف :

« .. وأن قوماً رأوا « حسن » - أى علىّ بن أبى طالب - أحق منه - أى من أبى بكر - بالنظارة - أى الخلافة - لقرابته من قاسم ، وأنه الرجل الذى قتل الفتوات ؟ وأنهم حرضوا « حسن » على رفع نبوته الذى لا يقاوم ، فأبى أن يعود بالحارة إلى عهد الفتونة » (١) .

بلا أدنى ريب نرى المؤلف هنا يتحدث عن نشأة التشيع ويذكر أسباب تفضيل علىّ بن أبى طالب على أبى بكر فى نظر الشيعة ، وهى :

● قرابة علىّ من النبى عليه الصلاة والسلام ، لأنهما ابنا عم ، ثم زواجه من فاطمة الزهراء ابنة خاتم المرسلين .

● بلاءُ علىّ فى الحروب وبطولاته النادرة ، وقوة بطشه بالأعداء ، ثم أشار المؤلف إلى إيثار علىّ للمسالمة والحفاظ على وحدة الأُمَّة ، فلم يطع محرضيه على القتال .

فهذه أربعة عشر دليلاً - بل تزيد - على أن « قاسم » فى الرواية هو محمد بن عبد الله ورسول الله إلى العالَمين .

كما تدل على صحة معانى الرموز التى وردت فى هذا الفصل مثل :

زكريا - حسن - صادق - بدرية - قمر - إحسان . . . إلخ إلخ .

* *

**● تعقيب :**

يحسن بنا - قبل الشروع فى دراسة الفصل الأخير « عرفة » أن نسجل فى إيجاز أبرز النتائج التى أقمنا عشرات الأدلة عليها من واقع رواية « أولاد حارتنا » من المقدمة إلى نهاية الفصل الرابع « قاسم » ، لأن هذه الفصول تمثل وحد واحدة شديدة التماسك ، وتلك النتائج هى :

١ - الجبلاوى فى الرواية هو رمز الأُلوهية ( الله ) ؟!

٢ - الحارة فى الرواية هى الدنيا بأسرها .

٣ - أولاد الحارة هم بنو آدم منذ خلق آدم إلى تاريخ وضع الرواية .

٤ - أدهم وأُميمة وهمام وقدرى هم : آدم وحواء وهابيل وقابيل .

٥ - إدريس هو إبليس أو الشيطان .

٦ - جبل هو موسى ، وآل حمدان وآل جبل هم اليهود قبل موسى وبعده .

٧ - رفاعة هو عيسى ، وعبدة هى مريم وآل رفاعة هم النصارى .

٨ - قاسم هو محمد ، وقمر خديجة ، وصادق أبو بكر ، وبدرية عائشة ، وزكريا أبو طالب ، وإحسان فاطمة ، وحسن علىّ بن أبى طالب ، والجرابيع هم العرب قبل الإسلام ، والمسلمون بعد الإسلام .

٩ - يحيى هو ورقة بن نوفل .

١٠ - أما الموضوع الذى تحدثت عنه الرواية فى الفصول الأربعة التى فرغنا من دراستها فهو :

**« التاريخ الدِّينى النبوى من عهد آدم إلى عصر خاتم الرُّسُل » .**

* * *

# عرفة

يُقْضَى على المرءِ فى أيَّام مِحْنَتهِ      حتَّى يرى حَسَناً مَا لَيْس بالحَسنِ

أبرز الرموز الواردة فى فصل « عرفة » ومعانيها :

| م | الرمز | معناه |
|---|---|---|
| ١ | عرفة | رمز العلم الحديث |
| ٢ | حنش | رمز القوَّة فى العلم الحديث |
| ٣ | قَتْل عرفة الجبلاوى | قضاء العلم الحديث على الدين ؟ |
| ٤ | موت الجبلاوى | انتهاء دور الدين فى الحياة ؟ |
| ٥ | إحياء عرفة « الجبلاوى » | علو سُلْطان العلم الحديث على الدين ؟ |
| ٦ | وصية الجبلاوى لعرفة | استسلام الدين للعلم الحديث ؟ |
| ٧ | السِّحْر | العلم الحديث المذهل |
| ٨ | المكتوب مكتوب | جبرية القضاء والقدر ؟ |
| ٩ | نهاية واحدة هى الموت | إنكار الحياة الآخرة ؟! |
| ١٠ | الحجرة الخلفية | المعامل والمختبرات العلمية |

# عرفة

## توطئة

الدراسة السريعة ، التى قمنا بها للفصول الأربعة : أدهم - جبل - رفاعة - قاسم ، ثم المقدمة التى عنوانها « افتتاحية » ، هذه الدراسة كشفت - فى وضوح مدعوم بالأدلة القاطعة - كشفت لنا عن الكثير من « جُوَّانيات » مؤلف الرواية : الأستاذ نجيب محفوظ ، وقد وقف قارئ الدراسة على نماذج متعددة من تلك « الجوانيات » ، وإذا أردنا التعبير عن تلك « الجوانيات » النجيبية فى عبارة قصيرة « مُلَطَّفَة » ، فإننا نقول :

إن هناك « جَفْوَة » ظاهرة بين مؤلف الرواية وبين الحقيقة الدينية ، سيطرت على وجدان الكاتب وهو يخط بيده المقدمة ، والفصول الثلاثة الأولى التالية للمقدمة ، وهى :

أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، أى : آدم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام، ثم بلغت « الجفوة » مدىً بعيداً فى الفصل الرابع الذى عنوانه : قاسم ، أى: محمد ﷺ .

ونقول « جفوة » فى شىء كبير من « التسامح والملاطفة » ، وإلا فإن الواقع يتجاوز حدود الجفوة إلى عداء صارخ ، وخصومة عنيفة ، وكان ما أبداه الكاتب فى الفصول الأربعة من « جفوة » للحقيقة الدينية ، أو قِيَم الإيمان والدين طريقاً مهدها المؤلف للوصول إلى غايات أسفر عنها الفصل الخامس والأخير من فصول الرواية « أولاد حارتنا » .

وهذا الفصل الأخير « عرفة » تدور وقائعه حول محور واحد هو: الصراع

بين حقائق الإيمان ممثلة فى رسالات الرُّسُل الكبار وبين العلم المادى الحديث ، ممثلاً فى عرفة ، وخليفته حنش .

أما نتيجة الصراع ، فإن المؤلف جعلها فى صالح العلم المادى الحديث ، حيث خرَّ الدين صريعاً بين مخالب ذلك العلم ، وانبهر أولاد الحارة بثمار العلم المادى الحديث وقالوا : لو عاد الجبلاوى من موته ، وخُيِّرنا بينه وبين العلم المادى الحديث لاخترنا العلم دون الجبلاوى ؟!

وكان المؤلف قد مهَّد لهذه النتيجة تمهيدات بارعة الحيلة والخداع طوال الفصل الخامس كله ، وهيأ أذهان القُرَّاء لقبولها ، بل الإيمان العميق بها ، والتعصب الأعمى لها ؟!

وكما أقمنا من قبل عشرات الأدلة على أن الرواية تعرض التاريخ الدينى النبوى فى دهاء وحذر ، فإننا مطالبون - هنا - بإثبات ما فهمناه من وقائع الفصل الخامس « عرفة » ، وهو انهزام الدين أمام العلم المادى الحديث ، وتفضيل أولاد الحارة للعلم المادى الحديث على قِيَمَ الإيمان وأُصول الأديان السماوية ، وأن هذا كله اختيار المؤلف ، واختيار الرجل قطعة منه كما يقول المثل ؟ ولو - على الأقل - وقت كتابة المؤلف هذه الرواية الآثمة منذ ما يقارب أربعين عاماً .

وسوف نثبت صدق ما أشرنا إليه من خلال كلام المؤلف الذى احتواه فصله الخامس « عرفة » ، وسيكون حديثنا موزعاً على المحاور الآتية :

- التعريض بعجز الأديان السماوية عن ريادة الحياة .
- ظهور عرفة ممثل العلم المادى الحديث .
- حشو تمويهى بالصراع بين الطوائف الدينية على السيادة .
- التجربة المذهلة لحركة العلم المادى الحديث .
- احتضان السُّلْطة الحاكمة لثمار العلم المادى الحديث .

- انحياز أولاد الحارة للعلم المادى الحديث .
- قتل عرفة « الجبلاوى » والمعنى المستهدف منه ؟
- موت « الجبلاوى » ومقصود المؤلف منه ؟
- وراثة العلم المادى الحديث للدين وراثة شرعية .
- البواعث والأهداف على تأليف « أولاد حارتنا » .

هذا وبالله التوفيق .

## ● التعريض بعجز الأديان السماوية :

فى بداية فصل « عرفة » عرَّض المؤلف تعريضاً ظاهراً بالرسالات السماوية الثلاث : رسالة موسى ، ورسالة عيسى ، ورسالة محمد ﷺ . قال :

« أما أهل الحارة ، فانقلبوا إلى ما كانوا عليه فى الزمان الأسود ، بلا كرامة ، ولا سيادة ، تنهكهم الفاقة - الفقر - وتتهددهم النبابيت ، وتنهال عليهم الصفعات ، وانتشرت القذارة ، والذباب والقمل ، وكثر المتسولون والمشعوذون وذوو العاهات .

ولم يعد جبل ، ولا رفاعة ، ولا قاسم ، إلا أسماءً وأغانى يُنْشدها شعراء المقاهى المسطولون ، وتباهى كل فريق برجله الذى لم يبق منه شىء ، وتنافسوا فى ذلك إلى حد العراك ؟ [1] .

وبدأت شعارت المساطيل ، فيقول أحدهم وهو داخل إلى الغرزة :

« ما فيها فائدة » يعنى الدنيا لا الغرزة ؟ ويقول آخر : هناك نهاية واحدة

---

(١) جبل ورفاعة وقاسم هم : موسى وعيسى ومحمد . وقد حكم عليهم المؤلف بالإعدام كما ترى ، فلم يعد لأحد منهم أثر نافع فى الحياة ، وقد عرفنا من قبل أن الشعراء فى الرواية رمز للدعاة إلى الدين ، وأن المقاهى هى مراكز الإعلام كالنوادى ودور العلم ودور العبادة ، وهنا يصف المؤلف الدعاة إلى الدين والرواة للمعارف الدينية بأنهم مسطولون ؟!

هى الموت [١] ، فلنمت بيد الله خير من أن نموت بنبوت فتوة ، وأحسن ما نفعل : سُكْرة أو تحشيشة ؟ . . وعندما يشتد الكرب بأحدهم يقول :

« المكتوب مكتوب » لا جبل أجدى ، ولا رفاعة ولا قاسم ؟

حظنا من الدنيا الذباب ، ومن الآخرة التراب » [٢] .

« ومن عجب أن تبقى حارتنا بعد ذلك كله هى الأثيرة بين الحوارى - يعنى المفضلة - يشير إليها الرجل من جيراننا ، ويقول فى إكبار : « حارة الجبلاوى » ؟

ونقبع فى أركانها - أى أركان الحارة - ساهمين واجمين ، كأننا بتنا قانعين بالذكريات العزيزة الماضية - يعنى تاريخ الرُّسُل - أوْ أنَّا نجتر - أى نسترد - الإصغاء إلى هاتف فى أعماقنا يهمس بصوت خافت :

« ليس من المستحيل أن يقع فى الغد ما وقع بالأمس ؟ فتتحقق مرة أُخرى أحلام الرباب ، وتختفى من دنيانا الظلمات » ؟! [٣] .

❋ ❋

● **إدبار ... وإقبال :**

فى هذه الفقرات المنقولة حرفياً من رواية « أولاد حارتنا » ظاهرتان بارزتان :

**أولاهما** : ظاهرة إدبار إلى الخلف بالخطوة السريعة للرسالات السماوية الكبرى الثلاث :

---

(١) الموت ليس هو النهاية إلا عند من لم يؤمن بالحياة الآخرة . فهل معنى هذه العبادة مقصود فعلاً عند المؤلف ؟

(٢) فى هذه العبارة توكيد لمعنى العبارة « نهاية واحدة هى الموت » ، ونعيد التساؤل مرة أُخرى : هل يريد المؤلف أن أولاد الحارة كفروا بالبعث الذى قررته الرسالات الكبرى الثلاث ، كأثر من أثار فشل تلك الرسالات ، وأنهم أصبحوا دَهْريين يقولون كما قال الكفار من قبلهم : « وما نحن بمبعوثين » ؟

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٤٤٨ وما بعدها .

رسالة موسى ، ورسالة عيسى ، ورسالة محمد ﷺ .

« فلا جبل أجدى ، ولا رفاعة ولا قاسم » ، هكذا قال مؤلف الرواية .

وقال : إنهم لم يبق منهم شىء إلا أسماء يرددها المسطولون من شعراء المقاهى .

والمعنى الرمزى لهذا الكلام : يرددها الدعاة إلى الدين فى مراكز تجمُّع الناس : دار عبادة ، أو دار علم ، أو ندوة . . . إلخ ، وهؤلاء الدعاة عند المؤلف مسطولون ، أو مخدَّرون كما قال « ماركس » من قبل : الدين أفيون الشعوب ؟!

وهذا حكم صريح أو كالصريح من المؤلف على الرسالات السماوية بأنها فشلت ، ولم تعد صالحة للتداول والعمل ؟!

ومن آثار فشلها أن « أولاد الحارة » كفروا بالبعث والحياة الآخرة ؟! فرأوا الموت هو النهاية ؟ ورأوا الآخرة كومة من التراب فوق حفرة هى بيت الخلود ؟!

إلى هذا الحد فشلت الأديان ، وتنكَّر لها أولاد الحارة أو أهل الدنيا جميعاً كما عرفنا من قبل .

هذه هى **الظاهرة الأُولى** : ظاهرة إدبار الرسالات السماوية إلى الوراء السحيق .

● أما **الظاهرة الثانية** فهى ظاهرة الإقبال الذى يبشر به مؤلف « أولاد حارتنا » هى إقبال أو قدوم ميمون للعلم المادى الحديث :

فبعد أن أنكر مؤلف الرواية على أولاد حارته رضاهم بالذكريات الماضية ، ويعنى بهذه الذكريات ما تركه الرُّسُل الثلاثة الكبار من بعدهم ، من الوحى الأمين ، ووصايا الرسل أنفسهم ، أو وقائع التاريخ الدينى النبوى ؟

بعد أن أنكر عليهم المؤلف هذا الرضا ، راح يومئ إلى فجر جديد فقال :

« ليس من المستحيل أن يقع فى الغد ما وقع بالأمس » ؟!

والذى سيقع فى الغد ليس رسالة سماوية جديدة ، فقد ثبت فشل هذه الرسالات عند المؤلف ؟!

وإنما هو شيء مغاير تماماً لما كان فى الماضى : إنه العلم المادى الحديث ، والفلسفة العقلانية المنبثقة من العلم المادى الحديث ، ويمكن إجمال ما تحمله الرموز فى الفقرات السابقة فيما يأتى :

أولاً : أن الرسالات السماوية بطل مفعولها وخذلها الواقع ، فلا جبل أجدى ولا رفاعة ولا قاسم ، فقد صاروا جميعاً مجرد أسماء ، أو أوهاماً يرددها من لا عقل له ولا تمييز ؟

ثانياً : أن الناس أصابهم اليأس - بعد فشل الرُّسُل - واستسلموا لسيف القضاء والقدر : « المكتوب مكتوب » (١) ، وأنهم صاروا يرون السعادة فى « سكْرة » فى حانة ، أو « تحشيشة » فى غرزة ؟!

ثالثاً : أن اليأس ولَّد عندهم الإحساس بالحرمان ، فهم فى الدنيا تُعَساءُ ، وليس لهم فى الآخرة إلا النوم السرمدى تحت التراب ؟

رابعاً : أن المؤلف يلوم أولاد الحارة - أهل الدنيا - على رضاهم بترديد الذكريات الماضية - التاريخ الدِّينى النبوى - دون أن يفكروا فى أمرٍ جديد ؟

خامساً : أن فشل الرُّسُل فى تحقيق السعادة للبَشر ولَّد فى النفوس الإحساس بهاتف يهتف فى أعماق البَشر ، ولكن بصوت خافت ويبشرهم ببديل عن ذكريات الماضى :

« ليس من المستحيل أن يقع فى الغد ما وقع بالأمس . . . » .

---

(١) يبدو واضحاً من هذه العبارة أن الأُستاذ نجيب محفوظ مؤلف الرواية ودارس الفلسفة كان - وهو يخط الرواية - ممن يؤمن بأن فى عقيدة القضاء والقدر إهداراً للحريات الشخصية ، ومسلباً لإرادة الإنسان ، متأثراً ببعض كُتَّاب الغرب فى هذا الفهم القاصر ، وله فى الرواية لمزات أُخرى فى القضاء والقدر .

ومعنى هذا أن رواية « أولاد حارتنا » تدعو البَشر إلى طرح الماضى القديم البالى ، ليستقبلوا « فجراً جديداً » يكون رسوله فى هذه المرة « عرفة » وخليفته « حنش » ممثلاً العلم المادى الوضعى الحديث ؟!

كان هذا المدخل ضرورياً فى « جُوَّانيات » الأُستاذ نجيب محفوظ ليمهد لمولد الفجر الجديد ، بظهور عرفة ونائبه حنش فى الحارة التى خيم فى آفاقها الظلام ، وامتلأت بالمتسولين والمشعوذين والمساطيل ؟!

❊ ❊

### ● ظهور عرفة رمز العلم الحديث :

مهَّد مؤلف الرواية لهذا « الفجر الجديد » بما قدَّمْنا من إشاراته إلى فشل الرُّسُل الكبار فى ريادة الحياة ، وموت رسالاتهم إلى الأبد .

وعرفة ، وخليفته حنش - رمزان فى « جُوَّانيَّات المؤلف » لمعنيين فيما فهمنا:

**المعنى الأول** : يرمز المؤلف بـ « عرفة » للمعارف الحسية التى تتولد عن دراسة المادة عن طريق التحليل المعملى والملاحظة والمشاهدة - التجارب - ثم استنتاج القوانين بعد التأكد من صحتها بتكرار « التجارب » ، والمعارف الحسية هى ما كان طريقها واحدة من الحواس الخمس :

الإبصار ، السمع ، التذوق ، الشم ، اللمس . فهذه الحواس عند الوضعيين هى مصدر المعارف ، وما لا يدرك عن طريقها فليس له - عند الوضعيين - وجود إلا فى الوهم ، وإذا كان « عرفة » هو ممثل هذا الاتجاه العلمى الوضعى ، فليس ببعيد أن يكون المؤلف رمز به إلى العالِم الفرنسى « أوجست كونت » خلال القرن التاسع عشر الميلادى (١٧٩٨ - ١٨٥٧) ، وهو رائد الوضعية الحديثة فى أوروبا ، وكان من نتائج وضعيته :

● حصر طرق اكتساب المعرفة فى الحواس الخمس .

● رفض المعرفة الدينية رفضاً قاطعاً [1] .

**أما المعنى الثانى** : فإنه رمز بـ « حنش » إلى قوة العلم المادى الحديث بما اكتشفه من دقائق وأسرار المادة ، والمخترعات المصنوعة منها ، ومنها أسلحة الدمار التى قدَّمت الرواية نموذجاً منها من صُنْع عرفة وحنش كما سيأتى .

قال المؤلف فى التبشير بظهور عرفة وحنش :

« فى يوم من الأيام - قبل العصر - رأت الحارة فتى غريباً قادماً من الخلاء ، يتبعه آخر كالقزم - أى حنش - وكان أسمر اللون ، حاد البصر ، بادية فى محجريه نظرة قلقة نافذة ، وفى حركاته ثقة واعتداد ، وقف قليلاً أمام البيت الكبير ، ثم تقدم على مهل يتبعه صاحبه » [2] .

هكذا يقدم المؤلف « عرفة » لقُرَّاء روايته : فتى يتمتع بصفات النجابة والذكاء ، ثم الثقة فى النفس والاعتداد بها ، ربما لأن « صناعته » تفوق صناعة أهل الزمن الماضى - الرُّسُل - وهذا المعنى سيصرح به المؤلف فيما يأتى ؟!

ومن قبل ، وفى السطور الأُولى من مقدمة الرواية « افتتاحية » وصف المؤلف « عرفة » هذا فقال :

« عرفة ابن حارتنا البار » [3] .

وهذه العبارة تفيد حصر البر فى « عرفة » وحده من دون أولاد الحارة - الدنيا - جميعاً .

فلم يحظ بهذا الوصف بكل إخلاص إلا « عرفة » ، لم يحظ به أدهم - آدم - ولا جبل - موسى - ولا رفاعة - عيسى - ولا قاسم - محمد - ، ولا حتى « الجبلاوى » نفسه رمز الأُلوهية ( الله ) فى الرواية ؟!

---

(١) راجع إن شئت كتيب : العلمانية وموقفها من العقيدة والشريعة : مكتبة النور بروكسى - القاهرة .

(٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٤٩

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٧

أليس هذا امتداداً للجفوة التى أشرنا إليها من قبل بين مؤلف الرواية ، وبين المعارف الدينية ، حتى التى لم يمسها تحريف ولا تبديل ؟!

ألم يكن هذا انحيازاً كاملاً إلى أحد طرفى الصراع وإعراضاً كاملاً عن الطرف الآخر ؟

إن المؤلف يُنَظِّر فى هذا الفصل بين المعرفة الدينية ممثلة فى الرُّسُل الكبار ، وبين المعرفة الحسية الوضعية ممثلة فى عرفة وصاحبه وانحيازه لعرفة ، وإقباله نحوه إعراض - لا محالة - عن المعرفة الدينية وإدبار عنها ، والضد يظهر حسنه أو قبحه ضده ، وإن كان ذلك فى خيال الكُتَّاب والأُدباء الوضعيين وحدهم .

والاتجاه الذى يناصره المؤلف ، له جذور تاريخية موغلة فى القدم ومنشؤه قِصَرٌ فى النظر ، وقصور فى العقل ، وخلل فى الفهم .

ورواده - كما قال بعض علماء الغرب : « يحصرون وسائل المعارف فى مضايق الأرض ، ويُعْرِضون عن رحابة السماء » - يعنى وحى الله الحكيم الخبير إلى رُسُله المعصومين من الخطأ فى التبليغ ، وهذا القول هو الصواب بعينه :

فقد ظهرت بواكير هذا المذهب الوضعى قبل الميلاد ، إذ ذهب الفيلسوف الإغريقى « بروتا جوراس » (١٤٨٠ ق - ١٤١٠ ق ) إلى القول بأن مصدر المعرفة الحقيقى هو الحواس الخمس ، وأما ما لا يقع تحت دائرة الحواس فهو وَهْم وليس له وجود خارج الذهن ؟

وفى الهند وجد مذهب يقال له مذهب « السُّمْنية » خلال القرن الثامن الميلادى كان يرى مثل ما رأى « بروتا جوراس » ، وجرت بينهم وبين جهم ابن صفوان مناظرة فى الإيمان بالله ، فأفحمهم جَهْم فيما يرويه الإمام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه .

ثم انتقلت جرثومة هذا المذهب إلى أوروبا على يدى « ڤلوتير» و« چان چاك روسو » ، ثم تبناه « أوجست كونت » رائد الفلسفة الوضعية كما أشرنا من قبل ، وترتب على هذا كله رفض الإيمان بما وراء الطبيعة ، وفى مقدمتها الإيمان بالله ؟

هذا هو المذهب الذى يناصره الأُستاذ نجيب محفوظ ، ويوظّف الفصل الخامس كله لقبوله والإيمان به ؟!

وليس من المقبول أن يقال : أن هذه الحقائق كانت غائبة عن المؤلف حين خط روايته ، لأن الرجل دارس للفلسفة ، والفلسفة من أبرز أُصولها فى البحث دراسة ما وراء الطبيعة للإيمان أو لرفضه ، والرجل - فيما عرفناه - واسع الاطلاع ، ملم بحضارة العصر ، وما قبل العصر ؟!

* *

## ● ساحر لا عالِم :

قدَّمت الرواية « عرفة » لقُرَّائها فى زىٍّ ساحر لا عالِم ، مع أن نشاطه - كما سيأتى - نشاط علمى بحت ، فما السر - إذن - فى هذا الوصف ؟ فكَّرتُ فهُدِيت إلى باعثين للمؤلف على إيثار وصف الساحر على العالِم :

أحدهما : أن هذا الوصف يتسق تماماً مع الأُسلوب الرمزى الذى حشا به المؤلف الرواية من أولها إلى آخرها .

والثانى : أن هذا الوصف قائم على تشبيه مُضمر فى النفس ، عقد فيه المؤلف علاقة حميمة بين العلم والسحر ، ووجه الشبه هو الإعجاب والدهشة فى كل منهما .

فكما أن المشبه به - السحر - معجب ومدهش لمن يُشاهده ، فإن المشبه - العلم - حائز لإعجاب ودهشة من يرى آثاره المذهلة ، فهو ليس علماً تقليدياً يقوم على الحكاية والحفظ والرواية ، وإنما هو علم عملى اختراعى نشط :

تراه فى سيارة تطوى الأرض طياً ، أو قبس من نور يتولد عن إدارة زرار صغير فيبدد حجب الظلام ، أو تراه فى طائرة تحمل أثقالاً من البَشر والأمتعة تسبح فى طبقات الجو بلا حوامل تعتمد عليها . . . إلخ إلخ .

ذلك هو الرابط بين العلم الذى سيأتى به عرفة ، وبين السحر الذى وصف به المؤلف العلم .

فالسحر فى الرواية هو العلم الحديث ، والساحر هو العالِم كيميائياً كان أو فيزيائياً ، أو چيولوچياً ، أو . . أو .

وليست هذه دعوى عارية من الدليل ، بل لها أكثر من دليل من رموز المؤلف العمياء الباصرة ، فخذ إليك - مثلاً - هذا الدليل .

* *

## ● أين نشأ العلم الحديث ؟

معلوم علم اليقين أن موطن نشأة العلوم المادية الحديثة هو الغرب النصرانى المسيحى ، إنه - بلا جدال - وليد النهضة الأوروبية الحديثة ، هذا حق ، وإن كانت أوروبا قد أخذت أصوله النظرية ، وبعضاً من تطبيقاته الأولية عن العلماء العرب والمسلمين ، وهذا حق كذلك [١] .

ومعلوم أن دول أوروبا تعتنق النصرانية مع الاختلاف فى مذاهبها المعروفة ، وبعد هذا التمهيد تعال ننظر فى عبارة قالها « حنش » لـ « عرفة » ، وهما يتبادلان الحديث :

قال حنش لعرفة بالحرف الواحد :

« ربعنا رفاعى ، كل سكانه رفاعية ، أى رجال رفاعة ، رفاعة الذى تؤكد الرباب كل مساء أنه عاش ومات فى سبيل الحب والسعادة » [٢] .

---

(١) انظر - إن شئت - كتاب « المنهج العلمى فى القرآن » دار المعارف - للمستشار عبد الحليم الجندى ، وكتاب « أثر الإسلام فى حضارة أوروبا » دار المعارف للأستاذ عباس العقاد .

(٢) أولاد حارتنا ص ٤٥٦

أنت تعرف - عزيزى القارئ - أن رفاعة فى الرواية رمز لعيسى عليه السلام ، وأن الرفاعية أو الرفاعيين رمز للنصارى أو المسيحيين ، فانظر فى عبارة « حنش » السابقة تدرك أنه يتحدث عن موطن نشأة العلم الحديث وهو أوروبا المسيحية . أوروبا لم تكن موطناً لنشأة السحر ، فالسحر قديم ، وإنما هى موطن العلم الحديث فى كل مجالاته وأُصوله وفروعه ، أفليس فى عبارة « حنش » هذه الرمزية دليل على أن السحر فى الرواية هو العلم الحديث ، ودليل على أن « عرفة وحنش » يمثلان - رمزياً - عالمين وليسا ساحرين ؟

**ودليل آخر :**

وفى نفس الحديث الذى دار بين عرفة وحنش - حسب خيال المؤلف - عبارة أُخرى قالها حنش لعرفة دليل آخر على أن السحر فى الرواية هو العلم ، وأن « عرفة وحنش » عالمان لا ساحران .

فقد قال حنش لعرفة :

« حسبك أنك الوحيد فى هذه الحارة الذى يتعامل معه الجميع من جبلية ، ورفاعية ، وقاسمية ، فقال عرفة : لعنة الله على الجميع » ؟! أى على اليهود والنصارى والجرابيع أو المسلمين » ؟ (١) .

هذه العبارة - بدورها - دليل ثان على أن السحر فى الرواية هو العلم الحديث ، وأن « عرفة وحنش » عالمان لا ساحران .

ووجه الاستدلال بالعبارة أن « حنش » نعت « عرفة » بأن الجميع يتعاملون معه :

جبليون ، ورفاعيون ، وقاسميون ، أى : يهود ونصارى وجرابيع أو مسلمون ؟!

وهذا طابع العلم الوضعى الحديث ، وتعامل الجميع مع عرفة يُحْمل على أحد معنيين ، أو عليهما معاً :

---

(١) أولاد حارتنا : ٤٥٦ - ٤٥٧

**المعنى الأول** : أن يكون مراد المؤلف أن جميع الناس أو الطوائف تستفيد من ثمار العلم الحديث فى مرافق الحياة ، فيدخل التليفزيون والثلاجة والبوتاجاز ، والإنارة الكهربية جميع البيوت والمصانع والمتاجر ، لا فرق بين دين هذا ، ولا مِلَّة ذاك .

وهذا المعنى ألصق من الآخر بمراد أو « جُوَّانيات » الأستاذ نجيب محفوظ .

**أما المعنى الثانى** : فقد يكون مراد المؤلف أن قوانين العلم المادى الحديث لا وطن لها ، فهى فى كل البيئات واحدة ، فمثلاً قاعدة سيولة الماء فى درجة الحرارة العادية ، وتجمده ثلجاً إذا انخفضت درجة الحرارة إلى مقدار معلوم ، وصيرورته بخاراً تحت درجة الحرارة المرتفعة إلى حد معين ، هذه القاعدة مطردة فى كل زمان ومكان ، وعند جميع الطوائف الدينية ، بل وعند الملحدين .

وهذا بخلاف المعارف الدينية ، إذ لكل طائفة معارفها الخاصة بها ، وبخلاف الفن والأدب والثقافة ، فهى تختلف من بيئة إلى بيئة ، وإن اشتركت فى بعض العناصر .

أجل : قد يكون المعنى الأول هو المقصود عند المؤلف من هذا الرمز :

« الجميع يتعامل معه » .

وقد يكون المعنى الثانى هو المراد ، وكلا المرادين صحيح .

وقد يكون المراد كلا المعنيين معاً ، وأياً كان المراد هذا أو ذاك ، أو ذاك وهذا معاً ، فإن استدلالنا بهذه العبارة ( الذكية ) على أن السحر فى الرواية هو العلم الحديث ، وأن « عرفة وحنش » عالمان لا ساحران ، استدلال صحيح لا يتطرق إليه أدْنى شك .

* *

## • عليهم اللعنة جميعاً :

هذه العبارة قالها المؤلف الأستاذ نجيب محفوظ على لسان عرفة رداً على قول حنش له :

« حسبك أنك الوحيد فى هذه الحارة الذى يتعامل معه الجميع من جبلية ، ورفاعية وقاسمية » ، ولكن رد عرفة لم يقتصر على هذه العبارة التى جعلناها عنواناً ، بل كان له رد أطول نذكره هنا ، ثم نحاول فَهْمَ « جُوَّانيات » المؤلف من الرمز به .

قال عرفة ، أو قال المؤلف مُحْتمياً بعرفة :

« عليهم اللعنة جميعاً ، كل واحد منهم يفاخر برجُله [1] ، بغباء وعمى ؟! يفاخرون برجال لم يبق منهم إلا أسماؤهم [2] ، ولا يحاولون قط أن يجاوزوا الفخر الكاذب بخطوة واحدة ؟ أولاد كلب جبناء » [3] ، هكذا قال المؤلف ورب الكعبة ؟!

فما هو مراد المؤلف من هذه العبارات الوقحة يا ترى ؟ تعال نبحث معاً عن المراد :

## • عداء مفتَعَل بين الدين والعلم :

شاع بين فئة من العلماء الوضعيين أن خصومة حادة تحكم العلاقة بين الدين والعلم الحديث ، وأن الدين يرى ما لا يُسَلِّم به العلم ، وقد يرى العلم - وقد هنا للتكثير لا التقليل - ما لا يرى الدين . فالعلم الوضعى المادى عند مَنْ يجعله الطريق الوحيد لكسب المعرفة يرفض رفضاً باتاً الإيمان بما هو خارج

---

(١) أى اليهود يفاخرون بموسى ، والنصارى يفاخرون بعيسى ، والجرابيع أو المسلمون يفاخرون بمحمد ﷺ .

(٢) يقصد أن ما جاء به هؤلاء الرُّسُل الكرام بطل مفعوله وخذله الواقع ؟!

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٤٥٧

دائرة الحواس ، ولا يخضع للتجربة والمشاهدة كما أشرنا من قبل ، وإذا وُجِد من يؤمن بالله من هؤلاء الحسيين ، فإنه يقول : إن الإيمان بالله وجميع حقائق الإيمان الأُخرى ، يظل خارج نطاق العلم ، أى لا دليل عليه من العلم ؛ لأن العلم الحسى الوضعى يُنكر وجود أى شىء لا يُدرك بإحدى الحواس ؟!

وقد قرأت لأحدهم عبارة مؤداها : أن العلم الحسى الوضعى لا يثبت وجود الله ولا ينفيه ؟! أى الإيمان بالله مسألة حيادية فى نظر العلم ؟!

إذا وضح هذا فإننا نرجِّح أن مراد المؤلف من سوق العبارة الوقحة التى أسندها إلى « عرفة » تشير إلى هذا العداء المفتَعَل بين الدين والعلم .

وعرفة رمز العلم الحديث قد جسَّم هذه الخصومة فى العبارة التى أسندها المؤلف إليه ؟!

ولا عجب فإن « عرفة » هذا قد سار فى الطريق إلى نهايته فى عدائه للدين إلى درجة أنه قتل « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) فى الرواية كما سيأتى إن شاء الله الحى الذى لا يموت .

❋ ❋

● **عداء وهمى :**

إن الذين يتصورون عداء مًّا بين الدين والعلم جدَّ واهمون ، وتصور هذا العداء ناشئ عن جهل لحقيقة العلم ووظيفته ، أو ناشئ عن الجهل بالدِّين وحكمته ، أو الأمرين معاً .

ثم إن الذين يتصورون عداء مًّا بين الدين والعلم يُلغون عقولهم ، ويُجَهِّلون العلم نفسه ، فحقائق العلوم طريق عظيم للإيمان بالله وبما جاءت به رُسُله ، وقد قرَّر هذه الحقيقة القرآن الحكيم ، حيث جاء فيه :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) ، وليس لفظ العلماء هنا

---

(١) فاطر : ٢٨

مقصوراً على علماء الدين ، بل يتناول بطريق أَوْلى علماء الفلك والكيمياء والطبيعة والنبات والجيولوجيا ، والطب والذرة والبحار ، وسائر فروع العلم العملى ؛ لأن أسرار المادة التى يتوفرون على درسها وتحليلها ومعرفة قوانينها تقودهم على هدىً وبصيرة إلى رؤية ( الله ) بآثاره العظيمة فى الكون وفى النفس وفى الآفاق .

وحسبنا أن نشير - هنا - إلى عملين جليلين يتعانق فيهما العلم والدين فى أُلفة وانسجام :

**أولهما** : كتاب « العلم يدعو للإيمان » للعالم الأمريكى كريسى موريسون، نقله إلى العربية الأُستاذ محمود صالح الفلكى. وقد برهن فيه المؤلف على دعوة العلم الحديث للإيمان بالله من خلال سبعة عشر بحثاً فى العلوم الحديثة منها :

الهواء ، والمحيط - الغازات التى نتنفسها - النتروجين : تنظيم مزدوج - غرائز الحيوانات . . إلخ .

**والعمل الثانى** : كتاب « الله ينجلى فى عصر العلم » تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض ، ونقله إلى العربية الدكتور الدمرداش عبد الحميد سرحان ، الأُستاذ بتربية عيش شمس ، والعلماء الذين أَلَّفوا هذا الكتاب متخصصون فى شتى فروع العلم الحديث . وقد أثبت كل واحد منهم من خلال تخصصه أن الله كامن وراء كل ذرة من ذرات الكون ، ويكفى أن يقرأ كل منا الموضوع الأول الذى صُدِّرت به موضوعات الكتاب ، وهو : نشأة العالَم ، هل هو مصادفة أو قصد ؟ لكاتبه الدكتور « فرانك ألن » عالم الطبيعة البيولوجية ، فيرى عجائب قدرة الله وحكمته ، ويمتلئُ قلبه اطمئناناً ويقيناً ، ويكاد يرى الخالق العظيم وراء كل حركة وسكنة فى الكون .

وقد فنَّد هؤلاء العلماء شُبهات مرضى العقول الذين يقولون : إن دقة قوانين المادة كفيلة بأن تفسر لنا أسرار الحياة دون حاجة إلى الإيمان بالله ؟!

وعلى هذا الأساس الواهى أقامت العلمانية الجاهلة عشها المنهار وسقطت أكبر دولة تبنت هذا الاتجاه « الاتحاد السوفيتى » بعد سبعين عاماً من القهر والجهل ؛ لأنها قامت على غير أساس ، ثم هوت إلى أسفل سافلين .

ومعذرة ، فقد آثرنا الاستطراد هنا لنبين أن الاتجاه الذى ناصرته « أولاد حارتنا » محكوم عليه بالاندثار ، ونرجو أن يكون مؤلفها قد بان له عوج مذهبه فيها ، ورجع عنه ولو سراً بينه وبين الحى الذى لا يموت .

* *

● **المغالاة فى قيمة العلم الحديث :**

بعد الذى أشرنا إليه آنفاً ، دلف المؤلف إلى المغالاة فى قيمة العلم الحديث .

يروى المؤلف أن حديثاً دار بين « عرفة » وزوجته « عواطف » :

بدأ الحديث عرفة فقال لعواطف ساخراً من الجبلاوى رمز الأُلوهية ( الله ) فى الرواية :

« لم أسمع عن مُعمِّر عاش طول هذا العمر » ؟!

فقالت عواطف :

« يقال : إنه يوجد رجل جاوز المائة والخمسين من العمر ، ربك على كل شىء قدير » .

فقال عرفة : « كذلك السحر ، قادر على كل شىء » ؟! (١) .

واضح أن عرفة هنا يغالى فى قيمة العلم الحديث فيجعله - بكل صراحة - نداً لله ، فإذا كان الله على كل شىء قديراً ، كما قالت زوجته عواطف ، فإن عرفة يسارع فيقول لها :

---

(١) أولاد حارتنا ص ٤٨٢

« كذلك السحر قادر على كل شىء » .

والواقع أن مساواة العلم الحديث لله فى القدرة على كل شىء إنما هى مرحلة دنيا عند عرفة ، سوف يتجاوزها حالاً فيرفع العلم الحديث فوق قدرة الله وسعة سُلْطانه تعالى الله عما يقول علواً كبيراً .

❊ ❊

## ● تَبَرُّؤٌ من الجبلاوى وتَفَوُّق عليه ؟!

ثم يخلع عرفة ثوب التواضع ويشمخ بأنفه فيتبرأ من الجبلاوى ويرفع قيمة العلم الحسى والوضعى فوق قدره الجبلاوى فيقول :

« ما أنا فُتوة ، ولا رجل من رجال الجبلاوى ؟! ولكنى أملك الأعاجيب .. ومنها قوة لم يَحُزْ عُشْرها جبل ورفاعة وقاسم مجتمعين » (١) .

ها هو ذا جاوز مرحلة التساوى إلى مرحلة التفوق ، فالانتساب إلى الجبلاوى ( الله ) عار فى نظر عرفة ، أو نظر مؤلف الرواية ، وهو الصحيح ؟ وإذا كان « عرفة » رمز العلم الحديث يملك الأعاجيب ( هكذا ) ، ويملك قوة لم يمتلكها رجال الجبلاوى الثلاثة : موسى وعيسى ومحمد ﷺ ، فإن الجبلاوى نفسه لم يمتلك عشر تلك القوة ، إذ لو كان يمتلكها لمنحها لرجاله الثلاثة ، حتى لا يتركهم للهزيمة النكراء أمام سحر عرفة أو العلم الحسى المادى وهو الصحيح ؟!

أرأيت إلى أى حد يغالى المؤلف فى قيمة العلم الحديث ، ويحط من قيمة الدين ؟!

❊ ❊

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٤٧٢ ، من المُسَلَّم به أن المؤلف هو قائل كل كلمة فى روايته ، سواء أسندها إلى غيره أو نسبها إلى نفسه ، وهذا هو مكمن الخطر !

## ● العلم الحديث هو الإيمان :

يخطو بنا مؤلف « أولاد حارتنا » خطوات سريعة تجاه النهاية التى يضع العلم الحديث فيها مكان الثريا ، فيروى عبارة قالها عرفة لحنش وعواطف ، وكأنه عاتب عليهما ، ولائم لهما على بعض المواقف . يقول المؤلف على لسان عرفة يخاطب حنشاً وعواطف :

« ما شاء الله ، كأننى أنا الطامع ، وأنتما الزاهدان ؟ أنا الإيمان الذى أصبحتما به تؤمنان » (١) .

إن المؤلف يرشح العلم الحديث - هنا ليحل محل الإيمان بالله ؟!

وإنما خص بهذا الخطاب كلا من حنش وعواطف ؛ لأنهما هما الوحيدان - حتى الآن - اللذان يعرفان صنعة عرفة العلمية الساحرة ؟

وهكذا ينتقل بنا المؤلف من مرحلة دنيا إلى مرحلة عُلْيا ، يضع فيها العلم الحديث :

● نقلنا من مرحلة المساواة بين العلم والله إلى مرحلة التفوق عليه ؟!

● ثم ينقلنا هنا إلى مرحلةٍ يكون العلم الحديث فيها وارثاً للإيمان بعد انهزامه ، ثم يحل محله بعد انعدامه ؟!

فهل نحن مصيبون فيما نقول ؟ أم متجنون على المؤلف ؟ وكيف نكون متجنين ونحن نستخرج هذه النتائج من أقواله ؟

* *

## ● حشو تمويهى من الصراع بين الطوائف :

توقف المؤلف قليلاً عن الصعود بعرفة إلى حيث أراد له ، وفى أثناء هذا التوقف شغل ذهن القارئ عن متابعة تصعيد عرفة أو العلم الحديث ، شغله بتصوير صراع نشب فى الحارة بين الطوائف الثلاث :

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٥١٤

الجبلية والرفاعية والقاسمية ، وسبب هذا الصراع الذى دوَّى فى الحارة كالقنبلة ، تنافس كل الطوائف على منصب فتوة الحارة ممن يكون ؟

فأخذت كل طائفة تذكر مناقبها ومؤهلاتها لتكون هى الفائزة بالمنصب ، كما يتنافس الآن المرشحون لشغل المقاعد فى المجالس النيابية والتشريعية .

ولكن الصراع سرعان ما تحول إلى استخدام « النبابيت » ، فلا تعرف الضارب من المضروب ، ولا المنتصر من المغلوب ، ثم يتغلب صوت العقل ، فيجرون انتخاباً بين مرشحى الطوائف الثلاث ، ثم يعودون للصراع مرة أُخرى ويكون الرفاعيون آخر المنتصرين فتعلو الزغاريد فى حيهم .

ولكن « الناظر » يعلن إلغاء منصب الفتوة ، فيبدد على الرفاعيين فرحتهم ، ويظهر آل جبل وآل قاسم الشماتة بالرفاعيين ، ولكن الرفاعيين يعارضون قرار الناظر القاضى بإلغاء المنصب ، فيشن عليهم الناظر حملة شعواء ويهزمهم شر هزيمة (١) .

هذا الحشو ما أتى به المؤلف - فيما نرى - إلا للتمويه على القُرَّاء ، وصرف أنظارهم عن حقيقة الموضوع الذى تبنته الرواية فى هذا الفصل نفسه :

وهو حتمية انتصار العلم الحديث على رسالات السماء التى حان لشمسها أن تغيب ، إن كان لها فى الرواية شمس ؟!

* *

● **التجربة المذهلة :**

كان عرفة يعمل فى الخفاء ، ويُجرى تجاربه سراً فى الخلاء حتى لا يعرف حقيقته أحد ، اللَّهُمَّ إلا « حنش رفيقه ، وعواطف زوجته » .

وفى ليلة طارده أولاد الحارة عقب جريمة ارتكبها هو ضد أحد الفتوات ،

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٥١٦ - ٥٢٠ ملخصاً .

ولما كادوا يمسكون به أخرج من جيبه زجاجة ، مملوءة بالمواد الحارقة ، الشديدة الانفجار ، كان قد صنعها بيده ، ثم قذف بها نحو مطارديه ، فأنزلت بهم إصابات خطيرة ، ودوّى الانفجار بقوة فيبدد سكون الحارة ، وأفزع أولادها ، وفتَّ في عضد « السُلْطة الحاكمة » ، وأصبح الانفجار حديث الساعة في كل نادٍ ومنزل ومقهى وغرزة .

وقضى هذا السلاح « العلمي الحديث » على نبابيت الفتوات وأبطل مفاعيلها ، فأقبل عهد ، وولى عهد ، ودخلت الحارة في فجر جديد ، وصحا الناس من غفلتهم ، وتوقفوا عن سرد الحكايات القديمة عن أدهم وجبل ورفاعة وقاسم ، وحتى الجبلاوى نفسه ؟! (١) .

هكذا يصور مؤلف الرواية بداية ظهور العلم الحديث أن من أبرز نتائجه التى أشار إليها المؤلف صرف أولاد الحارة عن الدين ، فلم يعودوا يذكرون الجبلاوى ولا أحداً من رجاله الذين صنعوا التاريخ الدينى النبوى ، فقد غابت شمسهم تحت ضباب كثيف من أبخرة الانفجار المذهل ، ووجه العلم الحديث أولى طعناته فى صدر الدين والمتدينين على السواء ؟!

ولكأنى بمؤلف الرواية يردد على لسان عرفة هنا قول المتنبى :

وَدَعْ كل صـــوت غير صـــوتى فإنما أنا الصائح المحْكىُّ والآخر الصدى ؟!

إن فى هذا التهويل لتمهيداً لتمكين السيادة للعلم الحديث فى الإدارة والتوجيه ، بل وفى صُنْع عقيدة للناس لا تقر ولا تؤمن إلا بما وقع تحت دائرة الحواس ، وهذا منحى قد نحاه قوم من قبل ، واعتنقته الثورة الفرنسية ، فوضعت الدين فوق « الرف » ، واكتفت بمجرد النظر إليه على أنه « تحفة » من مخلفات التاريخ القديم ، وكان الثوار ينادون قائلين فى ثورتهم على الإقطاع والدين معاً :

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٥٠٣ - ٥٠٥ ملخصاً .

« اشنقوا آخر ملك ، بأمعاء آخر قسيس » ؟!

وإذا كان للثوار عذر حينذاك فى غضبهم على رجال دينهم ، لكثرة الجرائم التى ارتكبوها ، وسوء السيرة التى ساروها ، وظلام الجهل الذى سيطر على كل تصرفاتهم ، فليس لمؤلف « أولاد حارتنا » المسلم من عُذر حين يعادى الإسلام وهو برئ ناصع البياض ، ويأخذه بذنب الآثم ، ويخطو خطوات واسعة فى طريق العلمانية الجاهلة .

لقد أخطأ العلمانيون مرتين :

● مرة حين حصروا وسائل المعرفة فى العلم المادى الحسى ونفوا ما سواه ، فكفروا بما وراء الطبيعة ، أو كفروا بحقائق الإيمان جملة وتفصيلاً .

● ومرة حين قالوا : إن قوانين العلم المادى الحسى كفيلة بتفسير أسرار الحياة وتدبير أمرها ، فكفروا بالله خالقاً ، وكفروا بالله مُدبِّراً للكون ومن فيه ، وما فيه ؟!

وللأسف الشديد فإن رواية « أولاد حارتنا » من أولها إلى آخرها تلف وتدور حول هذه التصورات الموغلة فى البطلان عقلاً ونقلاً ، وسوف تنتصر فى النهاية - كما سنرى - للاتجاه العلمانى الجاهل ، على وحى الله ودينه وعلى رُسُله الكرام البررة ؟!

فهل - يا ترى - ما يزال أديب مصر والعروبة الأستاذ نجيب محفوظ ، مؤمناً بمضمون أولاد الحارة ؟ أم أن « السنون » الطويلة التى مرَّتْ على كتابة تلك الرواية الآثمة ، قد غيَّرتْ من اتجاهه القديم ، وبدَّلت من نظراته المتشائمة إلى الدين ، فلم يَعُد المسلمون « جرابيع » ولا محمد ﷺ تلميذاً لورقة ، ولا بياع بطاطة يبح صوته من النداء : بطاطة العمدة - بطاطة الفرن ؟!

نأمل - رحمة بالشيخ - أن يكون التغيير قد حدث ، وإ لم يكن فما زالت الفرصة سانحة ، والله يبسط يديه بالنهار ، ليتوب مسئ الليل ، ويبسط يديه

بالليل ليتوب مسئ النهار ، ما دام لم « يُغَرْغِر » أوْ لم « تطلع الشمس من مغربها » .

❋ ❋

## ● احتضان السُّلْطة الحاكمة لحركة العلم الحديث :

كان من أثار التجربة المذهلة لتجارب العلم الحديث ، التى قام بها « عرفة » رمزه فى الرواية ورائده الأول ، كان لتلك التجربة - كما تصور الرواية - ردود فعل بعيدة المدى ، أشرنا إلى بعضها من قبل فى محيط الرأى العام لدى أولاد الحارة أو أهل الدنيا ، وهو الصحيح .

ونشير - هنا - إلى آثارها على المستوى الرسمى ، أو السُّلْطة الحاكمة فى عهد عرفة وحنش .

فقد أظهر مؤلف الرواية العلم الحديث فى صورة المرشح الوحيد لبسط النفوذ فى الأرض ، والسيطرة على مجريات الأُمور فيها .

فها هى ذى السُّلْطة الحاكمة ، ممثلة فى « حضرة الناظر » ترتاع وتلتاع من التجربة المذهلة لثمار العلم الحديث ، فتدعو عرفة وحنشاً وعواطف للإقامة فى القصر الفاخر للأُسرة الحاكمة ، بعد أن كان رائدا العلم وزوجة عرفة يقيمون فى حجرة تحت الأرض ( فى البدروم ) ، والذى حمل السُّلْطة الحاكمة على هذا التكريم ( المصطنع ) هو الجبن ، فافتعلت التودد لأُسرة العلم الحديث للأسباب الآتية :

- لكى تتجنب خطره إذا ظل بعيداً عن مراقبتها وسيطرتها .
- لكى تتوصل إلى معرفة أسرار العلم الساحر .
- لتُخضِع مخترعاته لتصرفها ، فتزداد السُّلْطة قوة وسُلْطاناً .

وعلى كره من « عرفة » أمدَّ السُّلْطة بكميات من المخترعات المدهشة ، أما أسرار « المهنة » فقد كان من الصعب أن يحيط بها الناظر ، وفى نظير هذا

تستَّر الناظر على جريمة قتل قام بها عرفة لو علم بفاعلها أهل الحارة لمزقوه وجعلوه طعاماً للقطط والكلاب ، وظل هذا السر سلاحاً فى يد « الناظر » يستذل به عرفة ورفيقه وزوجته .

فيا ترى : من هو الكاسب ومن هو الخاسر فى هذه الصفقة التى تمت بين السُلْطة الحاكمة وعرفة ، أهو السُلْطة أم عرفة .

لا ريب أن الكاسب هو السُلْطة ، فقد اكتسبت بالمخترعات الحديثة سُلْطاناً جديداً ، وقوة لا تقهر .

فلم يعد عرفة يهددها ولا هو خطر عليها ، وسلاحه فى يدها ، كما أصبحت قادرة على تأديب الأشقياء من أولاد الحارة ، وعلى إسكات كل صوت مهما علت حدته ، وإخماد كل فتنة مهما استعرت نارها [1] .

هذا الاحتضان الذى صورته الرواية هذا التصوير له عند المؤلف مغزى واحد ، ولكنه ثقيل الوزن .

إنه يريد أن يقول :

« من ملك العلم الحديث فقد ملك كل شىء فى الوجود » ؟!

أما تاريخ الجبلاوى وأدهمه ، وجبله ورفاعته وقاسمه ، فقد ولى مع ريح فى يوم عاصف . . وإلى الأبد ؟!



## ● الانتقال من الاحتضان إلى السيطرة :

وتخطو السُلْطة الحاكمة خطوة أُخرى ، فتسيطر على ثمار العلم الحديث ، ويهئ المؤلف « الجو » النفسى لقراء روايته ، ثم يدلف بهم إلى سيطرة السُلْطة الحاكمة على « ثمار العلم الحديث » ، وفى هذه التهيئة يقول المؤلف :

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٥٠٦ - ٥١٣ ملخصاً .

إن عرفة و« حنش » وعواطف ملُّوا الإقامة فى القصر الفخم الذى نزلوا فيه ، وشعروا أن الطاقم الذى عيَّنه الناظر لخدمتهم إنما هم « مراقبون » أو « جواسيس » فى زى خَدَم ، فكل حركة وكل همسة محسوبة عليهم ، فتحوَّل القصر فى نظرهم إلى « معتقل » ، فلجأوا إلى الهروب ، هربت عواطف أولاً ، ثم هربا هما ، ارتاع الناظر والتاع من هروب عرفة ورفيقه وزوجه ، فأحكم الناظر قبضته على المنافذ والمداخل ؛ لأن نجاة عرفة وحنش سيسبب قلقاً للسلطان .

ويتم القبض على عرفة رمز العلم الحديث فى الرواية ، ويُدْفَن هو وعواطف فى التراب وهما حيَّان ، لتسيطر السُلْطة على ثمار العلم الحديث !

ولكن أين حنش ؟ وأين سجل المهنة المدوَّنة فيه أسرارها ؟

اختفى حنش ومعه سجل أسرار المهنة ، ولم يهتد إليه أحد ؟!

فتضاعفت هموم الناظر ، واشتد قلقه ، إذ من الممكن أن يعود يوماً ما فيقضى على كل شىء فى الحارة .

ولم يقتصر الخوف على السُلْطة الحاكمة ، بل عم أولاد الحارة كلهم وكانوا قد رأوا من قبل بشاعة الانفجار المدمر ، الذى قام به عرفة ، وأصبح الشر المتوقع مخيماً على كل القلوب .

وضاعف من حجم الخوف والقلق أن بعض شباب الحارة كان يختفى يوماً بعد يوم ، فظن الناظر وأولاد الحارة أنهم انضموا إلى حنش للقيام بأمر خطير (١) .

ومغزى هذا الكلام هو تأكيد ما قلناه من قبل :

« من ملك العلم الحديث فقد ملك كل شىء فى الوجود » .

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٥٤١ - ٥٤٧ ملخصاً .

فحنش يخيف السُلْطة الحاكمة ، ويخيف أولاد الحارة ، وهو فرد واحد ؟ وليس هذا بغريب فى الرواية ؛ لأن « حنش » ملك كل شىء فى الوجود ؛ لأنه ملك العلم الحديث .

إن رواية « أولاد حارتنا » اتخذت من العلم الحديث إلهاً يعبد من دون الله - خوفاً لا طمعاً - وما تزال الرواية تغذيه وتقويه وتعظم من شأنه فى وجدان قرائها ، حتى إذا جاء الوقت لإحلال العلم الحديث محل الإيمان بالله - وهذا ما فعلته الرواية كما سيأتى - حتى إذا جاء ذلك الوقت آمن به المخدوعون ، وسوقة المعرفة وضعاف العقول .

وعما قريب ستفصح الرواية عن هذا المصير ، ويظهر المعنى الضخم المدفون وراء رموزها ، وعمليات الفر والكر فيها .

* *

**● انحياز أولاد الحارة :**

وهذه خطوة جديدة هيأت الرواية لها الأذهان ، فقد آمنوا مفتونين بالعلم الحديث ، وفى ذلك يقول الأستاذ نجيب محفوظ مؤلف « أولاد حارتنا » :

« فلم يعُد أحد يشك فى الدور المنتظر أن يلعبه حنش فى حياتهم ، وارتفعت فى الأنفس موجة استبشار وتفاؤل ، قذفت بعيداً بزبد القنوط والخنوع ، وامتلأت القلوب عطفاً على حنش فى مهجره المجهول ، بل امتد العطف إلى ذِكْرى عرفة نفسه ، وتمنَّى الناس لو يتعاونون مع حنش فى موقفه ، وصمموا على التعاون ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، باعتباره السبيل الوحيد إلى الخلاص » ؟! (١) .

أليست هذه خطوة جديدة وجريئة فى سُلَّم الصعود بالعلم الحديث ؟

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٥٥١

ثم قف مَلِيَّاً أمام هذه العبارة التى ختم بها المؤلف الفقرة المذكورة :

« **باعتباره السبيل الوحيد للخلاص** » ، ثم ابحث فى ظل هذه العبارة عن التوجيه الإلَهى ، وكتبه المنزَّلة ، وهداية رُسُله للناس ، ابحث عن ذلك كله فى ظل هذه العبارة ، فإنك لن تجد شيئاً مما ذكرناه ، فالعلم الحديث هو صاحب السُّلْطة العليا فى هذه الحياة ؟!

إن الصراع المفتعل بين الدين والعلم الحديث ، بدأ متأخراً فى الرواية ، ولكنه على الرغم من هذا العمر الصغير حقق فى الرواية انتصارات هائلة على الدين - كما ترى - ولكنها انتصارات فى خيال المؤلف ، ولها - عنده - سببان :

**أحدهما** : فشل الدين فى المجالات التطبيقية .

**والثانى** : القُدْرة الفائقة للعلم الحديث على تحقيق السعادة للبَشر جميعاً .

يقول المؤلف بالحرف الواحد :

« وبدا أنه لم يبق لهم إلا الخضوع ، وأن يعتبروا الوقف وشروطه ، وكلمات جبل ورفاعة وقاسم أحلاماً ضائعة قد تصلح ألحاناً للرباب ، لا للمعاملة فى هذه الحياة » (١) .

لقد غالى المؤلف - هنا - فى الحط من شأن الرسالات السماوية ، واتبع هواه ، وقال شططاً ، وجنى حمقاً وسفاهة ، وزيَّن له الشيطان باطلاً من القول وزوراً ؟!

إن قارئ هذه الدراسة يعلم ما هو الوقف فى الرواية ؟ وما هى شروطه ؟

ويعلم من هو جبل ، ومن هو رفاعة ، ومن هو قاسم ، الوقف هو الخلافة فى الأرض لحراسة الدين وسياسة الدنيا .

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٥٤٨

وشروطه العشرة هى المذكورة فى آيات الأنعام المبدوءة بقوله تعالى :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَن لاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ (١) .

وجبل ورفاعة وقاسم هم : موسى وعيسى ومحمد ﷺ ، كل هذا قد محاه الكاتب ، وجعله أحلاماً ضائعة ، لا تصلح للحياة ، إلا أن تكون ألحاناً ينشدها شعراء الرباب فى المقاهى والغرز ؟!

إن هذا الكلام ليدعو قُرَّاء الرواية إلي سوء الظن بكاتبها ، وأن يذهبوا بسوء الظن إلى أبعد مدىً ، وهم معذورون ، معذورون إذا ذهبوا مع سوء الظن به إلى نهاية الشوط ، فقد مهَّد هو الطريق إلى سوء الظن ، وكفى بقوله المتقدم إنما تنوء بحمله الجبال ، ولكن الإنسان كان ظلوماً جهولاً .

إن الشيطان نفسه لم يقل فى كتب الله المنزلة على رُسُله هذا القول ؟

وكفرة قريش - وهم فى ذروة العداء للإسلام - لم يقولوا فى كتاب الله المنزل هذا القول ؟

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ربنا ارفع مقتك وغضبك عنا ، يا أرحم الراحمين .

* *

## ● المعنى الرمزى لقتل أو موت الجبلاوى ؟!

قلنا مرات : إن الجبلاوى فى رواية أولاد حارة نجيب محفوظ هو رمز الألوهية ( الله ) ، والمؤلف يعلم ذلك علم اليقين ، وكل من قرأ روايته ببصر يدرك هذا تمام الإدراك ، إلا من كان على بصره غشاوة وفى أُذنيه وقر ، وعلى قلبه رين وأكنان ؟!

وما دام الأمر كذلك ، فكان من أوجب الواجبات على المؤلف أن يعرف

---

(١) الأنعام : ١٥١ - ١٥٣

لهذا الرمز حقه ، فلا يحيد عنه قيد أنملة مهما لعب به الخيال وزين له الهوى .

ولكن الرجل أطلق ألسنة بعض أولاد حارته ، مثل إدريس الذى هو رمز لإبليس ، ومثل قدرى الذى هو قابيل بن آدم ، أطلق ألسنة هؤلاء بأقذع السباب والشتائم للجبلاوى - وهو فى الواقع الساب الشاتم ، ثم أجرى عليه أحكام البَشر من التزوج والإنجاب والأكل والشرب والنوم والاحتياج . وهذا إلحاد فى أسماء الله وصفاته ، وفيه يقول الحق تعالى :

﴿ .. وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

لم يكتف المؤلف بما تقدمت الإشارة إليه من القذف والسباب ، بل قضى على « الجبلاوى » بالقتل ؟!

ومن الذى قتله ؟ عرفة ؟

وأصبح أولاد الحارة يُعَزِّى بعضهم بعضاً فيقول المعزِّى للمعزَّى : « لله الأمر ، من بعد العمر الطويل مات الجبلاوى ؟! (٢) .

هكذا كتب الكاتب ، وهكذا يقرأ القارئ ، فإلى أى شيء رمز الكاتب بواقعة قتل الجبلاوى ، وأن القاتل عرفة ؟

من البديهى أن المؤلف لم يقصد المعنى الحقيقى للقتل ، وهو إزهاق الروح ، ولكن المعنى المقصود من هذا الرمز :

( قتل عرفة الجبلاوىَّ ) .

أن ظهور العلم الحديث أبطل « مفاعيل » الدين إبطالاً كاملاً شبيهاً بالقتل الذى يُزيل المقتول من الوجود ، ويُوارى جثمانه تحت الثرى ؟!

---

(١) الأعراف : ١٨٠ ، وقد أخرنا قتل الجبلاوى إلى هنا ، لأن له صلة كبيرة بالنهاية المرادة من الرواية كلها .

(٢) « أولاد الحارة » ص ٤٩٠ - ٤٩٩

أى لم يبق للدين المتمثل فى الرسالات السماوية مكان فى الحياة ، هذا هو المعنى المقصود للمؤلف ولا مقصود سواه ورب الكائنات ؟!

* *

## • صدى قتل أو موت الجبلاوى :

ارتاع أولاد الحارة والتاعوا عقيب الحادث ( الأليم ) مباشرة ، ثم بدأوا يلتقطون أنفاسهم ، وبيَّنوا أنهم لم يفقدوا شيئاً ذا بال بموت الجبلاوى أو قتله ، جدهم المبارك كما تسميه الرواية .

وكيف يستسلمون لليأس والقنوط ، ولديهم العزاء الجميل ، أو لديهم البديل ؟! عزاؤهم الجميل ، والبديل المفضل هو العلم الحديث ، الذى بدأت الساحة تخلو له تماماً ؟

فقد قالت لهم الرواية من قبل : إن عرفة قال :

« أنا عندى ما ليس عند أحد ، ولا الجبلاوى ( الله ) نفسه ؟ عندى السحر ، وهو يستطيع أن يحقق لحارتنا ما عجز عنه جبل ورفاعة وقاسم مجتمعين » ؟! [(١)] .

فما دام عند عرفة ما ليس عند الجبلاوى ( الله ) ؟ وما دام عرفة يستطيع أن يحقق بالعلم الحديث للحارة أو الدنيا ما لم يستطع تحقيقه موسى ولا عيسى ولا محمد ، فليكن هو العزاء الجميل ، وليكن هو البديل ؟ ، ثمَّ قالت الرواية : إن عرفة قال :

« لكنها علمتنى أنه لا ينبغى أن نعتمد على شىء سوى السحر الذى بين أيدينا » [(٢)] .

والسحر ، وهو العلم الحديث ، باق بعد موت الجبلاوى ، فعلام يحزن أولاد الحارة ؟!

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٤٩٨ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٩٧

## ● عرفة والإلحاد :

والحق يقال : إن عرفة لم يكن مجرد بديل للعزاء ، بل دعا أولاد الحارة من قبل إلى الشك فى وجود الجبلاوى ( الله ) نفسه ، وقال لهم : إن العلم الحديث ينفي وجود الجبلاوى ( الله ) ، هكذا قالت رواية « أولاد حارتنا » فاسمع لقولها :

« عرفة : « وحجرتى الخلفية علمتنى ألا أؤمن بشيء ، إلا إذا رأيته بعينى ، وجربته بيدى » ؟! [1] .

وحجرة عرفة الخلفية هى معمله الذى يجرى فيه التجارب ، وعرفة ومعه أولاد الحارة - الدنيا - جميعاً لم يَرَوْا الجبلاوى ( الله ) بأعينهم ، ولم يجربوه بأيديهم ، فهو - إذن - غير موجود فى نظر عرفة ، وهذا ما قاله عرفة لأولاد الحارة ، فعلام - مرة أُخرى - يحزنون ؟!

هذا الكلام كلام الأُستاذ نجيب محفوظ ساقه على لسان عرفة ، أفلا نفهم من هذا أن الكاتب حين خط روايته هذه كان مشبعاً بالفلسفة الإلحادية التى نتجت عن تطور العلم الحديث عند بعض قصار النظر من العلماء الوضعيين أمثال « ڤولتير » و« چان چاك روسو » و« أوجست كونت » ؟!

* *

## ● عرفة وإحياء الجبلاوى :

كاتب الرواية « أولاد حارتنا » مفرط الثقة فى العلم الحديث إلى أبعد مدى ، ومعلوم أن كل كلمة قالها فى هذه الرواية هى من كلامه ، وإن نسبها إلى إدريس « إبليس » أو قدرى « قابيل » أو عرفة « العلم الحديث » ، هذا أمر لا جدال فيه ، وهذه هى طبيعة الفن الإنشائى ؛ الذى تنتمى إليه رواية « أولاد الحارة » ، وإن كان موضوعها تاريخاً كما تقدم .

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٤٨٧ ، سطر ٧ - ٨

وقد قال المؤلف محتمياً برمز « عرفة » فى الإشادة بقدرات العلم الحديث :

فقال عرفة بحماسة :

« السحر - أى العلم الحديث - لا نهاية له ، وليس بين يدى اليوم منه إلا بعض الأدوية . . أما ما يمكن أن يوجد فلا يحيط به خيال » [1] ؟!

عبارة فخمة واسعة ، متفائلة تضع العلم الحديث فى درجة ( إله ) إن جاز هذا التعبير .

وما دام العلم الحديث بهذه « المكانة » ، فلا عجب أن ينسب المؤلف عبارتين لعرفة بأنه يفكر فى إعادة الحياة مرة أُخرى إلى الجبلاوى ؟!

إحدى العبارتين تقول :

« تعليم كل فرد السحر وفنونه وفوائده لا يكفى ، شىء واحد يكفى ، هو أن يبلغ من السحر الدرجة التى تمكنه من إعادة الحياة إلى الجبلاوى » ؟! [2] .

والعبارة الثانية تقول :

« سأعمل يا حنش ، لا تخف علينا . . ستقع عجائب ، وستكون ذروة العجائب أن تعود الحياة إلى الجبلاوى . . » [3] .

ومن قبل قال عرفة أو المؤلف محتمياً به : « إن السحر قادر على كل شىء » .

وقال :

لدى ما ليس عند أحد ، ولا حتى الجبلاوى نفسه ؟؟ [4] .

فإعادة الحياة إلى الموتى ليس ببعيد فى « أولاد حارتنا » ، وعند مؤلفها .
وهنا يرد سؤال مهم :

---

(١) أولاد حارتنا ص ٤٩٧

(٢) أولاد حارتنا ص ٥٠٢

(٣) أولاد حارتنا ص ٥٠٣

(٤) هذه العبارة والتى قبلها نقلناهما من قبل ، وذكرنا موضعهما فى الرواية .

ما المراد من تفكير عرفة فى إعادة الحياة إلى الجبلاوى ، وهو الذى قتله من قبل ؟

الجواب :

هذه الفكرة تفيد واحداً من أمرين :

أحدهما : أن يكون المراد منها التنبيه على « غرور بعض علماء العلم الحديث ، والإشارة إلى انخداعهم به » .

والثانى : إفراط الثقة فى طاقات العلم الحديث ، وأنه قادر على كل شىء ؟!

والاحتمال الأول مستبعد - هنا - وإن كان صحيحاً فى الواقع ، لأن مؤلف الرواية مفتون بالعلم الحديث حتى ليكاد يعبده من دون الله .

فلم يبق - إذن - إلا الاحتمال الثانى ، وهو أن طاقات العلم الحديث لن تقف عند حدٍ ، ولن تعرف شيئاً اسمه المستحيل ؟!

وإنى - وإن كنت الأخير زمانه - لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل ؟!

وفى إمكان إحياء عرفة الجبلاوى - فى الرواية - إيماء رمزى شديد الخفاء ، هو - كما تصورناه - إعلاء شأن العلم الحديث على الدين أو حقائق الإيمان ، وتمكنه منها إعداماً وإيجاداً ؟!

وإذا كان هذا هو مقصود الأستاذ نجيب محفوظ، فإننا نقول له : « لو عصمت فنَّك وخيالك وعقلك بوحى الله الصادق الأمين المنزل على خاتم النبيين لما هويت من شاهق هذا الهوى ، ولما زلنت قدمك هذا الزلل :

إحياء الموتى خَلْق جديد لهم ، وليس فى الكون خالق إلا الله .

وهو وحده :

﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ . . ﴾ (١) .

---

(١) الأعراف : ٥٤

والإحياء والإماتة تصرف فى الروح إدخالاً وإخراجاً ، والروح من أمر الله وحده :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ (١) .

فهل وقف العلم القديم أو الحديث على حقيقة الروح ؟ لا . . ولن ، فكيف يخضع العلم الحديث الروح لتجاربه وهو لا يعلم - ولن يعلم - من أمرها شيئاً ؟!

وربك الكبير المتعال تحدى المخدوعين والمفتونين مهما اختلفت أسباب خداعهم وفتنتهم ، تحداهم فرادى ومجتمعين أن تكون لهم قدرة أو علم فيخلقوا ذبابة حقيرة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً - وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ - وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنْقِذُوه مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (٢) .

يا أستاذ نجيب :

أتدير ظهرك لكتاب ربك العاصم من كل ضلال ، وتجعل قبلتك وَهْماً ، مثل من يبحث عن قُبَّعةٍ سوداء لا وجود لها فى غرفة مظلمة ، كما تقولون أنتم يا معاشر الفلاسفة ؟!

أرأيت لو كنت اعتصمت بكتاب الله ، أكنت تهوى هذا المهوى ، وتخر من شاهق كما خررت ؟

❁ ❁

---

(١) الإسراء : ٨٥ (٢) الحج : ٧٣

● تجربة « ستالين » :

ونذكرك مجرد تذكير بتجربة ستالين ، وظنى أنك تعرفها ولكنك لم تستفد منها :

وخلاصة تجربة « ستالين » : أنه أراد أن يدعم كفره وإلحاده ببعث الحياة فى قطعة تؤخذ من « الجماد » : طوبة ، أو حجر ، أو تراب ، أو رمل ، أياً كان شكل الجماد .

فأنشأ لهذا الغرض أكاديمية للبحث العلمى ، وَوَكَلَ بالعمل فيها لنخبة مشهود لها بالكفاءة من علماء الطبيعيات ، وأغدق لهم فى الرواتب والحوافز والمكافآت ، وهيأ لهم كل أسباب الملذات والمتع المباح منها والمحظور ، وعرَّفهم من أول يوم بأن مهمتهم هى أن يبعثوا الحياة فى أى كائن غير حى ؟!

وظل العلماء يواصلون العمل ليلاً ونهاراً ، ويجرون التجارب ويكررونها ، ويستبدلون جمادا بجماد ، وبذلوا كل طاقاتهم العلمية والعملية والمعملية ، وكان سعيهم يبوء بالخيبة والفشل عقب كل تجربة يجرونها ، ولكن بلا جدوى إلا الخيبة .

وبعد عشرين عاماً من العمل الدءوب المتواصل كتبوا تقريرهم النهائى ، سجلوا فيه عجزهم التام عن تحقيق المهمة التى كلَّفهم بها « ستالين » ، ولكنهم أضافوا إلى التقرير عبارة وارَوْا خلفها خيبتهم ، تلك العبارة تقول :

« ولكن يمكن إعادة البحث إذا أمكن إحضار قطعة صخر ، أو تراب من كوكب آخر غير كوكب الأرض » [1] .

عبارة كاذبة ، لأن روسيا بعد ذلك غزت القمر ، وأحضرت منه صخوراً وتراباً ، فلِمَ لم يكرروا التجربة ، ويخلقوا ولو نملة أو حتى بعوضة ؟!

---

(١) هذه العبارة صياغة معنى لا إيراد نص ؛ لأنى أكتب من الذاكرة ، ومصدر المعلومة ليس لدى - الآن - هو فى القاهرة ، وأنا أكتب بمكة المكرمة .

يا أستاذ نجيب : ألم تكن أكاديمية « ستالين » للبحث العلمى واحدة من « مؤسسات » عرفة المنتشرة فى دول الحضارة الحديثة ؟! ثم ألم تقع هذه « التجربة » الخائبة جداً قبل أن تكتب أنت روايتك « أولاد حارتنا » ؟!

أما كان لك فيها عبرة تعصمك مما هويت فيه ؟!

* *

● **وراثة شرعية :**

حرصت رواية « أولاد حارتنا » على تبرئة عرفة ، أو العلم الحديث من كل مأخذ وجريرة ، فقد يظن ظان ، أو يعتقد معتقد أن فى الانتصار للعلم الحديث ، وإحلاله محل الإيمان بالله عند من ضلَّ منهم وذهب هذا المذهب . أقول مرة أُخرى :

قد يظن ظان ، أو يعتقد معتقد أن فى إعلاء شأن العلم الحديث وحصر وسائل المعرفة فيه ، ونزع الثقة عن المعرفة الدينية تطاولاً على الدين ، وإبعاداً له بغير حق ؟ هذا الهاجس أو الاحتمال عالجه مؤلف « أولاد حارتنا » بلقطة بارعة من لقطات الخيال :

قال فيما يحكيه عن عرفة ما خلاصته (١) :

إن امرأة عجوزاً جاءت فى إحدى الليالى واستوقفته ، فأعرض عنها فى بادئ الأمر ، ثم استمع إليها ، فأخبرته بأنها خادم الجبلاوى ، وأن « المرحوم » ترك له وصية عندها وأمرها أن توصلها إليه - إلى عرفة - والوصية تقول بالحرف كما فى الرواية :

« اذهبى إلى عرفة الساحر - يعنى العالِم - وأبلغيه عنِّى أن جَدَّهُ مات ، وهو عنه راض » ؟! (٢) .

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٥٣٦ - ٥٤٠ ملخصاً . (٢) « أولاد حارتنا » ص ٥٣٨

وأن عرفة تحرَّى الخبر فوجده صحيحاً ؟!

*　　*

### ● ما معنى هذه الوصية :

وقفت طويلاً أمام ورود هذه الوصية فى أُخريات الرواية ، ثم خطر لى خاطر أسجله - هنا - لعلى أكون مصيباً فيه :

إن هذه الوصية - الوهمية - ما هى إلا تعاطف مع العلمانيين الذين يزعمون أن قوانين المادة - الكلية والجزئية - كافية وحدها فى تفسير أسرار الحياة ، ونشأة الكون وتدبير أُموره ، ولا ضرورة تدعو للإيمان بوجود « إله » خارج نطاق الحس ؟! ، فجاء مؤلف « أولاد حارتنا » ليقول :

« إن ولاية العلوم الوضعية الحديثة ، وإحلالها محل الإيمان ، إنما هى ولاية شرعية ، ووراثة نظامية لا غاصبة ، رغم أن « عرفة » قتل الجبلاوى الرمز الدينى الكبير ، ومحال أن يكون المؤلف ليس له منها هدف ، فإن ذكاءه وهندسته التعبيرية الماهرة تقضى بأن يكون له معنى « جوانى » من كل كلمة ، ومن تركيب طال أو قصر .

وقد رأينا من بداية هذا الفصل ( عرفة ) كيف بلغ الاهتمام بـ « عرفة » رمز العلم الحديث ، فقد أولاه عناية فائقة ، وأخذ ينتقل به من طور ضعيف إلى طور قوى ، ومن طور قوى إلى طور أقوى ، حتى كاد - وسيفعل قريباً - أن يجلسه على عرش الرحمن ، بعد أن خلا ذلك العرش - فى الرواية لا فى الواقع - من استواء الرحمن عليه ؟!

*　　*

### ● الإيمان بالعلم الحديث :

ها نحن أو لاءِ نقترب من النهاية ، أو اقتربنا فعلاً من نهاية رحلتنا الشاقة مع الأستاذ نجيب محفوظ ، وأولاد حارته ، وقد أدركنا هدفه منها ، و« جوانياته »

فيها ، وسرنا معه أشواطاً بعيدة المدى ، نقرأ ونفحص ونتأمل ، ونفهم ، ونبحث عن الأدلة ، والشواهد والبراهين التى تقطع - فى يقين راسخ - بصحة الفرض أو الفروض التى افترضناها منذ البداية ، عن الموضوع الذى لفَّت ودارت حوله الرواية « أولاد حارتنا » ، أو « التاريخ الدينى النبوى » ، والخصومة « المفتعلة » بين الدين والعلم الحديث ، عند فئة من العلماء الوضعيين .

وقد أثبتنا عشرات الأدلة من أقوال المؤلف ، وفككنا من رموزه ما نحن فى حاجة إليه فى الاستدلال ، وكان لنا فى كل كلمة شاهد ، وفى كل جملة دليل ، وفى كل فقرة برهان ، ولم يُخيِّبْ الله رجاءنا ، ولا أوصد طرق الفهم أمامنا ، بل إن الفضل ليرجع إليه وحده ، فقد منحنا صبراً جميلاً على القراءة المتأنية المتكررة للرواية « أولاد حارتنا » ، وأعاننا على فك رموزها :

سهلها وصعبها ، يسيرها وعسيرها ، قريبها وبعيدها ، ولولا فضله - سبحانه - لضللنا بين تعاريجها ، ومطباتها ونتوءاتها ومضايقها ، فللّه - وحده - الحمد فى الأُولى والآخرة .

والعنوان الذى أثبتناه فى أعلى هذه الصفحة « الإيمان بالعلم الحديث » هو الخطوة ألـ « قبل الأخيرة » فى الصعود بالعلم الحديث فى رواية « أولاد حارتنا » ، وستليها الخطوة الأخيرة الحاسمة بعد قليل .

أما هذه الخطوة ، فننقل كلام المؤلف فيها ، ليشترك معنا القارئ فى الفهم وفى الحكم الذى سنصدره لهذه الرواية أو عليها ، هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى ليعلم قُرَّاء هذه الدراسة ، أننا لم نظلم المؤلف فيما ذهبنا إليه ، ولم نتجاوز حدود الفهم المقبول والمعقول فى تصيُّد « جوانياته » ساعة كتب هذه الرواية منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، والآن تعال ننظر معاً فى كلامه الآتى :

« ومن عجب أن تَلَقى الناس أكاذيب الرباب بفتور وسخرية ، وبلغ منهم العناد أن قالوا :

« لا شأن لنا بالماضى ، ولا أمل لنا إلا فى سحر عرفة ؟!

« ولو خُيِّرنا بين الجبلاوى والسحر لاخترنا السحر ؟!

« ويوماً بعد يوم ، مضت حقيقة عرفة تتكشَّف . . أن الناس عرفوا الرجل - يعنى عرفة - وما كان يَنْشدُه من وراء سحره للحارة ، من حياة عجيبة ، كالأحلام الساحرة ، ووقعت الحقيقة من أنفسهم موقع العجب ، فأكبروا ذِكْراه - ذِكْرى عرفة - ورفعوا اسمه حتى فوق أسماء :

جبل ، ورفاعة ، وقاسم ؟!

وقال أناس : لا يمكن أن يكون ( عرفة ) قاتل الجبلاوى كما ظنوا ، وقال آخرون : إنه رجل الحارة الأول والأخير ؟!

ولو كان هو قاتل الجبلاوى ؟!

وتنافسوا فيه ، حتى ادعاه كل حى لنفسه » ؟! (١) .

كلام المؤلف - هنا - واضح كل الوضوح فى كراهية ما أنزل الله على رسله ، والحط من شأنه ، ثم الإيمان الراسخ بالعلم الحديث ممثلاً فى « عرفة » والمناداة بتسليم قيادة الحياة له بعد فشل الرسالات السماوية ، الذى ادعته الرواية ؟!

وقد وصل الأستاذ نجيب محفوظ بأولاد الحارة ، أو البَشر جميعاً فى الدنيا كلها ، وصل بهم كما جاء فى هذه الفقرة إلى المصائر الآتية :

- زهدهم ، أو قل كفرهم بـ « الجبلاوى » المرموز به فى الرواية إلى « الله » .
- إيمانهم بـ « عرفة » المرموز به فى الرواية إلى العلم الحديث ، حتى لو كان عرفة هو الذى قتل « الجبلاوى » الرمز الدينى الكبير فى الرواية .
- انخلاعهم عن الماضى أو التاريخ الدينى النبوى انخلاعاً كاملاً ؟!

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٥٠١ - ٥٠٢

الإعجاب المذهل بـ « عرفة » أو العلم الحديث ، وتعليق كل آمالهم به ، لا بأحد سواه ؟!

هذه الغايات التى أوصل إليها الأستاذ نجيب محفوظ سكان الدنيا كلها - مع خطورتها فى نفسها - فإنها ليست كل شىء لأنها وسائل إلى غاية أُخرى أجل وأعظم من هذه الغايات ، حتى صارت هذه الغايات وسائل بالنسبة لها .
تلك الغاية الأجل الأعظم هى :

**إحلال العلم الحديث محل الإيمان بالله ورُسُله ؟!**

والدليل قول المؤلف بالحرف الواحد ، بلا زيادة ولا نقص ، وهاك قوله :

**« إن كلمة من جدنا ، كانت تدفع الطيبين من أحفاده ، إلى العمل حتى الموت ، موته أقوى من كلماته ؟ إنه يوجب على الابن الطيب :**

**« أن يفْعل كل شىء » ؟!**

**« أن يحل محله » ؟!**

**« أن يكونه » ؟!**

**« أفهمت » ؟!** (١) .

نعم : فهمنا يا نجيب :

فهمنا : أن الابن الطيب هو « عرفة » أى العلم الحديث ؟

وفهمنا : أن العلم الحديث على كل شىء قدير ؟!

وفهمنا : أن العلم الحديث ينبغى أن يحل محل « الله » ؟!

وفهمنا : أن العلم الحديث ينبغى أن يكون هو « الله » ؟!

وفهمنا : أن هدفك من تأليف هذه الرواية هو هذه الكلمات ؟!

* * *

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٥٠٣

# الخـــاتمة

ها نحن قد فرغنا من هذه الرحلة الطويلة الشاقة ، التى قمنا بها تجاه الأُستاذ نجيب محفوظ ، وأولاد حارته ، ويطيب لنا فى « النهاية » أن نسجل أمرين مهمين :

**أولهما** : تقرير موجز عن « رواية أولاد حارتنا » يلمُّ شعث ما تقدم ، ويستخلص أبرز ما فيها من ملاحظات .

**والثانى** : اقتراح نرفعه إلى المؤلف الأُستاذ نجيب محفوظ من باب « التواصى بالحق » ، وهو من صفات المؤمنين بالله ورسوله .

## أولاً - التقرير :

بكل موضوعية وصدق وإخلاص نقول :

● إن موضوع هذه الرواية « أولاد حارتنا » يتكوّن من قسمين اثنين :

**الأول** : ويبدأ من « افتتاحية » أو مقدمة الرواية ، ويستمر حتى الفصل الرابع ، أو هو تفصيلاً :

١ - المقدمة .

٢ - أدهم ، أى آدم عليه السلام .

٣ - جبل : أى موسى عليه السلام .

٤ - رفاعة : أى عيسى عليه السلام .

٥ - قاسم : أى محمد ﷺ .

**أما القسم الثانى** : فهو مكوّن من فصل واحد هو : عرفة ، وقد جعله المؤلف رمزاً للعلم الحديث كما تقدم .

إن مادة القسم الأول شاملاً المقدمة والفصول الأربعة المتقدم ذكرها ، هى - بلا جدال - وقائع التاريخ الدينى النبوى ، ممثلاً فى أبى البَشر آدم ( أدهم فى الرواية ) ثم الرُسُل الثلاثة الكبار :

موسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ ، والمرموز لهم فى الرواية بـ : جبل ، ورفاعة ، وقاسم . وقد أقمنا على صحة هذا « الفهم » عشرات الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والحجج الدامغة التى لا تقبل أدنى نزاع مهما أوتى المدافعون عن الرواية من مهارة فى المغالطات ، ومن أساليب الخداع والتمويه [1] .

إن « الحارة » رمز للدنيا كلها ، وليست « حارة » بالمعنى الضيق المعروف للناس .

إن « أولاد الحارة » هم البَشر جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى العصر الحاضر ، وربما دخل فيهم - عند المؤلف - الملائكة والشياطين ؟! [2] .

## ● الجبلاوى :

الجبلاوى فى الرواية هو قطب الأقطاب ، والمصدر الوحيد للتاريخ الدينى النبوى ، وهو فى الرواية رمز لـ « الله » سبحانه وتعالى .

وقد ذكرنا - فيما تقدم - الأدلة « القطعية » على أن الجبلاوى فى الرواية هو « الله » سبحانه وتعالى ، ونريد هنا أن نرد - فى إيجاز وافٍ - على من أنكر هذا « الفهم » الذى فهمه بعض نقاد الرواية . وقد جاءت دراستنا هذه مناصرة لما فهموه مع إثباته بالبراهين القاطعة كما تقدم فى غضون هذه الدراسة .

---

(١) لعل السر فى اكتفاء المؤلف بالحديث عن هؤلاء الرُسُل الثلاثة دون غيرهم أن لكلٍ منهم اتباعاً ينسبون إليهم ، وهم اليهود والنصارى والمسلمون ، أما غيرهم من الرُسُل كإبراهيم عليه السلام فليس لهم الآن أتباع معينون .

(٢) سبق أن رمز المؤلف لجماعة الملائكة ، بـ « رضوان وجليل وعباس وقنديل » ، ورمز إلى الشياطين بإدريس وابنته هند ، ومن الجميع جاء أولاد الحارة .

## ● شبهتان للمنكرين :

الذين أنكروا أن يكون « الجبلاوى » فى الرواية هو « الله » استندوا إلى شبهتين حسبوهما دليلين ، وما هما بدليلين قط :

### الشبهة الأولى :

أن اسم الله قد ورد مصرحاً به فى الرواية فى بعض المواضع ، حتى فى الحديث مع « الجبلاوى » نفسه ، من ذلك - مثلاً - قول جبل للجبلاوى :

« الحمد لرب السموات على أنك ما زلت تتمتع بصحتك » [١] .

ومثل قول جبل : « ألا لعنة الله على الجبناء » [٢] .

قلت : ليس فى هذه الأقوال - وما أشبهها - دليل قط على أن « الجبلاوى » فى الرواية ليس هو « الله » ؛ لأن المؤلف - كعادته - فى التمويه يتحدث عن « الله » باسمه الصريح حيناً ، وبالرمز أحياناً أُخرى .

وهذه الشبهة كانت « تفيد » فى الدفاع لو كانت التهمة الموجهة إلى المؤلف هى « إنكار وجود الله » ؟ لكن هذه التهمة ليس لها وجود لدينا ، وإنما التهمة هى أن المؤلف يتحدث عن « الله » الذى يؤمن به حديثاً لا يليق بجلاله ووحدانيته ومخالفته للحوادث .

### الشبهة الثانية :

أما الشبهة الثانية التى استند إليها هؤلاء « المنكرون » ، فهى ما أورده المؤلف على لسان إدريس ( أى إبليس ) بعد أن طرده « الجبلاوى » ( أى الله ) من البيت الكبير - أى من الجنة :

« ما أهون الأُبُوَّة عليك ؟ خُلِقْتَ جَبَّاراً فتوَّة » ؟! [٣]

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٧٨

(٢) « أولاد حارتنا » ص ١٨٧

(٣) « أولاد حارتنا » ص ١٥

وجه الاستدلال عندهم أن الجبلاوى - هنا - وُصِف بأنه مخلوق ، والله ليس مخلوقاً .

هذا الدفاع مع صحته فى نفسه فليس فيه دليل على أن « الجبلاوى » فى الرواية ليس هو « الله » ، وذلك لسببين :

**الأول** : ليس وصف « الجبلاوى » فى الرواية بأنه مخلوق هو الوصف الوحيد الذى لا يليق بـ « الله » ، فالجبلاوى فى الرواية له صاحبة وولد ، ويأكل ويْشرب ، ويرتاح وينام ، ويتقدم به العمر ، وله خدم وغرفة نوم ، ويموت أو يُقْتل ؟! فلماذا يتمسك المنكرون بوصف « المخلوقية » ويَدَعُون ما عداه من الأوصاف « البَشرية » ؟!

**أما السبب الثانى** ، فإن المؤلف لم يُعبِّر عن معنى واحد من معانيه « الجُوَّانية » إلا بالرموز ، وهذا ينطبق على قوله : « خُلِقْتَ » وصفاً لـ « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) فى الرواية . فليس ببعيد أن يكون المؤلف قد أراد من « خُلِقْتَ » معنى رمزياً هو : « الوجود المطلق » ، وليس الخلق بمعنى الإيجاد من العدم ، المقتضى لوجود خالق غير الله ؟!

وبهذا يتضح لنا وللقراء ضعف مستند « المنكرين » فى الدفاع عن الأُستاذ نجيب محفوظ وأولاد حارته .

ولدينا رد آخر يشمل الشبهتين معاً ، وهو أن هذا كله إنما ذكره المؤلف بقصد التمويه على « القُرَّاء » ليبعد عن نفسه التهمة التى أشرنا إليها من قبل ، وهى نقده أو نقضه للتاريخ الدينى النبوى ، ووصفه بـ « الفشل » فى الريادة والإصلاح تمهيداً للإطاحة به - دفعة واحدة - ثم إحلال العلم الحديث « محله » ؟!

* *

### • دفاع مضحك :

وقد قرأت - مؤخراً - دفاعاً من نوع جديد لصاحب منصب « أدبى رفيع »

ورئيس أضخم مؤسسة فى مصر تقوم على نشر المعرفة تأليفاً ، وترجمة ، وهى من مؤسسات الدولة الرسمية .

صاحب هذا المنصب يُنْكِر أن يكون « الجبلاوى » فى الرواية هو « الله » . أما دليل إنكاره فأعجب من العجب ، وخلاصته هى :

« الجبلاوى » ليس هو الله فى الرواية ؛ لأنه - يعنى « الجبلاوى » دائماً يُقْسِمُ بالله ، فكيف يكون هو الله ، وهو - دائماً - يقسم بالله ؟!

هذه خلاصة أمينة لما قاله هذا « الرئيس » ؟! قرأت هذا الكلام فأضحكنى من الأعماق ، ثم قلت :

وما المانع - يا حضرة الرئيس - فالله نفسه قد أقسم بنفسه وبصفاته ، وببعض مخلوقاته ، وجاء ذلك كله فى كتاب الله العزيز :

أقسم بنفسه فقال : ﴿ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ (1) .

وقال : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ . . . ﴾ (2) .

وقال : ﴿ يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ (3) .

وقال فى الإقسام ببعض مخلوقاته - وما أكثر إقسامه بها - :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (4) .

فهل يُسْتَدلُّ - على طريقتك - بأن الله فى القرآن هو ليس الله ؟! لأنه أقسم بنفسه يا حضرة الرئيس ؟!

فلو فُرِضَ أن « الجبلاوى » فى الرواية يُقْسم بالله - دائماً - كما زعمت فليس فى ذلك دليل على أن « الجبلاوى » فى الرواية لم يرمز به « صديقك » إلى الله ؟

---

(1) النحل : ٥٦ (2) الذاريات : ٢٣

(3) يس : ١ - ٢ ، والقرآن كلام الله فهو صفة من صفاته . (4) النجم : ١ - ٢

● ولكنه لم يُقْسم :

جارينا « حضرة الرئيس » جدلاً على أن « الجبلاوى » فى الرواية يُقسم بالله - دائماً - جاريناه لنُبْطِلَ استدلاله على أن الجبلاوى فى الرواية ليس هو « الله » وها نحن قد أبطلنا هذا الاستدلال كما رأيت .

بيد أن الواقع أن « الجبلاوى » لم يقسم بالله ولا حتى مرة واحدة ، ولا نصف مرة إن صح هذا التعبير . فالرواية على طولها الطويل (٥٥٢ صفحة من القطع الكبير ) تخلو تماماً من إقسام « الجبلاوى » بالله ، بل وبغير الله .

اللَّهُمَّ إلا مرة واحدة أقسم فيها « الجبلاوى » ، ولكن بالطلاق وليس بالله ؟!

فقد ذكر المؤلف عبارة أسندها إلى الجبلاوى صدرت منه - كما زعمت الرواية - فى حالة غضب ، بعد طرد إدريس ( أى إبليس ) من البيت الكبير ، وحذَّر أهل البيت من السماح بدخول إدريس فيه . قال المؤلف على لسان الجبلاوى :

« الهلاك لمن يسمح له بالعودة ، أو يعينه عليها ، ورفع رأسه - يعنى الجبلاوى - صوب نوافذ الحريم المغلقة وصاح مرة أُخرى :

« وطالقة ثلاثاً من تجترئ على هذا . . »[1] .

هذا هو القسم الوحيد للجبلاوى فى رواية « أولاد الحارة » ؟!

فهل هذا قسم بالله ؟ ولو فرضنا جدلاً أنه قسم بالله ، فأين الاستمرار والدوام الذى عبَّر عنه « حضرة الريس » بأن الجبلاوى يقسم بالله دائماً ؟!

وأكاد أقسم بالله باراً غير آثم أن « حضرة الريس » لم يقرأ رواية « أولاد حارتنا » قط ، ولو كان قرأها لما ورَّط نفسه فى هذه الورطة « البلقاء » ، ويبدو لى أن كل المدافعين أو جُلَّهم من هذا القبيل ؟!

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٦

● **إمَّا هذا ، وإمَّا ذاك :**

وهل درى هؤلاء المدافعون عن الرواية ، الذاهبون إلى أن « الجبلاوى » فى الرواية ليس رمزاً للأُلوهية « الله » ، هل دَرَوْا بأن دفاعهم هذا يُورِّط « المؤلف » فى عقيدة الإشراك بالله - سبحانه - وأنَّه - أى المؤلف - يدعو مع الله إلهاً آخر ليس له به علم ، وما أنزل الله به من سُلْطان ؟!

❋ ❋

● **بيان ذلك :**

فقد ثبت فى هذه الدراسة على وجه « اليقين » أن أدهم هو آدم ، وأن « جبل » هو موسى ، وأن « رفاعة » هو عيسى ، وأن « قاسم » هو محمد صلى الله عليهم وسلم .

فإذا صحَّ أن « الجبلاوى » فى الرواية ليس رمزاً لـ « الله » ، فيلزم من ذلك وجود إلَه آخر اسمه « الجبلاوى » مع الله الواحد الأحد قيوم السموات والأرض ؟!

**ويلزم أن هذا الإلَه الوهمى هو الذى :**

● أخرج آدم وزوجه من الجنة ؟!

● وطرد إبليس ولعنه ؟!

● وأرسل موسى وعيسى ومحمداً ﷺ ؟!

● ثم هو الذى أنزل التوراة والإنجيل والقرآن ؟!

فما هو رأى هؤلاء القائلين بأن « الجبلاوى » فى الرواية ليس هو « الله » بعد هذا البيان ؟!

إنهم - لا محالة - مُلْزَمون **بواحد من أمرين** كلاهما شديد المرارة :

● فإما أن يُقرُّوا بأن « الجبلاوى » هو « الله » فى الرواية ، فيلزمهم أن

يوافقونا على أن الرواية أساءت - كل الإساءة - إلى الذات العلية ، وإلى الرُّسُل الكرام ، وسخرت سخرية لاذعة بالتاريخ الدينى النبوى ؟!

● وإما أن يتمسكوا - جدلاً - بأن « الجبلاوى » ليس هو « الله » فى الرواية ، فيلزمهم أن ينسبوا « المؤلف » إلى عقيدة الشرك والعياذ بالله ؟

أمران شديدا المرارة ، وخيما العاقبة ، فإما هذا ، وإما ذاك ، ولا ثالث لهما ؟ فأين المفر يا حضرات المدافعين ؟!

* *

## ● ثم ما رأيكم :

ثم ما رأيكم أيها السادة القائلون بأن « الجبلاوى » فى الرواية ليس هو « الله » :

أنصدقكم أم نُصدِّق المؤلف نفسه ؟ أعتقد أن تصديق المؤلف هو المتعيِّن هنا ؛ لأنه كاتب « النَّصِّ الروائى » لا أنتم .

فقد تخيَّل المؤلف أن حديثاً دار بين « عرفة » وزوجته « عواطف » ، فقالت « عواطف » هانم لزوجها « عرفة » وهى تتحدث عن « الجبلاوى » بوصف « جَدُّنا » :

« جَدُّنا من دنيا ، ونحن من دنيا أُخرى » (١) .

أليست هذه العبارة دليلاً قاطعاً على أن « الجبلاوى » مُغَاير مغايرة تامة لأبناء الحارة - أى أهل الدنيا - جميعاً ، فمن يكون هذا « الجبلاوى » إن لم يُرد به المؤلف « الله » ؟!

نحن وأنتم نعلم أن هذا الكلام هو كلام المؤلف نفسه ، سواء أسنده إلى عواطف أو إلى غير عواطف من « شخوص » روايته ، ونعود مرة أُخرى فنسألكم : أنصدقكم أم نصدق المؤلف ؟!

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٤٩٧

وليست هذه العبارة هى وحدها التى فلتت من « جُوَّانيات » المؤلف ، فكانت وصفاً صريحاً لائقاً بـ « الجبلاوى » المرموز به لـ « الله » .

فقد سبق أن قال المؤلف على لسان جبل فى وصف « الجبلاوى » :

« ليس كمثله أحد من أولاد حارتنا ، ولا من الناس جميعاً » ؟!

وقد ذكرنا هذه العبارة من قبل ، ونظَّرْنا بينها وبين قول الله تعالى واصفاً ذاته العلية :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .

فهل - بعد هذا - يقال ، أو يُصَدَّق إذا قيل : إن الجبلاوى فى الرواية ليس هو « الله » ؟

وإذا ثبت يقيناً أن الجبلاوى فى الرواية هو « الله » وها هو ذا قد ثبت - فإنه يثبت - يقيناً - كذلك أن :

- « أدهم » هو آدم عليه السلام .
- وأن « جبل » هو موسى عليه السلام .
- وأن « رفاعة » هو عيسى عليه السلام .
- وأن « قاسم » هو محمد ﷺ .
- وأن « الحارة » هى الدنيا بأسرها .
- وأن أولاد الحارة هم الخلق من الإنس والجن ، بل والملائكة .

ويثبت تبعاً لهذا كله :

أن موضوع رواية « أولاد حارتنا » :

---

(١) الشورى : ١١

المقدمة والفصول الأربعة :

أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم هو :

**وقائع التاريخ الديني النبوى .**

وأن الرواية قدَّمت هذا التاريخ « المقدس » فى إطار رمزى مغلف ، وجعلته هدفاً للنقد الساخط أو « النقض » تمهيداً للإطاحة به ، وإحلال العلم الحديث محله فى الريادة والتوجيه ؟!

* *

## ● ملاحظاتنا على القسم الأول :

ولنا عدة ملاحظات على القسم الأول نسجلها فيما يأتى فى إيجاز :

**الملاحظة الأولى - تحريف الوقائع :**

عرض المؤلف وقائع التاريخ الدينى النبوى فى الفصول الأربعة الأولى :

أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم عرضاً محرَّفاً مزوَّراً :

ففى فصل « أدهم » - آدم عليه السلام - حرَّف كثيراً من الوقائع ، حيث جعل خطيئة آدم - مثلاً - هى محاولة الاطلاع على « كتاب الحجة » بدلاً من الأكل من الشجرة ، وجعل معصية إدريس - أى إبليس - اعتراضه على إسناد إدارة الوقف إلى آدم ، بدلاً من امتناع إبليس عن السجود لآدم حين أمره الله به ؟؟

وفى فصل « جبل » - أى موسى عليه السلام - جَعَل التقاط آل فرعون لموسى من حفرة بدلاً من اليم ، وجعل البئر التى سقى موسى أغنام ابنتى شعيب منها ، جعلها صنبوراً أو حنفية مياه ، وجعل « شعيب » هو الذى جاء إلى موسى بدلاً من ذهاب موسى إليه ؟؟

وفى فصل « رفاعة » جعل الحوارى الخائن الذى أرشد اليهود على المكان

الذى اختفى فيه عيسى عليه السلام امرأة كان عيسى قد تزوجها ، وهى جاسوس عليه .

وجعل لعيسى أباً هو « شافعى » ، وعيسى عليه السلام ليس له أب .

أما فى فصل « قاسم » - أى محمد ﷺ - فقد كثر التحريف والتزوير . من ذلك الافتراء الصارخ على السيرة النبوية الطاهرة ، حيث زعم أن « قاسم » كان بيَّاع بطاطة ، وأنه ضُبط متلبساً باختلاس ثمار الجوافة من حديقة يملكها آخرون ، وأنه جرى فى الشارع عريان والأطفال يتضاحكون حوله .

وأنه كان تلميذاً لورقة بن نوفل ، وكان يناديه بـ « يا معلمى » ؟! ، وأن خديجة تشككت كثيراً فى أمر الرسالة . . . إلخ . . . إلخ .

وسبب هذا التحريف أمران فيما قدرنا :

**أحدهما** : حرص المؤلف على الاستفادة من وقائع التاريخ الدينى النبوى فى « رسم شخصيات الرواية » ، وهذا أمر ظاهر جداً فى القسم الأول من الرواية .

**والثانى** : حرص المؤلف الشديد على إخفاء « جوانياته » ، وعدم ظهورها للقُرَّاء ؛ لأن الرواية - كما عرفنا من قبل - أخضعت التاريخ الدينى النبوى ، -وهو مقدس - للنقد والنقض معاً ، وهذا أمر - لو ظهر - لقابله النَّاس بالاستنكار والاستياء ، بل وبالغضب والسخط .

لذلك لجأ المؤلف إلى التعبير الرمزى **أولاً** ، ثم إلى تحريف الوقائع **ثانياً** ، **ودار التحريف فى الرواية على ثلاثة محاور :**

**الأول** : استبدال الواقعة بأُخرى شبيهة بها من بعض الوجوه ، ومختلفة فى الوجوه الأُخرى .

**الثانى** : بتر جزء أو أجزاء من الواقعة المراد الاستفادة منها فى رسم شخصيات الرواية .

**الثالث** : زيادة جزء أو أجزاء مضافة إلى الواقعة ، أو يأتى بحشو مُتَعمَّد قصداً للتمويه على القارئ ؟

وقد مرَّت فى غضون هذه الدراسة أمثلة عديدة لكل محور من هذه المحاور .

والاعتذار عن المؤلف بأنه يكتب فنّاً لا تاريخاً مرفوض مرفوض كما تقدم توضيح ذلك .

**الملاحظة الثانية – الإساءة إلى الذات العلية ؟!**

لم توجه رواية « أولاد حارتنا » كمّاً هائلاً من الإساءة مثلما وجهت إلى « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ( الله ) ، وجاءت هذه الإساءات على لسانَى كل من إدريس الذى هو « إبليس » فى الرواية ، ثم قدرى الذى هو « قابيل » أحد ابنى آدم ، وقاتل « هابيل » أخيه ، وهو « همام » فى الرواية .

هذا بالإضافة إلى الأوصاف البَشرية التى وُصِفَ بها « الجبلاوى » فى الرواية كلها من التزوج والإنجاب والاحتياج إلى « غيره » والأكل والشرب والراحة والنوم والشيخوخة ، والاعتزال ، ثم القتل والموت ؟! وكل هذه افتراءات تكاد السماوات تتفطر منها وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هُدّاً .

* *

## ● نماذج من سباب إدريس :

**إدريس لأدهم :**

- « اخرس يا كلب يا ابن الكلب » ؟! [1] .
- « طغيان أبيك أنطقنى بالحق » ؟؟ [2] .
- « طردنى أبوك بدون حياء ؛ فليتحمل العواقب » ؟! [3] .

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٢٢ مع ملاحظة أن الرواية تصف أدهم وإدريس بأنهما ولدا الجبلاوى ؟!
(٢) « أولاد حارتنا » ص ٢٣ (٣) « أولاد حارتنا » ص ٢٣

إدريس يخاطب الجبلاوى :

« وتقبع أنت وحيداً فى بيتك ، تبدل وتغير فى كتابك كيف شاء لك الغضب والفشل ؟! وتعانى وحدة الشيخوخة فى الظلام حتى إذا جاء الأجل فلن تجد عيناً تبكيك » ؟! [(١)] .

وحسبنا هذا القدر من بذاءات إدريس وإساءاته الموجهة إلى الجبلاوى ، ذكرناها على سبيل التمثيل لا الحصر .

* *

## ● نماذج من سباب قدرى :

قدرى لهمام :

« أؤكد لك أن جدنا - يعنى الجبلاوى - شخص شاذ لا يستحق الاحترام ، ولو كان به ذرة من خير لما جفا لحمه هذا الجفاء الغريب ؟! إنى آراه كما يراه عمنا - يعنى إدريس - لعنة من لعنات الدهر . . . لقد نال هذه الأرض هبة بلا عناء ، ثم طغى واستكبر » ؟! [(٢)] .

قدرى لأدهم :

« هذا الرجل - أى الجبلاوى - أسوأ من ابنه إدريس » ؟! [(٣)] - يعنى إبليس - .

قدرى لهمام :

« هل وعدك البلطجى الأكبر - يعنى الجبلاوى - بالحماية » ؟ [(٤)] .

وحسبنا - كذلك - هذا القدر من بذاءات قدرى الموجهة إلى الجبلاوى ، وما أكثرها ، وعلم الله أننا مكرهون على نقل هذه « الكفريات » لأننا نريد أن

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٥١
(٢) « أولاد حارتنا » ص ٧١
(٣) « أولاد حارتنا » ص ٩٢
(٤) « أولاد حارتنا » ص ٩٤

نقنع القارئ الذى تتح له فرصة قراءة الرواية « أولاد حارتنا » بالحكم الذى سنراه مناسباً لهذه الرواية المشئومة .

وفى ختام هذه الملاحظة نقول :

إن رواية « أولاد حارتنا » كان ينبغى عليها أن ترعى حرمة الجبلاوى هذا ما دامت قد رمزت به إلى « الله » ، وهى مسئولة عن كل كلمة وردت فيها ، سواء أسندتها إلى « شخوصها » أو « أشخاصها » ، وهم جميعاً - الشخوص والأشخاص - أبرياء مما أسندته الرواية إليهم ، أبرياء أمام الله ، وأبرياء أمام الناس ؛ لأنهم لم يقولوا حرفاً واحداً مما نُسِبَ إليهم ، ويعلم الله ، وتشهد ملائكته وصالحو المؤمنين أن إبليس نفسه - فيما حكاه عنه القرآن - كان أكثر أدباً مع الله من رواية « أولاد حارتنا » ، وأعرف بجلال الله وعظمته من هذه الرواية الطائشة الرعناء ؟!

* *

**الملاحظة الثالثة - الإساءة إلى رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - :**

تحدثت الرواية بعد حديثها عن آدم عن ثلاثة من الرُّسُل الكبار : موسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ ، وحديثها عن الرسولين الأوَّلين موسى وعيسى عليهما السلام كان معتدلاً نوعاً مَّا ، فلم يرد فيه ما يسئ إساءة جارحة لأىٍّ منهما .

● أما حديثها عن محمد رسول الإسلام ﷺ ، فقد جاء مليئاً بالإساءة والتجريح إلى حد الافتراء فى بعض الأحيان ، فقد نسبت إليه الرواية اختلاس ثمار الجوافة ، والجرى فى الطريق العام وهو عارٍ تماماً من ملابسه مع تضاحك الأطفال عليه ؟!

وهذا افتراء محض وكذب صارخ على من أرسله الله رحمة للعالَمين ، وصانه من « العبث » فى جميع مراحل عمره المبارك قبل البعثة وبعدها .

● ثم جعلته الرواية « بيَّاع بطاطة » ينادى على بضاعته ويقول وهو « يزق » عربة يد « كاروا » :

« بطاطة العمدة .. بطاطة الفرن » ؟!

وهذا كذلك افتراء خالص ، وليس له سند من الواقع ولا من الوهم ؟!

● وجعلته الرواية مُغْرماً بمعاكسة الفتيات يترصدهن فى الطريق العام قبيل الغروب ؟!

● وجعلته الرواية كسولاً لا يحب العمل ، ويخلد إلى الراحة والدعة حتى أكرهته السيدة خديجة على العمل فى إدارة أملاكها ؟!

● ثم أجلسته الرواية على « المقاهى » وسقته الـ . . . على الجوزة ؟!

● ووصفت الرواية حفل زفافه إلى « خديجة » وصفاً مزرياً للغاية ، كانت الخمور تجرى فيه أنهاراً ، وكل المدعوين كانوا سكارى ومساطيل ؟!

● وجعلت الرواية محمداً وخديجة يسيران فى ليلة زفافهما خلف راقصة تتمايل وتهتز وكأنها تلقى عليهما الدرس الأخير فى العلاقات الـ . . . ؟

● وعيَّرته الرواية - مرات - بأنه راعى غنم لليهود والنصارى وغيرهم ؟!

لم ترع الرواية حرمة خاتم النبيين الذى وصفه رب العالمين بأنه سراج منير ، وعلى خلق عظيم ، ورحمة للناس كافة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ (١) .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

هكذا صنعت الرواية مع خير خلق الله ، وهى تعلم عمَّنْ تتحدث جلالاً وعظمة ، وهيبة ووقاراً ؟!

---

(١) الأحزاب : ٤٥ - ٤٦ (٢) القلم : ٤

### الملاحظة الرابعة - الحط من قَدْر العرب والمسلمين ؟!

وعندما تحدثت الرواية عن آل حمدان أو آل جبل ، وهما رمزان لليهود قبل موسى عليه السلام وبعده ، وعندما تحدثت الرواية عن آل رفاعة ، وهم رمز للنصارى ، عندما تحدثت الرواية عن هاتين الطائفتين ، تحدثت عنهما بكل تقدير واحترام ، ولكن عندما تحدثت عن العرب قبل الإسلام ، ثم عن المسلمين بعد الإسلام رمتهم بكل نقيصة ، فهم أتعس أولاد الحارة - أى الدنيا - وهم الجرابيع الحفاة العراة الذين لا أصل لهم ولا صفة - أى كريمة - وحياتهم لا تعلو كثيراً عن حياة الكلاب والقطط والذباب ؟! يلتمسون رزقهم فى النفايات وأكوام القمامة ؟!

هكذا ورب السموات والأرض وصفت الرواية العرب والمسلمين ، العرب الذين اختار الله رسوله الخاتم منهم ، وأنزل كتابه المعجز بلغتهم ، وشرفهم بجعلهم أول من يتلقى رسالته الخاتمة ، ثم يبلغونها للناس فى مشارق الأرض ومغاربها .

والمسلمون الذين وصفهم الله بأنهم « خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » هُمْ فى رواية « أولاد حارتنا » أحط الناس قدراً ، منزلتهم منزلة الكلاب والقطط والذباب ؟!

أليس هذا مما يجعل الحليم حيران ، ويدعو إلى سوء الظن فى الرواية ومؤلفها والمدافعين عنها إلى آخر شوط ، وإلى أبعد مدى ؟!

أليس فى هذا « الصُّنْع » محاولة سافرة لمصادرة قول الحق :

« اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ . . » ؟!

ليتنا نعلم الثأر الذى بين رواية « أولاد حارتنا » وبين العروبة والإسلام والمسلمين ؟!

أم أن موعدنا « يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ » ؟!

## الملاحظة الخامسة – مناصرة غير الإسلام على الإسلام ؟!

ومن الملاحظات البارزة على الرواية ، أنها – دائماً – تناصر غير الإسلام على الإسلام نفسه ، حتى فى العقائد الثوابت فى الإسلام ، ولنضرب بعض الأمثلة :

● تفضيل عيسى على محمد صلى الله عليهما وسلم ، وعِلَّة تفضيل عيسى على محمد فى الرواية أن عيسى كان عزوفاً عن النساء ؛ أما محمد فكان يترصد الفتيات عند المغيب ، وكان زير نساء ؟!

هذا ما يقوله الحمقى من المبشِّرين والمستشرقين ، وقد ناصرتهم الرواية وخذلت المسلمين ؟!

● مجاراة الرواية لليهود ، أو مناصرتهم فى دعواهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وصلبوه ، فتجزم الرواية أنهم قتلوه فِعْلاً ، وتضرب عرض الحائط بعقيدة المسلمين وبقول الحق :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ . . ﴾ (١) .

● وناصرت الرواية المبشِّرين والمستشرقين فى اتهامهم نبى الإسلام بعشق زينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة ، ثم تزوجه منها بعد أن طلقها زيد استجابة للواعج العشق ؟! (٢) .

● تناصر الرواية أعداء الإسلام وتُعبِّر عن مناصرتها لهم بقولها :

« وتعشَّق امرأة من الجرابيع – أى المسلمين العرب – ثم تزوجها أيضاً » ؟! (٣) .

● دعوى الرواية أن السيدة خديجة تشككت طويلاً فى أمر الرسالة لَمَّا أخبرها النبى ﷺ ببدء نزول الوحى عليه ، وأنها ظلَّت تراجعه وتجادله حتى

---

(١) النساء : ١٥٧

(٢) تقدمت هذه القصة مفصلة ، انظر (   ) من هذه الدراسة .

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٤٤٣

قال لها : إنى أعفيك من أن تصدقينى ؟! مع أن الثابت إسلامياً أن السيدة خديجة بادرت بقولها :

« إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأُمَّة » عند أول سماعها بنزول الوحى .

ودعوى الرواية كاذبة كاذبة ، وهى مجاراة منها ومناصرة لمزاعم أعداء الإسلام .

● ناصرت الرواية حقدة المستشرقين والمبشِّرين فى دعواهم أن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل ؟! فجاءت الرواية تقول - كذباً وزوراً وبهتاناً - : أن قاسماً أو محمداً ﷺ كان يتردد كثيراً على ورقة بن نوفل الكاهن النصرانى ، وأخذ عنه علماً غزيراً ، وأن محمداً كان يخاطب ورقة بقوله : « يا معلمى » ؟! ، والرواية تعلم أن محمداً ﷺ ليس له مُعَلِّم قط إلا الله عَزَّ وجَلَّ ، وبذلك نزل الوحى الأمين :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إذاً لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

﴿ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ (٢) .

أليس هذا - مرة أُخرى - داعياً إلى سوء الظن فى الرواية إلى آخر شوط ؟!

* *

**الملاحظة السادسة - تجريد التاريخ النبوى من محتواه :**

حرص المؤلف - كل الحرص - على تجريد التاريخ الدينى النبوى من محتواه، وتفريغه تماماً من « الإيمانيات والروحانيات » وتصويره فى صورة صراع مادى صرف يبدأ وينتهى حول حطام الدنيا وملذاتها الفانية ؟!

---

(١) العنكبوت : ٤٨ (٢) النساء : ١١٣

فليس فى الرواية « أولاد حارتنا » أية إشارة ، ولو رمزية إلى قضية التوحيد والإيمان بما وراء الطبيعة من حقائق هى أُسس ما نادت به الرسالات السماوية .

● فمثلاً لقاء موسى بفرعون لم يكن إلا لنيل بنى إسرائيل حقوقهم من « الوقف » وحصولهم على المعاملة الكريمة فى المجتمع الفرعونى المستبد .

● ودعوة موسى لبنى إسرائيل محصورة - فى الرواية - فى توحيد صفوفهم لينالوا حقوقهم ، ويمكنهم الحفاظ عليها إذا نالوها .

● ومهمة عيسى كانت لمحاربة العفاريت وتخليص المرضى من شرورها ليكونوا أصحاء ؟!

● ورسالة محمد - صلى الله عليه وعليهم جميعاً وسلم - كانت لمحاربة « الفتوات » وتسخير « الوقف » للجميع .

● أما مهمة « عرفة » فكانت لإحلال قوة العلم الحديث محل الإيمان بالله ورُسُله ، بعد أن حكمت الرواية على هذا الإيمان بالفشل ؟!

**ومؤدى هذا كله :**

أن الرواية تجارى العلمانية فى تفسيرها المادى للتاريخ رضى المؤلف أم لم يرض ، أحبَّ أم كره .

* *

**الملاحظة السابعة – التعاطف مع الشيطان ؟!**

جارت الرواية « أولاد حارتنا » بعض الكُتَّاب الأوروبيين والعرب فى التعاطف مع الشيطان الذى طرده الله من الجنة بسبب عصيانه وكفره ، ونظروا إلى هذه الواقعة على أنها من وقائع « حرية الرأى » ، وأن الشيطان عوقب - ظلماً - على رأى أبداه ، وعقيدة اعتقدها ، حملته على عدم السجود لآدم ؟ بل إن بعض الدجَّالين العرب دعا إلى نصرة الشيطان على الله عَزَّ وجَلَّ ، وزعم هذا الأفَّاق الأشر أن الشيطان قال لله :

«لا أسجد إلا لك» ، ومع هذا عاقبه الله وطرده وهو مظلوم مظلوم ؟! [1] .

واشترك فى هذا - الدجل - الأُستاذ توفيق الحكيم من قبل ، وتخيَّل محاورة دارت بين « إبليس » وشيخ الأزهر ، فأفحم إبليس شيخ الأزهر ؟! وأثبت - إبليس - أمام شيخ الأزهر أنه مظلوم ، مظلوم ، وأن جميع الكائنات كانت تردد صياح إبليس : أنا مظلوم مظلوم ؟!

سارت رواية « أولاد حارتنا » فى هذا الاتجاه ، ولوَّحتْ كثيراً بأن « إدريس » ، وهو رمز الشيطان فيها ، طرد من البيت الكبير - أى من الجنة - بدون سبب معقول أو مقبول . وزعمت - زوراً وبهتاناً - أن جميع الملائكة ، كانت تؤيد الشيطان ، ولكنهم كتموا أسرارهم خوفاً من بطش « الجبلاوى » ( الله ) ، وتظاهروا بعدم الاعتراض ؟!

فطرد الشيطان فى الرواية كان لبغض « الجبلاوى » ( الله ) للشيطان ولإرادته النافذة التى لا تصغى لحجة مظلوم ؟!

❋ ❋

## الملاحظة الثامنة - ربط منابع النور بمواضع الخطيئة ؟!

ما زلت - والله - فى حَيْرة - من بعض الرموز فى « أولاد حارتنا » ، ومن أكثر الرموز إثارة للحيرة رمز « صخرة هند » ، وقد علم قارئ هذه الدراسة أن « هند » هى ابنة إدريس فى الرواية ، أى ابنة الشيطان ، وأن الصخرة التى أضافها إلى « هند » مؤلف الرواية ، هى المكان الذى زعمت الرواية أن ابن آدم « قدرى » ارتكب فيه « الفاحشة » مع « هند » ، وقد فسرنا الرمز « هند » من قبل بأنه : الغواية الشيطانية ، ولا معنى لها سوى هذا ، إذْ لا يُعْلَمْ أن للشيطان ابنة اسمها « هند » ، وحتى لو كان له ابنة فَمَنْ أدرى المؤلف أنها تُسمَّى هنداً ؟!

---

(١) هو خالد العظم أحد الشيوعيين العرب ، وله بذاءات أُخرى فى هذا المجال أعرضنا عنها لشناعتها .

وليس هذا هو مبعث الحيرة ، وإنما مبعث الحيرة أن مؤلف الرواية الأُستاذ نجيب محفوظ قد ربط بين منابع النور وهى الرسالات السماوية الثلاث ، وبين هذا الموضع « صخرة هند » ، وهو موضع أول جريمة « زنا » تقع فى الوجود حسب « جو » رواية « أولاد حارتنا » الأوسع من الخيال والأوهام ؟!

● فالرُّسُل الكرام تلقوا رسالاتهم من « الجبلاوى » ( الله ) عند « صخرة هند » ؟!

ومفزعهم وملجؤُهم كان « صخرة هند » ؟!

● وعيسى والحواريون كانوا يتخذون من « صخرة هند » نادياً للحديث والتشاور ؟!

فما الذى حمل المؤلف على ربط منابع النور بمواضع الخطيئة يا ترى ؟!

إنها ملاحظة ذات خطر ، وإنى لأحتفظ بما فهمته منها ، وما أردت إلا أن أشرك معى القارئ فى الحيرة ، ولعله يفهم مثلما فهمت ؟!

* *

**الملاحظة التاسعة - الاختيار والتّرك :**

عرف قارئ هذه الدراسة أن الفصول الأربعة الأولى : أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم ، تتناول أحداثاً واقعية لها وجود حقيقى فى التاريخ ، وهى تمثل - كما تقدم - حركة التاريخ الدينى النبوى وتطوراته . وقد لاحظنا أن المؤلف يقف من وقائع هذا التاريخ موقفاً معيناً يقوم على سمتين بارزتين :

**إحداهما** : الأخذ ، **والأخرى** : التَّرك : أى يأخذ بعض وقائع ذلك التاريخ ، ويترك بعضاً آخر فى رسم صور « الأشخاص » الأربعة ، الذين تحدَّث عنهم ، وهم :

آدم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ ، فما أكثر ما تركه من سيَر هؤلاء الرُّسُل الكرام ، فمما تركه فى « أدهم » المنهج الذى حدده الله لعمارة

الأرض بعد الهبوط ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ، فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُم يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

● ومما تركه فى « جبل » فلق البحر وعبور موسى وبنى إسرائيل إلى سيناء ، وغرق فرعون وآله ، ورفع الجبل فوقهم ، ووزارة هارون لموسى .

● ومما تركه فى « رفاعة » حديث المائدة والكلام فى المهد .

● ومما تركه فى « قاسم » الإسراء والمعراج ، وحصار شعب بنى عامر ، ومع هذا الترك ، فإن ما ذكره كان كافياً جداً فى تحديد « حقيقة » كل شخصية من الأربعة المذكورين .

* *

**الملاحظة العاشرة - نباهة عرفة وصاحبيه :**

إن « عرفة » ، و« حنش » وعواطف هم « الوحيدون » فى الرواية الذين رفعهم المؤلف « مكاناً عَلياً » ، وصانهم من كل ألوان النقص والهمز واللمز أو التجريح ، وهذا يلائم الجو العام لـ . . وجدانيات المؤلف ، « وجوانياته » ؟!

* *

## القسم الثانى - عرفة :

أما القسم الثانى ، فهو معقود - أساساً - لعمليتى هدم وبناء ، أو « إعدام » و« إحياء » ، وكانت نِيَّةُ « أولاد حارتنا » مُبَيَّتة على هذا من قبل أن « يُخَطَّ » حرفٌ واحد فيها ؛ فالنية - عادة وواقعاً - تسبق العمل دائماً ، وتكون « هى » الباعث على العمل ، والداعية إليه الهدم أو الإعدام لـ « الدين » الذى جاء به الرُّسُل وَحْياً يوحى من عند ربهم ؟! والإحياء لـ « العلم الحديث » ممثلاً فيما يُدْرَك بالحواس الخمس ، وتُجرى عليه التجارب والملاحظات والمشاهدات ،

---

(١) البقرة : ٣٨ ، ٣٩

ثم تَسْتَخْرجُ قوانينه الكلية ، وقواعده الجزئية المستوحاة من المادة المدروسة ، وكان كل شىء فى الرواية يخدم هذا الاتجاه ، ويمهد له من وراء ستار ، ولكن كيف تمت عمليتا الهدم والبناء ، أو الإعدام والإحياء ؟ هذا تساؤل مهم للغاية .

أما الإجابة عليه فنصورها فى الآتى :

جئ بـ : « عرفة » رمز العلم الحديث ، ونائبه « حنش » ، ثم وُضِعَ بإزائهما التاريخ الدينى النبوى ، ممثلاً فى الجبلاوى ، وأدهم ، وجبل ، ورفاعة ، ثم قاسم . وبدأت العمليتان معاً :

ضربة بالمعول فى صرح التاريخ الدينى النبوى ، ثم وضع لبنة فى صرح العلم الحديث . وتعددت ضربات المعول فى الهدم ، وتعددت كذلك عملية البناء بوضع لبنة جديدة محكمة ، وسار الفصل الخامس « عرفة » على هذا النظام :

كل انخفاض فى جانب التاريخ الدينى النبوى يقابله ارتفاع فى جانب العلم الحديث ؟!

وكل نقص فى الأول يقابله زيادة فى الثانى ، إلى أن وصل الأمر إلى تنفيذ حكم الإعدام التام فى الدين ، وعلى « التو » قام العلم الحديث ، وجلس على « عرش الرحمن » وحل محله ، ومكانه ؟! هذا فى الرواية ، وليس فى الواقع ؟!

والذى قام بتنفيذ حكم الإعدام فى الدين ، هو العلم الحديث نفسه ، ممثلاً فى « عرفة » قاتل الجبلاوى فى الرواية ، وكانت الرواية قد جعلت « الجبلاوى » المصدر الأول والوحيد للاتجاه الدينى فى الوجود كله ، يعنى هو « الله » تعالى عما يقولون عُلُوّاً كبيراً ، وكان لحكم الإعدام فى الرواية مبررات كما تقدم :

● تقدم السن بالجبلاوى ، اعتزاله ، فشل رجاله الكبار : جبل ورفاعة وقاسم ، تَخلُّف منهجه ، فساد بضاعته ، زهد أولاد الحارة فيه وفى رجاله ؟!

أما العلم الحديث فكان يحقق نصراً وازدهاراً وتقدماً كل يوم ، فعرف الناس له فضله ، ووقفوا على قدراته الهائلة ، وطاقاته التى لا حدود لها ، فإنه - كما وصفته الرواية : « قادر على كل شىء » ؟!

فلماذا - وهذا شأنه - لا يكون هو الآمر المطاع ، والناهى المسموع ، ومعقد آمال الناس التى لم يستطع أن يحققها الجبلاوى ورجاله على مدى العمر الطويل ؟!

* *

● والخلاصة :

إن هذه الرواية تترجم فى وضوح : أن كاتبها ساعة كتبها كان زاهداً فى « الدين » كل الزهد ، معرضاً عنه كل الأعراض ، ضائقاً به صدره ، أعجمياً به لسانه ، فراح يشفى نفسه الثائرة ، ويعبر عن آرائه فى وحى الله الأمين ، بهذه الأساليب الرمزية الماكرة ، والحيل التعبيرية الغادرة ، رافعاً من شأن العلم الحديث إلى مكان الثريا ، واثقاً فيه كل الثقة ، حتى أجلسه فى روايته على « عرش الدَّيَّان » مناصراً للعلمانية الجاهلة ، على دين الله القَيِّم ، ورسالاته السامية .

فالرواية - وهذا واقعها - رواية آثمة « مُجَرَّمَةٌ » بكل المقاييس وطنياً ، وقومياً ودينياً .

والتماس البراءة لها : مستحيل ، مستحيل ، مستحيل .

اللَّهُمَّ إلا إذا طمسنا قلوبنا ، وأعمينا أبصارنا ، وسددنا سمعنا ، ثم هتفنا مع أولاد حارة الأُستاذ نجيب محفوظ ، وقلنا كما قالوا : « لا شأن لنا بالماضى ، ولا أمل لنا إلا فى سحر عرفة ، ولو خُيِّرنا بين « الجبلاوى » ( الله ) والسحر ، لاخترنا السحر » ؟! (١) .

وهيهات هيهات لما يتصورون ؟

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٥٥١

# الاقتراح المرفوع إلى المؤلف

بعد التجربة المُرَّة التى عشناها مع الأُستاذ نجيب محفوظ وأولاد حارته ، يطيب لنا أن نتقدم بكل إخلاص إلى أديب مصر والعروبة الأُستاذ نجيب محفوظ ، بهذا الاقتراح الذى لنا فيه مطلبان :

**الأول** : مطلب « احتياطى » حاصله أن لا يأذن الأُستاذ نجيب محفوظ بإعادة طبع أو نشر أو إذاعة « أولاد حارتنا » بأية لُغة من اللُّغات ، وبخاصة اللُّغة العربية ، لا حجراً على حرية « الفكر » ، ولكن حَسْماً لذرائع « الكفر » لأن فى إعادة نشرها إثماً كبيراً نحسبه هيِّناً ، وهو عند الله عظيم .

**الثانى** : مطلب « أصلى » حاصله أن يستجمع الأُستاذ نجيب محفوظ كل مقومات الشجاعة الأدبية والإيمانية ، ويعلن للعالم كله ؛ شرقه وغربه ، شماله وجنوبه « تبرؤه » من هذه الرواية الآثمة المُجَرَّمة » بكل المقاييس ؛ لأن فى بقائها منسوبة إليه تبعة تنوء بحملها الجبال ؟!

وقد شكرنا للأُستاذ نجيب محفوظ مَنْعه إعادة نشرها عقب الاعتداء عليه فى أكتوبر الماضى ، وقلنا :

بادرة خير بدرت ، وإحساس إيمانى ظهر ، وتوبة إلى الله لاحت . وخطوة نحو التصحيح بدأت .

وها نحن نهتف به الآن : أكمل ما بدأت يبدِّل الله سيئَاتك حسنات ، ويدخلك مدخلاً كريماً ، ولا تكن كمن قال فيه الشاعر :

لا تَقْطَعَنْ ذَنَب الأفعى وترسلها إن كنت شَهْماً فاتبع رأسها الذَّنَبا

فما الذى يمنعك من إعلان التبرُّؤ يا أُستاذ ؟ نحن ندرك أن صعوبتين قد يقفان أمامك لمنعك من « التبرؤ » :

إحداهما : خذلان « الأصدقاء » الذين « نافقوا » ودافعوا عن الرواية وقضوا لها بالبراءة وأعلنوا ذلك للملأ .

والأُخرى : الشعور بالحرج أمام « نوبل » الذى منحك جائزته « المشبوهة » على أولاد الحارة .

ونقول لك - أُيها الأديب الكبير - : إن لكل عُقْدة حلاً ، ولكل مأزق مخرجاً :

فأما الأصدقاء الذين جادلوا عنك فى الحياة الدنيا ، فلا تقم لهم وزناً ، فإنهم لن يستطيعوا أن يجادلوا الله عنك يوم القيامة ، وستنقلب صداقتهم عداوة يوم يقوم الناس لرب العالَمين .

ألم تقرأ قول ربك :

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ (١) .

وقول ربك :

﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وإصلاح علاقاتنا مع الله أَوْلى بالرعاية ، وعليها يتوقف مصيرنا عند الله ، وكلنا آتى الرحمن فرداً ، فلا مال ولا زوجة ولا ولد ولا صديق

﴿ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

وأما « نوبل » فلا تخشه وإن طالب باسترداد جائزته ، لأنك إذا أعلنت « التبرؤَ » فسيدافع عنك مالك الملك : ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا . . ﴾ (٣) .

وإنك ستدخل فى سويداوات قلوب تُعدُّ بالملايين ، قلوب مؤمنة مُفْعمة

---

(١) النساء : ١٠٩ (٢) الزخرف : ٦٧ (٣) الحج : ٣٨

بالخير ، وسوف يرد أصحابها لنوبل ما أُخذ منه ولو طلب « نوبل » أضعاف أضعاف ما بذل ، فما أهون المال ، وما أعظم مواقف النبل من الرجال ؟

قُلها - أيها الأديب - ولا تخف ، والله - ونحن - معك ، وإن كنا - الآن عليك - رحمة بك لا تحاملاً ، وإشفاقاً لا قسوة ، نريد لك ولنا الخير في الدنيا والآخرة ، والآخرة خير وأبقى .

أيها الأديب الكبير :

إن كنت قد دخلت التاريخ من باب خلفي ضيق بكتابتك « أولاد حارتنا » فإنك - إذا أعلنت تبرؤك منها - فستدخل التاريخ الشريف من أوسع أبوابه « الأمامية » ، وتتلقاك ملائكة الرحمن قائلين :

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ، طِبْتُمْ ، فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ .[ الزمر : ٧٣ ]

وستكون مضرب الأمثال « في الشجاعة الأدبية » ، وقدوة حسنة يتغنى بها الدهر على مر الأجيال ، هدانا الله وإياك إلى :

ما يرضيه .

ويُرضي رسوله .

ويرضي صالحي المؤمنين .

و« فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

« وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

[ الجاثية : ٣٦ ، ٣٧ ]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

البلد الطيب الأمين : مكة المكرمة ، السبت ١٥ من شهر ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ ، الموافق ١٥ من شهر إبريل سنة ١٩٩٥م

المؤلف

عفا الله عنه

* * *

# الفهرست

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

## حول الرواية

( ٣ - ١٤ )



## افتتاحية

( ١٥ - ٤١ )



**الفصل الأول :**

## أدهم

( ٤٢ - ٧١ )

**الفصل الثانى :**

## جبل
## ( ٧٢ - ١٠١ )

**أدلة أن جبل هو موسى عليه السلام :**

**رقم الإيداع ١٨٤٥/ ١٩٩٦**
**الترقيم الدولي I.S.B.N**
**977-225-909-X**